

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الاخوان

الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم

- حدثنا سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا العجلي قال بعض الأدباء لابنه : يا بني ، إذا دخلت المصر فاستكثر من الصديق فأما العدو فلا يهمنك ؛ وإياك والخطب فإنها مشوار^(١) كثير العنار .

- قال : وبلغني عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير : أن داود النبي عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : ” يا بني ، لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفاداً ما استقام لك ، ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق “ .

وكان يقال : أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وفي الحديث المرفوع : ” المرء كثير بأخيه “ . وأنشد ابن الأعرابي :
لعمرك ما مأل الفتى بذخيرة * ولكن إخوان الثقات الذخائر

(١) هكذا في لسان العرب مادة « شور » والمشوار : الشوط . وفي الأصل : « مشوا » .

قال أبو الجراح العقيلي : وجدتُ أعراضَ الدنيا وذخائرها يعرضُ المتألف
إلا ذخيرةَ الأدبِ وعقيلةَ الخلَّةِ ، فاستكثروا من الإخوان واستمعصموا بعمراً الأدب .

وكان يقال : الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شمائل . وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عِزٌّ ولم يكن * لهم رَجُلٌ عند الإمام مَكِينُ

فكانوا كأيدٍ أو هنَّ الله بطشها * تُرى أشملاً ليستَ لمن يمينُ

قال أيوبُ السَّخْتِيَّاني : إذا بلغني موتُ أخٍ لي فكأنما سَقَطَ عضوٌ مني .

وقال القَطَامِي :^(٢)

وإذا يصيبُك - والحوادثُ جَمَّةٌ - * حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثق

وقال آخر :^(٣)

أخاك أخاك إنَّ مَنْ لا أخا له * كساعٍ إلى الهَيْجَا بغيرِ سلاح

وإنَّ ابنَ عمِّ المرءِ فأعلمَ جَنَاحَهُ * وهل ينهضُ البازي بغيرِ جَنَاح

وقال التَّفَنِّي :

من كان ذا عَضُدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ * إنَّ الذليلَ الذي ليستَ له عَضُدُ

تَبْسو يَدَاهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ * ويأنفُ الضَّيمُ إنَّ أثرى له عَدَدُ

وقال آخر :

وبفضاءِ التَّقَى أَقلُّ ضَميراً * وأسلمُ من مودةِ ذِي الفُسُوقِ

ولن تَفُكَّ تُحَسِّدُ أو تُعَادِي * فأكثرُ ما أَسْتَطَعْتَ من الصَّدِيقِ

(١) في الأصل : « إذ كأنما ... » . (٢) بفتح القاف وضمة واو عمير

ابن شَيْمٍ التُّغْلَبِيّ من بني جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت في ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا
أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت جنوبي رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب الملق

(٣) هو مسكين الدارمي واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٦٦) .

وكتب الفضل بن سيار الى الفضل بن سهل :

يا أبا العباس إني ناصح * لك والنصح لذي الود كبير^(١)
لا تُبدن ليوم صالح * إن إخوانك في الخير كثير
وليكن للشر ما أعددتهم * إن يوم الشر صعب قطير
هذه السوق التي آملها * يا أبا العباس والعمر قصير

قال المامون : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه ، وطبقة كاللدواء لا يُحتاج إليه إلا أحيانا ، وطبقة كاللداء لا يحتاج إليه أبدا .

قال حدثني سعيد بن سليمان قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن سعيد بن طريف عن عمير بن المامون قال : سمعت الحسن بن علي يقول : من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب ثمانى خصال : آية محكمة ، وأخا مستفادا ، وعلما مستطرفا ، ورحمة مستظرة ، وكلمة تدله على هدى أو تردعه عن ردى ، وترك الذنوب حياء أو خشية .
قال وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال : كان يقال : الصاحب رقة في قبص الرجل ، فلينظر أحدكم يم يرقع قبصه .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئا أبلغ في خير أو شر من صاحب .

وحدثني الرياشي عن الأصمعي قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس :
أثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان إلا قلة : درهم يوضع في حق ، وأخ يسكن اليه في الله .

(١) في الأصل : « ... لذي الود كثير » بالناء المثلثة ، وفي الذي بعده : « إن إخوانك في الخير كثير »

بالباء الموحدة ، فوضعنا كلا من الكلمتين مكان الأخرى لاستقامة الكلام .

وحدثني شيخ لنا عن محمد بن مُنَازِر عن سفيان بن عُيينة قال : قال علقمة
ابن لبيد العطاردي لابنه : يا بني ، إذا تَزَعَّتْكَ إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب
منهم مَنْ إن هَبَّتْ زانك ، وإن خَدَمَتْه صانك ، وإن أَصَابَتْكَ خَصَاصَةٌ مانك ؛
وإن قَلَّتْ صَدَقُ قولك ، وإن صَلَّتْ شَدَّ صَوْلُكَ ؛ وإن مَدَدَتْ يَدَكَ بِفَضْلِ مَدِّهَا ،
وإن رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ؛ وإن سَأَلَتْهُ أَعْطَاكَ ، وإن سَكَتُ عَنْهُ أَبْتَدَاكَ ،
وإن نَزَلَتْ بِكَ إِحْدَى الْمَلَبَّاتِ آسَاكَ ؛ مَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ الْبَوَائِقُ ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْكَ
مِنْهُ الطَّرَائِقُ ، وَلَا يَحْذُلُكَ عِنْدَ الْحَقَائِقِ ؛ وإن حَاوَلَ حَوِيلًا أَمْرَكَ ، وإن تَنَازَعْتُمَا
مُنْفِيسًا^(٢) آثَرَكَ .

قال محمد بن كعب القرظي^(٣) لعمر بن عبد العزيز : إنْ فِيكَ عَقْلًا وَإِنْ فِيكَ
جَهْلًا ، فَدَاوِ بَعْضَ مَا فِيكَ بَعْضُ ، وَأَخْ مِنْ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ ذَا مَعْلَاةٍ^(٤) فِي الدِّينِ
وَنِيَّةٍ فِي الْحَقِّ ، وَلَا تُؤَاخِ مِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ مَثَلُكَ عَنْدهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ ، فَإِذَا
قَضَى حَاجَتَهُ مِنْكَ ذَهَبَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . وَإِذَا غَرَسْتَ غِرَاسًا مِنَ الْمَعْرُوفِ
فَلَا تَبْغِينَ أَنْ تُحْسِنَ تَرْبِيَتُهُ^(٥) .

وقال الأحنف بن قيس : خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ
فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ احْتَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا ، وَإِنْ عَثَرْتَ عَصْدَكَ ، وَإِنْ احْتَجْتَ
١١ . مُؤَوِّتِهِ رَفَدَكَ . وقال الشاعر :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدُوقَ مَنْ لَنْ يَخْدَعَكَ * وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَعَكَ * شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
* وَإِنْ رَأَاكَ ظَالِمًا سَعَى مَعَكَ *

(١) حاول الشيء : أراده ، والحويل : الاسم منه ، وأمر : شاور . (٢) المنفس :
النفيس . (٣) في الأصل « القرصي » وهو تحريف . (٤) المعلاة : العلو والشرف .
(٥) في الأصل : « فلا تبغين » .

وقال مُجَيَّة بن المضرب :
أخوك الذي إن تدَّعه للمَّية * يُجَبِّكَ وإن تَغَضَّبَ إلى السَّيفِ يَغْضِبُ

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أعشى باهلة :

مَنْ ليس في خيرِهِ مَنْ يُفْسِدُهُ * على الصديق ولا في صفوهِ كدُرٌ
وليس فيه إذا استنظرته عَجَلٌ * وليس فيه إذا يأسرته عسر

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

أخوك الذي إن أحوَجَكَ مِلَّةٌ * من الدهر لم يبرح لها الدهر وإحما
وليس أخوك الحق مَنْ إن تشعبت * عليك أمورٌ ظل يلحاك لائما

وقال آخر :

إذا كان إخوانُ الرجالِ حرارةً * فانت الحلالُ الحلوُ والباردُ العذبُ
لنا جانبٌ منه دَمِيثٌ وجانبٌ * إذا رامه الأعداءُ مَرَكِبُهُ صَعْبُ
وتأخذه عند المكارمِ هِزَّةٌ * كما اهترت تحت البارحِ الغصنُ الرطبُ

وقال آخر :

أبكي أخاً يتلقاني بنائله * قبل السؤال ويلقى السيف من دوني
إن المنايا أصابتنِي مصائبها * فاستعجلت بأخ قد كان يكفيني

وقرات في كتاب للهند : رأس المودة الاسترسال .

وقال أكرم بن صيفي : مَنْ تراخى تألف ، ومن تشدد نفّر ، والشرفُ التغافل .

وقال حاتم : العاقل فطنٌ متغافلٌ .

وقرأت في كتاب للهند : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً
(١) ولعدو صديقه عدواً . قال العتّابي في ذلك :

تودّ عدوى ثم تزعم أنني * صديقك، إن الرأي عنك لعازب
وليس أني من ودني رأى عينه * ولكن أني من صدقه المغايب

• قيل لبزرجهر : أخوك أحب إليك أم صديقك ؟ قال : إنما أحب أني
إذا كان صديقاً .

وقال بعضهم : إن أحب إخواني إلى ، من كثرت أياديهِ على .

وقال رجل في أخ له .

وكنْتُ إذا الشدائد أزهقني * يقوم لها وأقعُد لا أقوم

وقال آخر :

أخ طالبا سَرَّني ذكره * فأصبحتُ أشجى لَدَى ذكره

وقد كنت أغدو إلى قصره * فأصبحتُ أغدو إلى قبره

وكنْتُ أَرَانِي غنياً به * عن الناس لو مُدَّ في عمره

إذا جئتُه طالباً حاجةً * فأمرى يُمَوِّزُ على أمره

وصف أعرابي رجلاً قال : كان والله يَتَحَيَّ مراراً الإخوانَ وَيَسْقِيهِمْ عَدْبُهُ .

وقال أعرابي :
(٢)

أخ لك ما تراه الدهر إلا * على العِلَالِيتِ بَسَامًا جَوَادًا

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب ، وفي الأصل : « ولعدو عدوه عدواً » .

(٢) في الأصل « إن أحب إخواني على من كثرت أياديهِ إلى » . (٣) كذا بالأصل ، ولم نجد هذه

الصفة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، ولعله محرف عن « مر » المقابل للغضب ، وهو ما يقتضيه السياق .

(٤) هذه الأبيات نسبت في الأغاني لزياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هومن

قولهم : على علاته ، أي على كل حال .

سألناه الجزيل فما تَلَكَّا * وأعطى فوق مُنِينَا وزادَا
فأحسنَ ثم أحسنَ ثم عدنا * فأحسنَ ثم عدتُ له فعدا
مِرَارًا لا أعودُ إليه إلَّا * تبسمَ ضاحكًا وثني الوسادَا

المودة بالتشاكل

- بلغني عن ابن عيينة أنه قال: قال ابن عباس: القربة تُقَطَّعُ والمعروفُ يُكْفَرُ، ولم يرَ كَتَقَارُبِ القلوبِ .

قال رجل للعرجي: جئتكَ أخطبُ إليك مودتك، فقال: لا حاجة بك إلى الخطبة، قد جاءتك زنا فهو ألدُّ وأحلى . وقال الكبيتُ بن معروف:

- ما أنا بالنكيسِ الدنيء ولا الذي * إذا صد عنه ذو المودة يقربُ
ولكنه إن دام دمتُ وإن يكن * له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ
ألا إن خيرَ الودِّ وُدُّ تَطَوَّعَتْ * به النفسُ لا وُدُّ أتى وهو مُتَعَبُ

وقال الطائي:

- ذوالود مني وذو القربى بمتلة * وإخوتي أسوةٌ عندي وإخواني
عصابةٌ جاورتُ آدابهم أدبى * فهم وإن فُرَّقُوا في الأرض جيرانِي
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدت * أبداننا ^(٢) شامِ أو خراسانِ

وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز:

أين لي فكُنْ مثلي أو آتبع صاحبًا * كمثلك إني مُتَبِّعٌ صاحبًا مثلي

(١) في الأصل: «جاوزت» بالزاي، والتصويب من ديوان أبي تمام . (٢) في الأصل:

«لشام» والتصويب من ديوان أبي تمام .

عزيرُ إخواني، لا يَنَالُ مودتي * من القوم إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
وما يَلْبَثُ الإخوانُ أن يتفترقوا * إذا لم يُؤْلَفْ رُوحُ شُكْلِ إلى شُكْلِ

وقال الطائي :

وَلَنْ تَنْظِمَ الْعَقْدَ الْكَتَابُ لِزِينَةٍ * كَمَا يَنْظِمُ الشَّمْلَ الشَّتِيتَ الشَّمَائِلُ
كتب بعضُ الكُتَّابِ إلى صديق له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسي ، فأنا
غيرُ محمودٍ على الانقياد لك بغيرِ زمام ، لأن النفسَ يَتَّبِعُ بعضها بعضاً .

قال حدثني محمد بن داود قال حدثنا يزيد بن خَلْفٍ عن يعقوب بن كعب عن
بَقِيَّةٍ عن صَفْوَانَ بنِ عمرو عن شُرَيْحٍ عن أَبِي عُبَيْدٍ قال : كتب أبو الدرداء إلى
سَلْمَانَ : إن تكن الدارُ من الدارِ بعيدةً فإنَّ الرُّوحَ من الرُّوحِ قريبٌ ، وطيرُ السماءِ
على إلفِهِ من الأرضِ يَقَعُ .

وقال أبو العتاهية :

يُقَاسُ المرءُ بالمرءِ * إذا ما هو ماشاً
وَلِلْقَلْبِ على القلبِ * دَلِيلٌ حينَ يَلْقَاهُ
وَلِلشَّكْلِ على الشَّكْلِ * مَقَايِسُ وَأَشْبَاهُ
وفي العينِ غِنَى للعَيْنِ * أَنْ تَتَطَّقَ أَفْوَاهُ

وقال المُسَاحِقُ :

يُزْهَدُنِي فِي وَدَّكَ ابْنُ مُسَاحِقٍ * مَوَدَّتُكَ الْأَرْدَالُ دُونَ ذَوِي الْفَضْلِ
وَأَنْ يَشْرَارَ النَّاسُ سَادُوا خِيَارَهُمْ * زَمَانُكَ، إِنَّ الرَّذْلَ لِلزَّمَنِ الرَّذْلُ

باب المحبة

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيد عن حبيب بن عبيد عن المقدم بن معد يكرب، وكان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب أحدكم أخاه فليعلم أنه يحبه".

- وحدثني محمد بن داود عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه. وثلاث من العي: أن تعيب على الناس ما تأتي، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك، وأن تؤذي جليسك فيما لا يعينك.

- ١٠. وكان يقال: لا يكن حبك كلفاً ولا بفضك تلفاً. أي لا تُسرف في حبك وبُفضك. ونحوه قول الحسن: أحبوا هونا فإن أقواما أفرطوا في حب قوم فهلكوا. وكان يقال: من وجد دون أخيه سترًا فلا يهتكه.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أنا في هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

- ١٥. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لطليحة الأسدي: قتلت عكاشة بن محصين! لا يُحبك قلبي! قال: فعاشرة جميلة يا أمير المؤمنين، فإن الناس يتعاضون على البغضاء.

وكتب رجل إلى صديق له: الشوق إليك وإلى عهد أيامك - التي حسنت بك كأنها أعياد، وقصرت بك حتى كأنها ساعات - يفوت الصفات، ومما جدد الشوق

وكثر دواعيه تصاقب الدار، وقرب الجوار، ثم الله لنا النعمة المتجددة فيك بالنظر الى الفرة المباركة التي لا وحشة معها ولا أنس بعدها .

قال الحسن : المؤمن لا يحيف على من يغيض ولا يأثم فيمن يحب .

وقرأت في بعض الكتب : إنه ليبلغ من حسن شفاعَةِ المحبة أن الحبيب يُسِيءُ فيُظَنُّ به الفلأط ويُذنبُ فيُحتجُّ له بالدالة ، وذنبه لا يَحْتَمِلُ التأويل ولا مَخْرَجُ له في جواز العقول .

وفيه : كلُّ ذنبٍ إذا شئت أن تنساه نسيته وإن شئت أن تذكره ذكرته ، فليس بخوف . وليس الصغير من الذنب ما صغره الحب ، وإنما الصغير ما صغره العدل . وليس الذنب إلا ما [لا] يصلح معه القلب ولا يزال حاضرا الدهر ، وإلا ما كان من نتاج اللوم ومن نصيب المعاندة ، فأما ما كان من غير ذلك فإن الغفران يتغمده والحرمة تشفع فيه .

وكتب رجل الى صديق له في فصل من كتاب : لسانى رطبٌ بذركك، ومكانك من قلبي معمورٌ بحبكت . ونحوه قولُ مَعْقِلٍ أخى أبى دُلْفٍ مُحَارِقٍ :
لَعَمْرِي لئن قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ * لَقَدْ سَخَّنتُ بالين منك عيونُ
فَسِرُوا أقم، وَقِفْ عليك مودتي * مَكَانُكَ من قلبي عليك مَصُونُ
وقال رجل لشبيب بن شَيْبَةَ : واللهُ أَحَبُّكَ ، قال : وما يمنعك من ذلك وما أنت لى بجارٍ ولا أخٍ ولا قرابة ! يريد أن الحسد مَوْكَلٌ بالأدنى فالأدنى .

(١) زيادة يقتضها المقام . (٢) فى الأصل : « والله ما أحبك » بزيادة « ما »

وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٤) : « انى أحبك » بدون قسم ، ونسب هذا القول فيه لخالد بن صفوان .

(٣) ولا قرابة : أى ولا ذى قرابة ، وقد أنكر صاحب القاموس استعمال قرابة فى مثل هذا الموضع بدون

إضافة . وتعبه شارحه بأن استعماله بدون الإضافة جائز وورد فى فصيح الكلام من نثر وشعر .

قال رجل لشهر بن حوشب : إني لأُحبك قال : ولم لا تحبني وأنا أخوك
في كتاب الله ووزيرك على دين الله وموثقى على غيرك ! قال بشار :

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فإن الحب أقصاني

وقال غيره :

أحبك حبيب لي واحد * وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي أنت أهل له * فحسن فضلت به من سواكا
وأما الذي في ضمير الحشا * فليست أرى الحسن حتى أراكا
وليس لي المن في واحد * ولكن لك المن في ذا وذاكا

وقال المسيب بن عيسى :

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين أخي الرضا عن ذاك تغمي

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فليست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليله * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال بعض الخلفاء لرجل : إني لأبغضك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع

من فقد الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف . وقال شريح :

خذي العفو متى تستديمي مودتي * ولا تطيقي في سورتى حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى * إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وقال أعرابي : إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع ،

ولا يظهر الود السليم إلا من القلب المستقيم .

وقال آخر : من جمع لك مع المودة الصادقة رأيا حازما ، فأجمع له مع المحبة

الخالصة طاعة لازمة .

قال اليزيدي: رأيتُ الخليل بن أحمد فوجدته قاعداً على طُنْفَسِيَّة^(١)، فأوسع لي فكرهتُ التضييقَ عليه؛ فقال: إنه لا يضيقُ سَمُّ الحِياطِ على متحايينٍ ولا تَسعُ الدنيا مُتباغِضِينَ. وقال أبو زُبَيْدٍ للوليد بن عقبة^(٢):

مَنْ يَحْنُكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلُ * أَوْ يَزُلْ مِثْلَمَا تَزُولُ الظَّلَالُ
فَاعْلَمْ أَنَّي أَخُوكَ أَخُو الْعَمَلِ * يَدِ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
لَيْسَ بُحْلٌ عَلَيْكَ مَنِيَّ بِمَالٍ * أَبَدًا مَا اسْتَقْلَّ سَيْفًا حِمَالُ^(٣)
فَلَكَ النَّصْرُ بِاللِّسَانِ وَبِالْكَفِّ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرَّجَالُ * غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ لِلنَّايَا أَحْيَالُ

وقال المنخلُ البشكري:

وَأَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي * وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

وذَكَرَ أعرابيُّ رجلاً فقال: واللهِ لَكَاتُ الْقُلُوبِ وَالْأَلْسَنِ رِيضَتُ لَهُ، فَمَا تُعْقِدُ إِلَّا عَلَى وَدَّهِ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ.

قال عبدُ الله بن الزُّبير ذاتَ يومٍ: واللهِ لو دِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ صَرَفَ الدِّينَارَ بِالْدَّرْهَمِ؛ فقال أبو حَاضِرٍ: مِثْلُنَا وَمِثْلَكَ

كما قال الأعشى:

عُلِقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِقْتُ رَجُلًا * غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

(١) الطُنْفَسِيَّة (مثلثة الطاء، والفاء): البساط الذي له نخل رقيق. (٢) في الأصل:

«الوليد بن عتبة» بالثاء، وهو تحريف. وأبو زُبَيْدٍ هو المنذر بن حرملة الطائي كان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام إلا أنه لم يسلم ومات نصرانياً، وكان من المعمرين وكان نديم الوليد بن عقبة (أنظر كتاب الشعر والشعراء للزلف) طبع ليدن ص ١٦٧ (٣) في حاسة البحري (طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩): «ما أقل

نعلاً قبالة».

أحبك أهل العراق وأحبت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك
ابن مروان .

وقال عمر لأبي مريم السلولي : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم ؛ قال :
فتمنني لذلك حقاً ؟ قال : لا ؛ قال : فلا صير . وقال عمر أيضاً لرجل هم بطلاق
أمرأته : لم تطلقها ؟ قال : لا أحبها ؛ قال : أو كل البيوت بينت على الحب !
وأين الرعاية والتدبُّم^(١) ! .

قال أعرابي :

أحبك حباً لو بليت ببعضه * أصابك من وجدٍ على جنون^(٢)
لطيف مع الأحشاء أقانهاره * فسبت^(٣) وأما ليله فانين

١٠ وكتب رجل إلى صديق له : الله يعلم أنني أحبك لنفسك فوق محبتى إياك
لنفسى ، ولو أنى خيرت بين أمرين : أحدهما لى عليك والآخرك وعلى ، لآثرت
المروءة وحسن الأحدثنة بإيثار حظك على حظى ، وإنى أحب وأبغض لك ، وأولى
وأعادي فيك .

وقال بعضهم : هون^(٣) فقد يفرط الحب فيقتل ويفرط الغم فيقتل ويفرط السرور
فيقتل ؛ وينفتح القلب للسرور ، ويضيق وينضم للحزن والحب .

١٥

وقالوا : العشق أسم لما فضل عن المحبة . وقال بعضهم : العشق مرض
قلب ضعف . وقال بعض الشعراء :

قم على معشوقه لا يزيد لها * إليه بلاء السوء الاتحيا

(١) التذم للصاحب : أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هون : خفف وأرق ، وفى الأصل : « أهون » .

٢٠

(٤) هو الأعنى كما فى اللسان مادة « تم » ، ومعنى « تم » أكل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدثنا أحمد بن الحليل قال حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن
ابن إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال النبي صلى
الله عليه وسلم : ^(١) «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خِصَالٌ سِتٌّ : يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ ، وَيُجِيبُهُ
إِذَا دَعَاهُ ، وَيُسَمِّنُهُ إِذَا عَطَسَ ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ ، وَيَحْضُرُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ ،
وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» .

قال حدثني شبابة قال حدثنا القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن هشام
ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ مَظْلُومًا نَفَّذْ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا نَفَّذْ لَهُ
مِنْ نَفْسِهِ» .

وحدثني القومسي قال حدثنا أبو بكر الطبري عن عبد الله بن صالح عن معاوية
ابن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن بكير قال قال معاذ بن جبل : إِذَا آخَيْتَ
أَخًا فَلَا تُمَارِهِ وَلَا تُشَارِهِ وَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ ، فَعَسَى أَنْ تَوَافِقَ عَدُوًّا فَيُخَوِّكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ
فَيُفَرِّقَ بَيْنَكُمَا .

وقال الترمذي تَوَلَّى فِي هَذَا الْمَعْنَى :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا حِمَزَةَ بَنَةِ نَوْفَلٍ ^(٤) * جَزَاءً مُغِلًّا ^(٥) بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ

بِمَا سَأَلَتْ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْذِبُوا * عَلَى وَقْدِ الْيَتَامَى فِي النَّوَائِبِ

(١) في الجامع الصغير : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه ...» : (٢) نسبة إلى
قومس (بضم القاف وفتح الميم ، وضبطه الصاغاني بكسر الميم وهو المشهور على الستم) صقع كبير بين خراسان
وبلاد الجبل . (٣) لا تماره : لا تتجادله . ولا تشاره : لا تلاحه وتقاظه . (٤) في الأصل :
«حمزة ابني نوفل» والتصويب عن اللسان مادة «غل» . (٥) المغل : من الإغلال ،
وهو الخيانة .

قال حدثني محمد بن داود [قال] حدثني سعد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عتبة قال قال ابن سيرين : لا تُكْرِمَ أخاك بما يكره، ولا تَحْمِلَنَّ كتاباً إلى أمير حتى تعلم ما فيه .

وكان يقال : يُسْتَحْسَنُ الصَّبْرُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا عَنِ الصَّدِيقِ .

وقال بعض الشعراء :

إذا ضَيِّقْتَ أَمْرًا ضَاقَ جِدًّا * وإن هَوَّنتَ ما قد عَزَّ هَانًا
فلا تَهْلِكْ بَشْيَءٍ فَاتٍ يَأْسًا * فكم أَمْرٌ تَصْعَبُ ثُمَّ لَا فَا
سَاصِرٌ عَنْ رَفِيقٍ إِنْ جَفَانِي * عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهَوَانَا

وقال ابن المقفع : أَبْذُلْ لَصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ ، وَلِمَعْرِفَتِكَ رِفْدَكَ وَمَحْضَرَكَ ،

وَاللَّعَامَةَ بِشْرِكَ وَتَحِيَّتِكَ ، وَلَعَدْوَكَ عَدْلَكَ ، وَضَنْ يَدَيْكَ وَعِزَّضَكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ .

قال أبو اليقظان : وَلِيَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ فَعَمِلَ يُحَاجِّي ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : وَمَا خَيْرُ رَجُلٍ لَا يَقْطَعُ لِأَخِيهِ قِطْعَةً مِنْ دِينِهِ ! .

قالوا : وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَجُوزٍ ، فَقَالَ : ” إِنَّمَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنْ حَسَنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ ” .

قال إبراهيم النخعي : إِنَّ الْمَعْرِفَةَ لَتَنْفَعُ عِنْدَ الْأَسَدِ الْمَهْصُورِ وَالْكَلْبِ الْعَقُورِ
فَكَيْفَ عِنْدَ الْكَرِيمِ الْحَسِيبِ ! . وقال الخليل بن أحمد :

وَقِيْتُ كُلَّ صَدِيقٍ وَدَّيْتُ ثَمَنًا * إِلَّا الْمُؤَمِّلَ دُولَاتِي وَأَيَّامِي

وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق :

وَحِلَّ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ * إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعًا سَمِيمًا

أطاف يَغِيَّةَ قَهِيَّتُ عَنْهَا * وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جُهْدِي فَلَمَّا * أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا

وقال بعض الكوفيين :

فَإِنْ يَشْرَبُ أَبُو فُرُوحٍ أَشْرَبَ * وَإِنْ كَانَتْ مُعْتَقَةً عُقَارًا
وَإِنْ يَأْكُلُ أَبُو فُرُوحٍ آكَلَ * وَإِنْ كَانَتْ خَنَائِصًا صِفَارًا^(١)

وقال رجل من الأعراب لأخيه له : أَمَا وَاللَّهِ رَبِّ يَوْمٍ كَتَنُورِ الطَّاهِي رَقَائِصِ
بَشْرَارِهِ، قَدْ رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيجٍ لَمِيهِ فَاحْتَمِلْتُ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ لَمَّا حُجِبَ^(٢) .

وأنشد ابن الأعرابي :

أُعَمِّصُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي * مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بِبَلَا صَدِيقِ

وقال كُثَيْبٌ :

وَمَنْ لَا يُغَمِّصُ عَيْنَهُ عَنِ صَدِيقِهِ * وَعَنْ بَعْضٍ مَا فِيهِ يَمُتُّ وَهُوَ عَاتِبٌ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ

وقال آخر :

إِذَا مَا صَدِيقِي رَأَيْتُ سُوءَ فِعْلِهِ * وَلَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَنِي بِمُفِيقِي
صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيئُنِي * مَخَافَةً أَنْ أَبْقَى بَغِيرَ صَدِيقِي

ومن المشهور في هذا قولُ النابغة :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ * عَلَى شَعَثِ أَى الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ

(١) الخنايص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) في الأصل : « لما يجب » بالياء .

وكان يقال : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلَّهُ . وأنشدني الرباعي :

إِقْبَلْ أَخَاكَ بِبَعْضِهِ * قَدْ يُقْبَلُ الْمَعْرُوفُ نَزْرًا
وَأَقْبَلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ * إِنْ سَاءَ عَصْرًا سَرَّ عَصْرًا

ونحوه قول الآخر :

أَخٌ لِي كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِخَاؤُهُ * تَلَوْنُ الْوَأَنَا عَلَى خُطُوبِهَا
إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ * دَعْنِي إِلَيْهِ خَلَّةً لَا أَعِيبُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

إَصْبِرْ إِذَا عَضَّكَ الزَّمَانُ، وَمَنْ * أَصْبِرْ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلِهِ
وَلَا تَهِنْ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ * نَفْسِكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوْلِهِ
يَحْمِلُ أَنْفَالَهُ عَلَيْكَ كَمَا * يَحْمِلُ أَنْفَالَهُ عَلَى جَمَلِهِ
وَلَسْتَ مُسْتَقْبِلًا أَخَاكَ لَا * تَصْفَحُ عَمَّا يَكُونُ مِنْ زَلَلِهِ
لَيْسَ الْفَتَى بِالَّذِي يَحُولُ عَنِ السُّمُوءِ وَيُؤَيِّ الصَّدِيقُ مِنْ قَبْلِهِ

وقيل لخالد بن صفوان : أَيْ إِخْوَانُكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : الَّذِي يَغْفِرُ زَلَالِي ،

وَيَقْبَلُ عَلَيَّ وَيَسُدُّ خَلِّي .

وقال بشر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى * ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

وقال الخليلي لأبي دلف :

تَمَلَّكَ إِنْ كُنْتَ ذَا مِرَابَةٍ * مِنَ الْعَالَمِينَ لَشَيْخٍ وَصِيفٍ

(١) كذا بالأصل ، ولعله : « وأقل أخاك » من إقالته العثرة والصفح عنه . (٢) في حاشية

البحري : « ولا تهين للصديق تكريمه » . (٣) في الأصل : « قاصفح » . (٤) في الأصل : « الذي » .

(٥) العلل : الأعذار . (٦) كذا ورد بالأصل ، ولم نوفق إليه في مصدر آخر .

الإنصاف في المودة

كان يقال : لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإني لأستحي أني أن أرى له * على من الحق الذي لا يرى لي^(١)

وله أيضا^(٢) :

إذا أنت لم تُصِف أخاك وجدته * على طرفِ المهجرانِ إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السيفِ من أن يَضِمَّه * إذا لم يكن عن شفرة السيف معِدِلُ^(٣)
ستَقَطُّ في الدنيا إذا ما قطعني * يمينك ، فأَنْظُرْ أَى كَف تَبَدَّلُ
وقال آخر^(٤) :

يا ضَمَّر أخبرني ولست بَحُيرى * وأخوك نافعك الذي لا يَكْذِبُ
هل في القضية أن إذا استغنيتُ * وأمنتم فانا البعيدُ الأجنبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائدِ مرة * أشجيتكم فانا المحبُّ الأقربُ
عجبا لِسلكِ قِضية وإقامتي * فيكم على تلك القضية أعجبُ
ولم أَلِكْ طيبُ البلادِ ورعيها * ولي الثمادُ ورعيهنَّ المُجِدُّ^(٥)

(١) أستحي : آف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفي الحاشية طبع أوربا ص ٥٠٣ ومعه التصحيح على شواهد التلخيص (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمن بن أوس المزني . (٣) في الأصل : « يعدل » والنصوب عن حاشية البحرى ، وفي حاشية أبي تمام : « مزحل » . (٤) قال في اللسان مادة « حيس » : « هو لهنى بن أحمر الكنانى وقيل : هو لراقة الباهلى » . (٥) ورد هذا البيت في اللسان مادة « حيس » وشواهد العيني هكذا :

ولجندب سهل البلاد وعذبا * ولي الملاح وحزننَّ المحب
ثم قال العيني : « ويروى (ولم ألكم أنف البلاد ورعيها) ، والمراد بالمسال هنا الإبل ، وبالأنف : ما لم يرع من النبت ، والرعى : المرعى . وفي الأصل : « أملك » وهو تحريف . (٦) الثماد : جمع ثمد (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء القليل الذي لا مادة له ، وفي الأصل : « ولي الثمار » بالراء . وهو تحريف .

وإذا تكون كرهية أَدْعَى لها * وإذا يُحاس الحيس ^(١) يدعى جندب
هذا لعمرُكم الصغار بعينه * لا أم لي إن كان ذاك ولا أب
وقال ابن عيينة : سئل على كرم الله وجهه عن قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ، فقال : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل .

وقال الشاعر :

صَبَغَتْ أُمِّيَّةٌ فِي الدَّمَاءِ رِمَاحَنَا * وَطَوَتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا
ويقال : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلْيَرْضَ أَنْ يُحَكَّمَ عَلَيْهِ بِهَا ، وَمَنْ سَالَ مَسْئَلَةً فَلْيَرْضَ
بِأَنْ يُعْطَى بِقَدْرِ بَذْلِهِ .

وقال أبو العتاهية :

١٠ إذا ما لم يكن لك حُسْنُ فهِيم * أَسَأَتْ إِجَابَةً وَأَسَاتَ سَمْعًا
وَلَسَتْ الدَّهْرَ مُتَسَعًا بِفَضْلِ * إِذَا مَا ضِيقَتْ بِالْإِنْصَافِ ذُرْعًا
وقال حمادُ عَجْرَد :

لَيْتَ شِعْرِي أَىَّ حَكَم * قَدْ أَرَأَيْتُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطَ * بَيْنَ وَأَتَمَّ تَأْخِذُونَا

وقال آخر :

١٥ إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ * وَيَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرِكُ أَجْمَلُ
وَفِي الْعَيْشِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْمَجَرِّ رَاحَةٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَرَحُلُ ^(٢)

(١) الحيس : التمر والأفط يدقان ويعجنان عجنا شديدا ثم يسوى ذلك كالتريد . وفي الأصل :

« وإذا يجاش الجيش » بالجم والشين ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان

الذي يرتحل إليه ، ويحتمل أن يكون "مرحل" بالزاي بدل الزاء ، والمزحل : المكان الذي

ينقل إليه .

وقال بشار :

إِن كُنْتَ حَاوِلْتَ هَوَانًا * هُنْتُ وَمَا فِي الْهُونِ لِي مِنْ مُّقَامٍ
فِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَلِي مَرَحِلٌ * عَنِ مَتَرٍ نَاءٍ وَمَرَعَى وَخَامٍ^(٢)
لَا نَائِلٌ مِنْكَ وَلَا مَوْعِدٌ * وَلَا رَسُولٌ، فَعَلَيْكَ السَّلَامُ
وقال آخر :

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ * وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ^(١)
وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حَقُّوفاً * عَلَيْهِ لَغْيَرُهُ وَهُوَ الرَّسُولُ^(٤)
وَقَالَ أَكُتْمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : أَحَقُّ مَنْ يَشْرُكُكَ فِي النَّعَمِ شُرَكَاءُكَ فِي الْمَكَارِهِ .
أَخَذَهُ دِعْبِلُ فَقَالَ :

وَإِنَّ أَوْلَى الْبَرَايَا أَنْ تُوَاسِيَهُ * عِنْدَ السَّرُورِ لِمَنْ آسَأَكَ فِي الْحَزَنِ^(٥)
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا * مَنْ كَانَ يَأْلُقُهُمْ فِي الْمَتَرِ الْخَشِينِ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

فَإِنْ آثَرْتَ بِالْوَدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا * عَلَى نَازِحٍ مِنْ أَهْلِهَا لَا أَلُومَهَا
فَلَا يَسْتَوِي مَنْ لَا تَرَى غَيْرَ لَمَةٍ * وَمَنْ هُوَ ثَائٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيْمَهَا^(٦)
وقال رجلٌ لبعض السُّلْطَانِ : أَحَقُّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ،
وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِنْصَافِ مَنْ بُسِطَتْ الْقُدْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَدِمَ مَا أُوتِيَتْ مِنَ النِّعَمِ بِتَأْدِيَةٍ
مَا عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ .

قال المستهملُ بْنُ الْكُتَيْبِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانٍ عَدُوِّكُمْ * وَخِفْنَا كُمْ إِنَّ الْبَسَاءَ لَرَاكِدُ

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى الوخام : الذي لا ينتجع كلوه لسونه .

(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيري ويسمى غائد الكلب . قاله في عبد الله بن حسن بن حسن (انظر

الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١) . (٤) كذا في الكامل . وفي الأصل : «لأهلها» .

(٥) انظر المقفد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقد ورد فيه هذا البيت ببعض مخالفة عما هنا .

(٦) الله : المنة من الإلمام ، والإلمام الزيارة غبا . ولا يريمها : لا يفارقها ولا يتحول عنها .

مداراة الناس وحسن الخلق والحوار

القرلة ٩١

قال حدثنا الحسين بن الحسن [قال] حدثنا عبد الله بن المبارك عن وهيب^(١) قال : جاء رجل الى وهب بن منبه فقال : إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد حدثت نفسي ألا أخاطبهم ؛ فقال له وهب : لا تفعل ، فإنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم ؛ لهم إليك حوائج ، ولك اليهم حوائج ، ولكن كن فيهم أصم سميعا ، وأعمى بصيرا ، وسكوتا نطوقا .

قال وحدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن علي^(٢) ابن رباح^(٣) قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أربع خلال^(٤) إن أعطيتن فلا يضرك ما عدل به عنك من الدنيا : حسن خلقية ، وعفاف طعية ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

١٠

قال : وبلغني عن وكيع عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن باب^(٥) قال : قال عبد الله بن مسعود : خالطوا الناس وزايلوهم^(٥) [ورديك لا تكلن^(٥)]

القرلة للظاهر ٩٢

عن وكيع عن سفيان عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعة بن صوحان^(٦) لابن أخيه : إذا لقيت المؤمن فخالطه ، وإذا لقيت الفاجر فخالقه ، وديك فلا تكلن^(٦) . قال المسيح صلى الله عليه : «وكن وسطا وأمش جانبا» .

١٥

(١) في الأصل : « فقد » . (٢) كذا ضبعه في تهذيب التهذيب بالتصغير .

(٣) في الأصل : « رباح » بالياء المثناة ، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعمة : وجه

الكسب طيبا أرحينا . (٥) كذا في النهاية لابن الأثير . وزايلوهم : فارقوم . وفي الأصل :

« وزايلوهم » . (٦) كذا في المقدم الفريد ، وفي الأصل : « فخالصه » بالصاد ، وخالصة في الدشرة :

صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالخالطة في هذا المقام أنسب .

٢٠

وروى أبو معاوية عن الأحمص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال قال أبو الدرداء : إنا لنكثير في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم^(١) .

ودخل لبيدة العجلي^(٢) على عمر رضي الله عنه ، فقال له عمر : أقتلت زيدا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قتل رجل يسمى زيدا ، فإن يكن أخاك فهو الذي أكرمه الله بيدي ولم يهني به ؛ ثم لم ير من عمر بعد ذلك مكروها .

قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قلت لأبي : لم تجلس إلى فلان وقد عرفت عداوته ؟ فقال : أخبي نارا وأقدح عن ود . وقال المهاجر بن عبد الله الكلابي : وإني لأقضي المرأة من غير بغضة * وأدني أخا البغضاء مني على عميد ليحدث ودا بعد بغضاء أو أرى * له مصرا يردي به الله من يردي

وقال عقال بن شبة : كنت رديف أبي ، فلقية جرير على بغل خياه أبي والطفه ؛ فلما مضى قلت : أبعده ما قال لنا ما قال ! قال : يا بني ، أفأوسع جرحي ! . قال ابن الحنفية : قد يدفع باحتمال مكروه ما هو أعظم منه .

قال الحسن : حسن السؤال نصف العلم ، ومداواة الناس نصف العقل ، والقصد في المعيشة نصف المؤونة .

مدح ابن شهاب شاعر فاعطاه ، وقال : من أبتغي الخير أتقى الشر .

(١) الكثر : ظهور الأسنان للضحك يقال : كاشره اذا ضحك في وجهه وبأسطه . وفي رواية

« وإن قلوبنا لتلعنهم » بدل « تلعنهم » . (٢) لم نعر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن

الخطاب في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وجعل يشت بالراية ويتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، وقيل إن قاتله

الرحال بن عفرة كما قيل إنه أبو مريم الحنفي .

وفي الحديث المرفوع : «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخَلْقُ الْحَسَنُ» . وقال : إِنَّ
حَسَنَ الْخَلْقِ وَحُسْنَ الْخَوَارِ يُعْمَرَانِ الدِّيَارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ . وقال : مَنْ حَسَنَ
اللَّهُ خَلْقَهُ وَخَلَقَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قال الشاعر :

فَتَى إِذَا نَبَّهَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ * أبيضُ بَسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ
مُوَكَّلُ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ * أَفْصَى رَفِيقَةٍ لَهُ كَالْأَجْنِبِ^(١)

وقرأتُ في كتب العجم : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرُ قَرِينٍ ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ ،
والتَّوْفِيقُ خَيْرُ قَائِدٍ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : مَا تُبَالِي الْمَرْأَةَ إِذَا نَزَلَتْ بَيْنَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ
صَالِحِينَ إِلَّا تَنَزَّلَ مِنْ أَوْيُنَا .

وقال جعفر بن محمد : حُسْنُ الْخَوَارِ عِمَارَةٌ لِلدَّارِ ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ مَثْرَاءٌ لِلْأَلِ .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ثَلَاثَةٌ مِنْ قَرِيشٍ أَحْسَنُهَا أَخْلَاقًا وَأَصْبَحُهَا
وَجُوهَا وَأَشَدُّهَا حَيَاءً ، إِنْ حَدَّثُوكَ لَمْ يَكْذِبُوكَ ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ لَمْ يُكْذِبُوكَ :
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وقال يزيد بن الطَّرَفِيَّةِ :

وَأَبْيَضُ مِثْلِ السَّيْفِ خَادِمِ رُفْقَةٍ * أَشْمُ تَرَى سِرْبًا لَهُ قَدْ تَقَدَّدَا^(٢)
كَرِيمٍ عَلَى عِلَاتِهِ لَوْ تَسُبُّهُ * لَفَدَاكَ رِسْلًا لَا تَرَاهُ مُرَبَّدَا^(٣)
يُجِيبُ بِلَيْسِهِ إِذَا مَا دَعَوْتَهُ * وَيَحْسِبُ مَا يُدْعَى لَهُ الدَّهْرُ أَرْشَدَا^(٤)

(١) لعله : « كالأقرب » ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تقطع وبلى . (٣) في الشعر والشعراء :

« غزاة » . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل ، والأصل في هذه
الكلمة أن تضاف إلى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشتوني على الألفية في باب الإضافة) .

وقرأت في كتاب للهند : مَنْ تَزُودُ نَحْسًا بَلَّغْتَهُ وَأَتَمَّنْتَ : كَفَّ الْأَذَى ، وَحَسُنُ
الْخُلُقِ ، وَمُجَانِبَةُ الرَّيْبِ ، وَالتَّوْبَلُ فِي الْعَمَلِ ، وَحَسُنُ الْأَدَبِ .
وقال المتزاري مداراة القرابة :

أَلَا إِنَّمَا الْمَوْلَى كَمَظْمٍ جَبَرْتَهُ * فَلَا يَخْرُقِ الْمَوْلَى وَلَا جَابِرُ الْعَظِيمِ
وقال آخر في مداراة الناس :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّسْوَى دَارَ غُرْبَةٍ * إِذَا شِئْتُ لَا قِيْتُ أَمْرًا وَلَا أَشَاكِلُهُ
فَخَامَقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ * وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
وقال بشار :

خَلِيلِي إِنْ الْعَسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ نَخْلِقُ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوتُ

التلاقي والزيارة

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا الفضل بن دكين عن طلحة بن عمر عن عطاء
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زُرْ غِبًّا تَزِدَّ حُبًّا » .
وقال الأصمعي : دخل حبيب بن سويد على جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقال
جعفر : حبيب بن سويد وأد الصديق ، حَسَنُ النَّسَاءِ ، يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمُحَلَّةَ ، وَالْقَعْدَةَ
الْمُنْسِيَةَ .

وقرأت في كتاب للهند : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَزِيدُ فِي الْإِنْسِ وَالنِّقَّةِ : الزِّيَارَةُ فِي الرَّحْلِ ،
وَالْمُؤَاكَلَةُ ، وَمَعْرِفَةُ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ .
وقال الطائي :

وَحَظُّكَ لَقِيَّةٌ فِي كُلِّ عَائِمٍ * مُوَافَقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

(١) الرجل : منزل الرجل ومسكنه وبه ، يقال : دخلت على الرجل رحله أي منزله .

قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الصوف عن موسى بن يعقوب السدوسي عن أبي السنان عن عثمان بن أبي سودة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخَا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْسَاكَ تَبَوَّأَتْ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا".

كتب رجل الى صديق له : مَثَلْنَا ، أَعَزَّكَ اللهُ ، فِي قُرْبِ تَجَاوُرِنَا وَبُعْدِ تَرَاوُرِنَا .
ما قال الأول :

ما أَقْرَبَ الدَّارَ وَالْجَوَارَ وَمَا * أَبْعَدَ مَعُ قُرْبِنَا تَلَاقِينَا
وَكُلُّ غَفْلَةٍ مِنْكَ مُحْتَمَلَةٌ ، وَكُلُّ جَفْوََةٍ مَغْفُورَةٌ ، لِلشَّغْفِ بِكَ ، وَالشَّغْفِ بِحَسَنِ
نَيْتِكَ ، وَسَاخِذَ بِقَوْلِ أَبِي قَيْسٍ :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيُزْنُهَا * وَتَعْتَلُّ عَنْ إِيْتَانِهِنَّ فَتَعْذُرُ

وقالت أعرابية :

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزَّيَارَةِ إِنِّي * أَزُورُكُمْ إِذْ لَمْ أَجِدْ مُتَعَلِّلًا

وكتب رجل الى صديق له يستريه : طَالَ الْعَهْدُ بِالْاجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكُرُ
عِنْدَ التَّلَاقِ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ لِلْسَّرُورِ نِظَامًا ، وَلِلْأُنْسِ تَمَامًا ، وَجَعَلَ الْمَشَاهِدَ مُوحِشَةً
إِذْ خَلَّتْ مِنْكَ .

وقال سهل بن هارون :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَطُولَ بَنَائِلُ * وَإِلَّا لِقَاءُ الْمَرْءِ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِي

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت ، لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن وائل الخ (أنظر الأغاني

ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا في خزائن الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٤٨ والأغاني ج ١٥

ص ١٦٦ طبع بولاق ، وفي الأصل «ويكرمنها» بآيات النون وهي لغة رديئة .

وقال بشار :

تسقط الطير حيث تلتقط^(١) الحب وتُنشئ منازل الكرماء
قال رجل لصديق له : قد تصدّيت للقائك غير مرة فلم يقصّ ذلك ، فقال له
الآخر : كلُّ برّانيه فانت تأتي عليه .

قال ابن الأعرابي :

وأري إلى الأرض التي من ورائكم * لترجّني يوماً عليك الرواجع
وقال آخر :

رأيت أبا الدنيا وإن بات آمنا * على سفريئسرى به وهو لا يدري
تأفّكت إلا عن يدٍ أستفيدها * وزورة ذى ودٍّ أشدّ به أزرى

وقال آخر :

أزور محمداً وإذا التقينا * تكلمت الضمائر في الصدور
فارجع لم الله ولم يلمني * وقد رضى الضمير عن الضمير
كان سفيان بن عيينة يقول : لا تعفّروا الأقدام إلا إلى أقدارها ، وأنشد :
نضع الزيارة حيث لا يزرى بنا * شرف الملوك ولا تحجب الزور^(٢)
وكان يقال : أمش ميلاً وعدّ مريضاً ، وأمش ميلين وأصلح بين اثنين ، وأمش
ثلاثة أميال وزر أخا في الله .

وقال بعض المحدثين :

إذا شئت أن تقلّ فزر متابعاً * وإن شئت أن تزداد حبا فزر غيباً

(١) الذي في الأغاني في ترجمة بشار : « يَنْتَرُ الحَبَّ » . (٢) في الأصل : « يضع

الزاري » وهو تحريف .

وقال آخر :

أَقْلَبُ زيارَتِكَ الصَّيْدِ * بِقَ يراك كالثوبِ أَسْتَجِدُهُ^(١)
إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّهُ * أَلَّا يَزَالَ يراك عِنْدَهُ

قال رجل لصديق له : ما أخلو وإن كان اللقاء قليلا من سؤال أو مطالعة لك ، فقلبي يقوم مقام العيان .

وقال آخر لصديق له : قد جمعنا وإياك أحوال لا يُزرى بها بعدُ اللقاء ولا يُخل بها تنازعُ الديار .

وقال آخر : لولا ما في بديه اللقاء من الحيرة والتعريض به قبل معرفة العين للجبوة ، لم أتوقف على مطالعة حتى أصير اليك .

وقال الشاعر :

ومالَى وجهٌ في اللثام ولا يدُ * ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصحُّ إذا لاقيتهم وكأني * إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ

وقال علي بن الجهم :

أَبْلِغْ أَخَا ما تَوَلَّى اللهُ صَحْبَتَنَا * أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ لا أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ
وَأَنْ طَرَفِي مَوْصُولٌ بِرُؤْيَيْهِ * وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنْ مَثَوَايَ مَثَوَاهُ
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكَرُهُ * وَكَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

(١) كذا في نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية ، وقد نسب فيه هذا الشعر لمسلم بن

الوليد وفي الأصل : « تكن كتب تستجده » .

المعاتبة والتجني

قال حنشا محمد بن داود عن المضاء عن فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر قال قال أبو الدرداء : معاتبة الأخ خير من فقدته ، ومن لك بأخيك كله ! .
وكان يقال : التجني وافد الصرم .

• قرأت في الإنجيل : إن ظلمك أخوك فأذهب فعاتبه فيما بينك وبينه ، فإن أطاعك فقد ريمت أخاك وإن هو لم يطعك فاستتب رجلا أو رجلين يشهدان ذلك الكلام ، فإن لم يستمع فإنه أمره إلى أهل البيعة ^(١) ، فإن لم يستمع من أهل البيعة فليكن عندك كصاحب المكس .

وقال ابن أبي قنن :

إذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب من غير جرم عليا
طلبت رضاك فإن عزني * عددتك ميتا وإن كنت حيا
قنيت وإن كنت ذا حاجة * فأصبحت من أكثر الناس شيا
فلا تمجن بما في يدك * فأكثر منه الذي في يديا

وقال أبو نهشل يماثب صديقا له :

عدلت عن الرحاب إلى المضيق * وزرت البيت من غير الطريق
وتظلم عند طاعتك الموالى * وليس الظلم من فعل الصديق
تجود بفضل عدلك للأقاصى * وتمنعه من الحل الشفيق
أما والراقصات بذات عرق * ورب البيت والركن الوثيق
لقد أطلقت لي نهما أراها * ستحملني على ماض العقوق

(١) البيعة : (بالكسر) متعبد النصارى . (٢) الراقصات : النوق ، لأنها ترقص في خبيها .

(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وقال آخر :

فدع العتاب فربَّ شرَّ هاج أوله العتابُ

وقال الجعدي :

وكان الخليل إذا راني * فعاتبته ثم لم يُعَيِّب^(١)
هَوَايَ له وهَوَى قَلْبِهِ * سوى وما ذاك بالأصوب
فإني جرىء على صُرْمِهِ * إذا ما القرينة لم تُصَحِّب^(٢)

قال رجل لصديق له يعاتبه : ما أشكوك إلا إليك ، ولا أستبطئك إلا لك ،
ولا أستريدك إلا بك ، فانا منتظرٌ واحدة من آنتين : عتبي تكون منك ، أو عُقبي
الغنى منك .

وقال آخر : قد حميت جانب الأمل فيك وقطعت الرجاء لك ، وقد أسلمني
اليأس منك إلى العزاء عنك ، فإن نزعت من الآن فصفح لا تُثريب فيه ، وإن
تماديت فهجر لا وصل بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خير في قُرْبِي لغيرك نفعها * ولا في صديق لا تزال تُعَاتِبُهُ
يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفي لك عند الجهد من لا تُنَاسِبُهُ^{١٥}
وقال آخر وهو أوس بن حجر :

وقد أعتب ابن العم إن كان ظالما * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا
وكتب رجل إلى صديق له : الحال بيننا تحتل الدالة ، وتوجب الأنس والثقة ،
وتبسط اللسان بالاستراحة .

(١) أي لم يرضى ، من أعتب الرجل صاحبه إذا أَرْضاه .
(٢) القرينة هنا : النفس ،
وأصعبت : اتقادت .

وكتب رجل آخر الى صديق له : قد جعلك الله ممن يحتمل الدالة الكبيرة
لذي الحرمة اليسيرة، ورفعك عن أن تبلغ استراة المستريد بعنف الحمية .
والعرب تقول لمن عوتب فلم يعتب : « لك العتبى بأن لا رصيت »^(١) .

ونحوه قول بشر بن أبي خازم :

غَضِبْتُ تَمِّمُ أَنْ تُقَتِّلَ عَاصِرُ * يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلِمِ^(٢)

وقال أوس بن حارثة لأبنة : العتاب قبل العقاب . وهذا نحو قول الآخر :
ليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

وقال إياس بن معاوية : خرجت في سفر ومعى رجل من الأعراب ، فلما كان
ببعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعابا والى جانبيهما شيخ من الحنابلة ، فقال لهما
الشيخ : أنعماً عيشاً ، إن المعاتبة تبعث التجنى ، والتجنى يبعث المحاصمة ، والمحاصمة
تبعث العداوة ، ولا خير في شيء ثمرته العداوة ، فقلت للشيخ : من أنت ؟ قال :
أنا ابن تجرية الدهر ومن بلا تلونه ، فقلت له : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به ،
قلت : فماذا رأيت أحمد ؟ قال : أن يبقى المرء أحدوثه حسنة بعده ، قال : فلم أبرح
ذلك الماء حتى هلك الشيخ وصليت عليه .

وقال رجل لصديق له : أنا أبقى على مودتك من عارض يغيره وعتاب يقدح^(٣)
فيه ، وأؤمل نائياً من رأيك يغني عن اقتضائك .

(١) أى أن إعتابى إياك بقولك : لا رصيت ، على وجه الدعاء أى لا رصيت أبدا .

(٢) يوم النصار : ذكره أبو عبيدة فقال : محافت أسد وطى ، وغطفان فغزوا بنى عامر فقاتلهم قتالا
شديدا فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طيما أشد ما قتلت عامرا يوم

النصار . والصيلم : السيف . (٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الود .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْعَتَابِ : تَأْنِيْنَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرِ غَفْلَتِكَ ، وَتَرْقُبْنَا أَنْتَبَاهَكَ مِنْ
وَسَنِ رَقَدَتِكَ ، وَصَبَرْنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ حَتَّى بَانَ لَنَا الْيَأْسُ مِنْ خَيْرِكَ ، وَكَشَفَ
لَنَا الصَّبْرُ عَنْ وَجْهِ الْغَلْطِ فِيكَ ، فَهَذَا نَحْنُ قَدْ عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي تَعْدِيكَ لِطَوِيلِ
حَقِّ مَنْ غَلِطَ فِي آخِيَارِكَ .

وقال الشاعر :

فَأَيُّهُمَا يَا لَيْلَ إِنْ تَفْعَلِي بِنَا * فَأَخْرَمَهُ جَوْرٍ وَأَوَّلُ مُعْتَبٍ

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب : يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ إِذَا تَجَاوَزَ بِهِ
الرَّيْسُ حَقَّ مَرَاتِبَتِهِ بِعَمَلِهِ ، وَكَانَ تَفْضِيلُهُ إِنَّمَا وَقَعَ لَهُ بِخَفَتِهِ عَلَى الْقَلْبِ وَمَحَلِّهِ مِنْ
الْأَدَبِ ، أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِمَثَلِهِ إِنْ كَانَ مُحَامِيًّا عَلَى مَحَلِّهِ ، وَإِلَّا فَلَنْ يُؤْمِنَ عَلَيْهِ . معنى
بيت شريح :

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى * إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

باب الوداع

قال حدثني محمد بن خالد بن خديش قال حدثنا مسم حدثنا سلم بن قتيبة عن
إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية عن نافع عن ابن عمر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا ودَعَ رَجُلًا "أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِمَ
عَمَلِكَ وَآخِرَ عَمْرِكَ" .

قال وحدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن
أبي كعب الأزدي عن موسى بن ميسرة عن أنس بن مالك : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ

(١) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني والخلاصة في أسماء الرجال للجزري فيمن اسمه إبراهيم .

وفي الأصل : « إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية » وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث

في الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد سفراً غداً فقال " في حفظ الله وكنته زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت " .

المعتمر عن إياس بن دغفل قال : رأيت الحسن ودع رجلا وعيناه تهملان وهو يقول :

وما الدهر إلا هكذا فأصطرله * رزية مالٍ أو فراق حبيب
قال وودع رجل صديقه له وهو يقول :

وداعك مثل وداع الربيع * وفقدك مثل افتقاد الديم^(١)
عليك السلام فكم من وفاء * نفارقه منك أو من كرم

وقال الطائي :

بين البين فقسدها، قلما تع * ريف فقسداً للشمس حتى تفيها

وقال جرير :

يا أخت ناجية السلام عليكم * قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل
أو كنت أهرب وشك بين عاجل * لقنعت أو لسالت ما لم يسأل

وبلغني عن بكر المازني أنه قال : دخلت على الواثق حين أمر بجلي، فقال لي :

ما أسمك؟ فقلت : بكر، قال : من خلقت وراءك، قلت : بنية^(٢)، قال : ما قالت

عند وداعك؟ قلت : قالت :

إذا غبت هنا وخلصنا * فإننا سواء ومن قد يم

(١) الديم : جمع ديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٢) في الأصل : « قال » .

أَبَانَا فَلَا رِمَتْ مِنْ عِنْدَنَا * فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ^(١)
أَبَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا * دُنْجَفَى وَتُقَطَّعُ مِنَّا الرِّحْمُ^(٢)

قال : فما قلتَ لما أنتَ ؟ قال : قلت ما قال جرير :

نَقِ بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ * وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

كان لبني عُقَيْلِ عَبْدُ رَضِيعٍ بِلْبَانٍ بَعْضُهُمْ فَبَاعُوهُ ، فقال حين شَخَّصَ بِهِ مَوَالِيَهُ
شِعْرًا :

أَشُوقًا وَلَمَّا يُمَضُّ بِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمَطِيُّ بِنَا شَهْرًا^(٣)

وقال مسلمُ بنُ الوليد :

وَلَمَّا نِيَّ وَاسْمَاعِيلَ عِنْدَ وَدَاعِهِ * لَكَ الْغَمْدُ يَوْمَ الرُّوْعِ زَايِلَهُ النَّصْلُ

فَإِنِ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ وَأَزْوَارَهُمْ * فَكَالْوَحْشِ يُذْنِبُهَا مِنَ الْأَنْسِ الْمَحْلُ^(٤)

وقال آخرُ عند توديعه :

عَجِبْتُ لَتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ يُجِبُّهُ * وَتَدْنُو بَيْنَ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال آخر :

مَالَتْ تُودَعْنِي وَالْقَلْبُ يَغْلِبُهَا * كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْفُصْنِ

ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ وَقَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ * يَا لَيْتَ مَعْرِفِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنْ^(٥)

وقال آخرُ لرجل ودَّعه : بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَكُفَّ مِنْ غَرْبِ الشُّؤْنِ ، وَنَسْتَعِينَ عَلَى

فُرْقَةِ الْوَحْشَةِ بِالْكَتُبِ ، فَإِنَّا أَلْسُنٌ نَاطِقَةٌ ، وَعَيُونٌ رَامِقَةٌ .

(١) يقال : مارمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادة «ضمير» :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْخِ بَدَلَ «أَبَانَا» . وقال : وَأَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ : غَيَّبَتْهُ إِذَا مَيَّتَ أَوْ سَفَرَ .

(٣) الرواية المشهورة : أَشُوقًا وَلَمْ يَمُضْ لِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا خَبَّ الْمَطِيُّ بِنَا عَشْرًا

(٤) الْأَنْسُ : الْإِنْسُ . (٥) الْغَرْبُ : مَسِيلُ الدَّمْعِ ، وَالشُّؤْنُ : الدَّمْعُ .

وقال البُحرى :

اللهُ جَارُكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ * تَلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْدُلْنِي فِي مَسِيرِ * بِرِي يَوْمَ سِرْتُ وَلَمْ أَلَاكَ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا * لِلْبَيْنِ تَسْفَعُ غَرْبَ مَاكَ
وَعَلِمْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَدُّعُ * عِنْدَ ضَمِّكَ وَأَعْتِنَاكَ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا * وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

الهدايا

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا عمير بن عمران قال حدثنا الحارث بن عتبة
عن العلاء بن كَثِيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”تَصَاحَفُوا
فَإِنَّ الْمَصَافَةَ تُذْهِبُ غِلَّ الصَّدُورِ، وَتَهَادُّوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بِالسَّخِيمَةِ“ .^(٢)

وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”لَوْ أُهْدِيَتْ لِي ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ^(٣)، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ^(٤)
لَأَجَبْتُ“ .

وفي حديث آخر : ”تَهَادُّوا تَحَابُّوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَفْتَحُ الْبَابَ الْمَصْمُتِ وَتَسْلُ
سَخِيمَةَ الْقَلْبِ“ .^(٥)

قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : سمعتُ نافعاً يحدث
قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنة .

(١) كذا في ديوان البُحرى . وفي الأصل : « شَمِّكَ » . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد .
(٣) كذا في الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث في البخارى ج ٣ ص ١٥٤
هكذا : ”ولو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع أو كراع لقبلت“ . (٤) الكراع
بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزبير بن بكار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
يجلس وعمرو بن عبد الله بن صفوان ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعث إلى
الحارث في كل يوم بقرية من ألبان إبله ، فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهله ^(١) [فقال] :
لا تبعثوا للحارث باللبن فإننا لا نأمن أن يرده علينا ؛ وأنقلب الحارث إلى أهله فقال :
هل أتاكم اللبن ؟ قالوا : لا ؛ فلما راح الحارث بعمره قال : يا هذا لا تجمع علينا الحجر ^(٢)
وحبس اللبن ؛ فقال : أما اذ قلت هذا فلا يحملها إليك غري ، فحملها من ردم بني جمع ^(٣)
إلى أجياد ^(٤) .

وبعث النضر بن الحارث إلى صديق له يسكن عبادان بنعلين مخصوفتين وكتب
إليه : بعثت إليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى ، ولكنني أحببت أن تعلم أنك
منى على ذكرى .

١٠

وقال بعض الشعراء :

إِن المَدِيَّةَ حُلُوَّةٌ * كالسَّحَرِ تَجَلِبُّ القُلُوبَا
تُدْنِي البَغِيضَ مِنَ الهَوَى * حَتَّى تُصَيِّرَهُ قَرِيْبَا
وَتُعَيِّدُ مُضْطَظِّنَ العَدَا * وَبَعْدَ نُفْرَتِهِ حَبِيْبَا

أهدى رجل إلى صديق له عبدا أسود ؛ فكتب إليه : أما بعد ، فلو علمت
عددا أقل من واحد أولونا ثمرا من الأسود لبعثت به إلى . وهذا نظير قول الآخر

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) في الأصل : « فقال » . (٣) في الأصل :
« لا » . (٤) ردم بني جمع : موضع بمكة سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بني جمع بن عمرو
وبين محارب بن فهر ردم فيه كثير من بني جمع . (٥) أجياد : موضع بمكة ، على الصفا ، واختلف
في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمي بذلك لأن تبعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك .
(٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكتين في بحر فارس .

٢٠

وقد سُئِلَ كم لك من الولد؟ قال: خيْتُ قَليْلٌ؛ قيل: وكيف؟ فقال: لا أَقلُّ من واحد ولا أَخبَث من بنت.

أَهْدَى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً، فكتب اليه الأميرُ: قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء.

وكان ابن عباس يقول: مَنْ أَهْدَيْتَ اليه هديةً وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها؛ فأهدى اليه صديقٌ ثياباً من ثياب مصر وعنده أقوام فأمر برفعها، فقال له رجل: ألم تُخبرنا أن مَنْ أَهْدَيْتَ له هديةً وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها! فقال: إنما ذلك فيما يؤكَلُ ويُشْرَبُ وَيُشَمُّ، فأما في ثياب مصر فلا.

وقال خلف الأحمر:

أَتَانِي أَخٌ مِنْ غَيْبَةٍ كَانَ غَايِبَا * وَكُنْتُ إِذَا مَا غَابَ أَنْشُدُهُ رَجَاً
بِجَاءٍ بِمَعْرُوفٍ كَثِيرٍ فَدَسَّه * كَمَا دَسَّ رَاعِي السَّوْءِ فِي حِضْنِهِ الْوَطْبَا^(٢)
فَقُلْتُ لَهُ هَلْ جِئْتَنِي بِهَدِيَّةٍ * فَقَالَ بِنَفْسِي قُلْتُ أَتَحِفُّ بِهَا الْكَلْبَا^(٣)
هِيَ النَّفْسُ لَا أَرِي لَهَا [مِنْ] بَلِيَّةٍ * وَلَا أَتَمْنِي أَنْ رَأَيْتُ لَهَا قُرْبَا
أَهْدَى رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ وَكَتَبَ إِلَيْهِ: الْأَنْسُ سَهْلٌ سَبِيلَ الْمَلَاظِفَةِ، فَأَهْدَيْتُ
هَدِيَّةً مِنْ لَا يَحْتَشِمُ، إِلَى مَنْ لَا يَقْتَنِمُ.

وحدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا أبو سلمة عن حُبَابَةَ بنتِ عَجْلَانَ عن أمها
أم حفص عن صفية بنت جرير عن أم حكيم بنت وداع الخُزَاعِيَّةِ قالت: قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم: ما جزاءُ الغنيِّ من الفقير؟ قال: "النصيحة والدعاء"

(١) نشده: عزفه وسأل عنه. (٢) الوطْب: سقاء اللبن. (٣) تكلمة يقتضيها

قلت : يُكْرَهُ رُدُّ اللَّطْفِ ؟ قال : " ما أَقْبَحَهُ ، لو أَهْدَيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، ولو دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجِبْتُ ، تَهَادَوْا فَإِنَّهُ يُضْعِفُ الْحُبَّ وَيَذْهَبُ بِغَوَائِلِ الْقُلُوبِ " .
وحدثني محمد بن سلام الجَحِّيُّ قال حدثني خلاد بن يزيد الباهلي قال :
أُهِدِيتُ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ في يومِ المِهْرَجَانِ هدايا وهو أمير العراق فصُفَّتْ بين يديه ، فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كَأَنَّ شَمَامِيَسَ فِي بَيْعَةٍ * تَسْبِحُ فِي بَعْضِ عِيدَاتِهَا
وَقَدْ حَضَرَتْ رَسْلَ المِهْرَجَا * نِ وَصَفُوا كَرِيمَ هَدِيَّاتِهَا
عَلَوْتُ بِرَأْسِي فَوْقَ الرُّءُوسِ * فَأَشْخَصْتُهُ فَوْقَ هَامَاتِهَا^(٣)
لَأَكْسِبَ صَاحِبَتِي صَحْفَةً * تَغِيْظُ بِهَا بَعْضَ جَارَاتِهَا^(٤)

فأمر له بجارٍ من ذهب ، ثم أقبل يفرق بين جلسائه تلك الهدايا ، وينشد :

لَا تَجَلَّتْ بِدُنْيَا وَهِيَ مَقْبَلَةٌ * فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ
فَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا * فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أُدْبِرَتْ خَلْفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السُّلْطَانِ إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ يَسْتَمْدِيهِ مِهَارَةً مِنْ نَاحِيَةِ
عَمَلِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْعَامِلُ : أَمَّا الْمِهَارَةُ فَإِنَّ أَهْلَ عَمَلِنَا يَصُونُونَهَا صِيَانَةَ الْأَعْرَاضِ ،
وَيَسْتَرُونَهَا سِتْرَ الْحُرْمِ ، وَيُسَوِّمُونَ بِهَا مَهْوَرِ الْعَقَائِلِ ؛ وَأَنَا مُسْتَخْلِصٌ لَكَ مِنْهَا
مَا يَكُونُ زَيْنَ الْمَرْيَاطِ وَحَمْلَانِ الصَّدِيقِ^(٦) ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) اللطف : اسم من ألطفه بكذا إذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .

(٣) كذا في الشعر والشعراء ، وفي الأصل : « فأشخصتها » والرأس مذكور . (٤) كذا في الشعر

والشعراء . وفي الأصل « تفيض » : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد

الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلماً لطفت ودقت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلماً عظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع .
وكتب أبو السمط :

بدولة جعفر حسن الزمان * لنا بك كل يوم مهرجان
ليوم المهرجان بك آخيتال * وإشراق ونور يُستبان
جعلت هديتي لك فيه وشياً * وخير الوشي ما نسج اللسان

أهدى حسام بن مصك الى قتادة نعلاً رقيقة، فجعل قتادة يزنها بيده، وقال :
إنك تعرف تخفف عتيل الرجل في سخف هديته .

وقال الشاعر :

سقى مُجَاجِنَا نَوءَ الثَرِيَا * على ما كان من بُحْلِ ومَطْلٍ
همُ جمعوا النعال وأحزوها * وسدوا دونها باباً بقفلٍ
فإن أهديتُ فاكهةً وجدياً * وعشر دجاج بعثوا ينعل
ومسوا كَيْنِ طولها ذراعٌ * وعشر من رديء المقل^(١) حُسل
فإن أهديتُ ذاك ليحملوني * على نعلٍ فصدق الله رجلي
أناس تأنهون^(٢) لهم رواءٌ * تَغِيْمُ سماءهم من غير ويل
إذا آنسبوا ففرع^(٣) من قريش * ولكن الفِعالِ فِعالٌ عكِل^(٤)

كتب رجل الى صديق له : لولا أن البضاعة قصرت بي عن بلوغ الهمة
لأتعبت المسابقين الى برك . وكرهت أن تطوى صحيفة البر، وليس لي فيها ذكر ،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحسل : جمع حسيل، والحسيل : رذال الشيء . (٢) تأنهون :

متكبرون، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه

غفلة ويستحق : عكلى .

فبعثت إليك بالمبتدأ يمينه وبركته، والمختوم بطييه ورائحته : جراب ملح، وجراب
أشنان^(١) .

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلباً وكتب إليه :

قد بعثنا إليك أكرمك الله * به بشيء فكن له ذا قبول

لا تقسه إلى ندى كفك الغم * رولا نيلك الكثير الحزيل

وأغفر قلة الهدية متى * إن جهد المقل غير قليل

وبعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها :

نعل بعثت بها لتلبسها * تسعى بها قدم إلى المجد

لو كان يمكن أن أشركها^(٢) * جلدي جعلت شراكها خدي

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك :

أو ما رأيت الورد أتحفنا به * إتحاف من خطر الصديق بياله

لو كان يهدى لأمرئ ما لا يرى * يهدى لعظم فراقه وزiale

لرددت تحفته عليه وإن علت * عن ذاك وأستهديت بعض خصاله

وقال المهدي :

تفاحة من عند تفاحة * جاءت فإذا صنعت بالفؤاد

والله ما أدرى أبصرتها * يقظان أم أبصرتها في الرقاد

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إني تصفحت أحوال الأتباع الذين

يجب عليهم الهدايا إلى السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في الإهداء ، وإن

قصر الحال عن قدرك ، فإني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك ،

(١) الأشنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، وتغسل به الثياب وغيرها .

(٢) أشركها : أجعل لها شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميتُ بطريقي الى كرائم مالى فوجدتُ أكثرها منك، فكنت إن أهديتُ شيئاً منه
كالهَدْيِ مَالَكْ إِيْلِكَ وَمُنْفِقِ نَفَقَتِكَ عَلَيْكَ، وَفَرَعْتُ إِيْلَى مَوْدَتِي وَشُكْرِي فوجدتهما
خَالِصَيْنِ لَكَ قَدِيمَيْنِ غَيْرِ مُسْتَحْدَثَيْنِ، وَرَأَيْتُ إِنْ أَنَا جَعَلْتُهُمَا هَدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا
اليومِ الْجَدِيدِ بَرًّا وَلَا لَطْفًا. وَلَمْ أَقْسُ مَتَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَتَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ
مُقْصَرًا عَنِ الْحَقِّ، وَكَانَتِ النِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ؛ وَلَمْ أَسْلُكْ سَبِيلًا أَتَمَّ
بِهَا بَرًّا أَعْتَدَ بِهِ أَوْ لَطْفًا أَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ، إِلَّا وَجَدْتُ رِضَاكَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ
الاعترافَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ؛ وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ :

إِنْ أَهَدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ مِلْكِكَ * أَوْ أَهَدَيْتُ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ

لَمَّا قَدِمَ مَعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ مُنْصَرِفًا مِنْ مَكَّةَ، بَعَثَ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ جَعْفَرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بَهْدَايَا
مِنْ كُنُتِي وَطِيبٍ وَصِلَاتٍ مِنَ الْمَالِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِهِ : لِيَحْفَظَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا يَرَى
وَيَسْمَعُ مِنَ الرَّدِّ . فَلَمَّا خَرَجَ الرِّسْلُ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ لِمَنْ حَضَرَ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْنَاكُمْ
بِمَا يَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ؛ قَالُوا : أَخْبِرْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَالَ : أَمَّا الْحَسَنُ فَلَعَلَّهُ يُنِيلُ
نِسَاءَهُ شَيْئًا مِنَ الطَّيِّبِ وَيُنْهَبُ مَا بَقِيَ مِنْ حَضَرِهِ وَلَا يَنْتَظِرُ غَائِبًا . وَأَمَّا الْحُسَيْنُ
فَيَبْدَأُ بِأَيْتَامٍ مِنْ قُتِلَ مَعَ أَبِيهِ بِصَفَيْنَ، فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ تَحَرَّ بِهِ الْجُزُرُ وَسَقَى بِهِ اللَّابَنَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فَيَقُولُ : يَا بُدَيْحُ ! اقْضِ بِهِ دَيْنِي، فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ فَأَنْفِذْ بِهِ
عِدَاتِي . وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو فَيَبْدَأُ بِفُقَرَاءِ عِدَى بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ أَذْخَرَهُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ بِهِ عِيَالُهُ . وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَيَأْتِيهِ رَسُولِي وَهُوَ يَسْبَحُ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ
ثُمَّ يَعَاوِدُهُ الرَّسُولُ فَيَقُولُ لِبَعْضِ كَفَّاتِهِ : خُذُوا مِنْ رَسُولِ مَعَاوِيَةَ مَا بَعَثَ بِهِ، وَصَلِّهِ
اللَّهُ وَجَزَاهُ خَيْرًا، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا وَهِيَ أَعْظَمُ فِي عَيْنِهِ مِنْ أَحَدٍ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى أَهْلِهِ

(١) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر .

فيعرضها على عينه ويقول: أرفعوا، لعلَّ أن أعودَ بها على ابنِ هندِ يوماً ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كل رجلٍ من قريش وصل إليه
هكذا، رُدُّوا عليه؛ فإن رَدَّ قَبِلناها . فرجع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية؛
فقال معاوية: أنا ابنُ هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عبيد: أتيتُ ابنَ سَيرينَ فدعوتُ الجارية، فسمعتُه يقول: .
قولوا له: إني نائم — يريد: سأنام —؛ فقلت: معي خبيص^(١)؛ فقال: مكانك حتى
أخرج إليك .

قال رجل لأبي الدرداء: إن فلانا يُقرئك السلام؛ فقال: هديَّةٌ حسنة
ومحمِّل خفيف .

١٠ وبعث رجلٌ الى جارية يقال لها «راح» براج، وكتب اليها:
قل لمن يملك الملو * لك وإن كان قد مُلِكَ
قد شربناك فأشربني * وبعثنا إليك بك
أهدى رجل الى عبيد بن الأخطل شاةً مهزولة، فكتب اليه عبيد:
وهبت لنا يا أبا منقَرٍ * وعجِّل وأكرمها أولاً
عجوزاً أضربها دهرها * وأنزلها الذُّلَّ دارَ البلى

١٥

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يصنع في الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها
صاحب كتاب الأطعمة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .
(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأغاني (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه
بعث به الى فتى من بني منقرامه بخلية، وكان يبعث الى بشار في كل عام بأضحية من الأضاحي التي كان أهل
البصرة يسمونها سنة وأكثر للأضاحي، فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل اليه نعمة
عبدية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فأرسل اليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه
القصيدة في الأغاني باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

٢٠

سَلُوْحًا حَسِبْتُ بَأَنَ الرِّعَاءِ * سَقَوْهَا الْغَرِيقُونَ وَالْحَنَظَلَا^(٢)
 وَأَجْدَبَ مِنْ ثَوْرٍ زَرَاعَةٍ * أَصَابَ عَلَى جَوْعِهِ سُنْبُلًا^(٣)
 وَأَزْهَدَ مِنْ جِيفَةٍ لَمْ تَدْعُ * لَهَا الشَّمْسُ مِنْ مَفْصِلٍ مَفْصِلًا^(٤)
 فَاهْوَتْ يَمْنَى إِلَى جَنْبِهَا * نَفَلْتُ حَرَاقِفَهَا^(٥) جَنْدَلًا
 وَاهْوَتْ يَسَارَى لَعُرْقُوبِهَا * نَفَلْتُ عَرَاقِيبَهَا مِفْزَلًا
 فَقُلْتُ أَيْبَعُ فَلَا مَشْرَبًا * تُؤَدِّي إِلَى وَلَا مَأْكَلًا^(٦)
 أَمْ أَجْعَلُ مِنْ جِلْدِهَا حَنْبَلًا * فَأَقْدِرُ بِحَنْبِلِهَا حَنْبَلًا^(٧)
 إِذَا هِيَ مَرَّتْ عَلَى مَجْلِسٍ * مِنَ الْعَجَبِ كَبُرَ أَوْهَلًا
 رَأَوْا آيَةً خَلْفَهَا سَائِقُ * يَحْتِ وَإِنْ هَرَوْتُ هَرَوَلًا
 فَكُنْتُ أَمَرْتُ بِهَا صَخْمَةً * بِشَحِيمٍ وَلَحِيمٍ قَدْ اسْتَكْمَلًا
 وَلَكِنْ رَوْحًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَفْعَلًا
 فَعَضَ الَّذِي خَانَنِي حَاجَتِي * بِلَاسَتِ أَمَتِهِ بَطَرَهَا الْاَغْرَلَا^(٨)
 فَلَوْلَا مَكَانُكَ خَضَبْتُهَا * وَعَلَقْتُ فِي جِيدِهَا جُلْجَلًا
 بِفِجَاءٍ لَكَيْمَا تَرَى حَالَهَا * فَتَعْلَمَ أَنَّي بِهَا مُبْتَلَى
 سَأَلْتُكَ لِمَا لَصِيْبَانَا * فَقَدْ زِدْتَنِي فِيهِمْ عِيَلًا
 نَفَذَهَا وَأَنْتَ بِهَا مُحْسِنٌ * وَمَا زِلْتَ بِي مُحْسِنًا مُجْمَلًا

- (١) سلوح : وصف من السلح ، وهو الطير والبهائم كالنمط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجاوزاً
 (٢) الغريقون : تريقا للسموم مفتوح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كاللحاح لموضع الملح .
 (٤) في الأصل : « من مفصل يفصلا » وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهي رأس
 الورك . (٦) كذا في الأغاني اعتماداً على بعض أصوله الخطية . وفي الأصل : « فلا مشترى »
 وهو تحريف . (٧) الحنبل : الفرو . (٨) الأغرل : الذي لم يحتن .

وبعث رجل إلى دُعَيْلٍ بِأَخِيَّةٍ، فكتب إليه :

بعثت إلى بأُخِيَّةٍ * وكنت حَرِيًّا بأن تفعلًا

ولكنها خرجت غَثَّةً * كأنك أرعيتها حَرَمًا^(١)

فإن قيل الله قُربانها * فسبحان ربك ما أعدلًا

٥ قيل لرجل قديم من مكة : كيف أثمان النعال بمكة؟ قال : أثمان الخدء بالعراق .

وقال مُسلم بن الوليد :

حزى الله من أهدى الترنج نحيّةً * ومن بما يهوى عليه وعجلاً

أنتنا هدايا منه أشبهن ريحه * وأشبه في الحسن الغزال المكحلًا

ولو أنه أهدى إلى وصاله * لكان إلى قلبي ألدَّ وأوصلًا

١٠ وكتب رجل إلى صديق له شرب دواء :

تأنق في الهدية كل قوم * إليك غداة شريك للدواء

فلما أن هممت به مُدلاً * لموضع حرمتي بك والإخاء

رأيت كثير ما أهدى قليلًا * لعبدك فاقتصرت على الدعاء

وكتب رجل إلى صديق له : وجدت المودة مُقطّعة ما كانت الحشمة عليها

١٥ متسلّطة ، وليس يُزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة ، ولا تقع المؤانسة إلا بالبرِّ والملاطفة .

العبادة

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا شريك عن

أبي نُصَيْرٍ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من

٢٠ (١) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمنع عن الأكل ، ولا يأكله إلا المعزى ، وقد يداوى به المحموم .

(٢) الخدء : جمع جدى . (٣) الترنج : ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والخطيب .

الأنصار من رَمِدٍ كان بعينه . ومن حديث أبي هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم :
 ”ثلاثة لا يُعَادُونَ صاحبُ الدَّمَلِ والرمَدِ والضرس“ .

وحدثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهاني عن إسماعيل بن عياش عن
 أرطاة بن المنذر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشعبي : عيادةُ النَّوْكَى أشدُّ على المريض من وجعه .

شيبان عن أبي هَدِيَّةٍ عن أبي هِلَالٍ قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه
 فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليلاً فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌ فخذوه
 وأنصرفوا .

عاد رجل رَقَبَةً، فنعى رجالاً آعتلوا مثلَ عِلَّتِهِ، فقال له رَقَبَةٌ : إذا دخلت على
 مريضٍ فلا تتع إلى الموتي، وإذا خرجت من عندنا فلا تعدد إلينا .

عاد أعرابيٌّ أعرابياً فقال : بأبي أنت ! بلغني أنك مريض، فضاق والله على
 الأمر العريض، وأردتُ إتيانَكَ فلم يكن بي نهوضٌ ؛ فلما حملتني رجالان، وليس
 تَحْمِلَانِ ؛ أتيتُكَ بِجُرْزَةٍ شَيْعٍ ما مسَّها عَرْنَيْنٌ قَطَّ، فَأَشْمَمُهَا وَأَذْكَرُ نَجْدًا، فهو الشفاء
 بإذن الله .

قال كثير :

أَلَا تَلِكْ عَزَّةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ * تَقْلَبُ لِلْبَيْنِ طَرَفًا غَضِيضًا
 تَقُولُ مَرَضْتُ وَمَا عُدَّتْنَا * فَقُلْتُ لَهَا لَا أَطِيقُ النَّهْوَضَا
 كَلَانَا مَرِيضَانِ فِي بَلَدَةٍ * وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضَا

وقال آخر^(١):

إذا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ * وَتَذُنُّونَ فَنَاتِيكُمْ فَنَعْتَسِدُ

وقال بشار:

لو كانت الفدية مقبولة * لقلتُ بي لا بك حُمَا كَا

وكتب آخر إلى عليل:

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مَعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ * نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ

يَا لَيْتَ عَاتِهِ بِي غَيْرَ أَنْ لَهُ * أَجْرَ الْعَلِيلِ وَأَنْتَ غَيْرُ مَا جُورٍ

وكتب آخر إلى عليل:

أَقُولُ بِحَقِّ وَاجِبٍ لَكَ لَا زِمَ * وَإِخْلَاصٍ شَكْرٍ لَا يَغْيِرُهُ الدَّهْرُ

بِي السَّوْءِ وَالْمَكْرُوهِ لَا بَكَ كَلَّمَا * أَرَادَكَ كَانَا بِي وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وقال آخر في مثله:

فَإِنْ تَكُ حُمَى الْغَيْبِ شَفَكَ وَرَدُّهَا^(٢) * فَعُقْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطْوَلَ لَكَ الْعَمْرُ

وَقَيْنَاكَ! لَوْ نُعْطِيَ الْمُنَى فَيْكَ وَالْهَوَى * لَكَانَ بِي الشَّكْوَى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وفي الحديث المرفوع "حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ،

وَأَسْتَقْبِلُوا الْبَلَايَا بِالْدُعَاءِ". وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه:

"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ صَائِماً؟" قال عمر: أنا، قال: "فَمَنْ شَيعَ جَنَازَةً؟" قال عمر: أنا؛

قال: "فَمَنْ عَادَ مَرِيضاً؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فَمَنْ فَيَكُمُ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؟" قال

عمر: أنا؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ". وفي حديث

(١) هو المؤلف بن أميل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أول). (٢) حمى القلب:

التي تنوب المريض يوماً بعد يوم. (٣) الورد من أسماء الحمى وقيل: هو يومها الذي تأخذ

فيه صاحبها.

آخر: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إتمام عيادتكم المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على رأسه أو يده في يده ويسأله كيف هو، وتماّم تحياتكم المصافحة".

وقال الشاعر:

إن كنت في ترك العيادة تاركًا * حظّي فإني في الداء لجاهد
فلربما ترك العيادة مُشْفِقٌ * وأتى على غلّ الضمير الحاسد

أبو حاتم قال حدثنا العنّي عن أبيه قال: كان يقال: إذا اشتكى الرجل ثم عوفي ولم يُحدث خيراً ولم يكف عن سوء، لقيت الملائكة بعضها بعضاً وقالت: إن فلاناً داوينا فلم ينفعه الدواء.

وقال أبو حاتم حدثنا القحذمي قال: أطلع معاوية^(١) في بئر بالأبواء^(٢) فأصابته لقوة^(٣) فأعتم بعمامة سوداء وسدّها على الشقّ الذي أُصيب فيه، ثم أذن للناس فقال: أيها الناس؛ إن ابن آدم بعرّض بلاء: إما مُعَاتَبٌ يُعْتَب، وإما مُعَاقَبٌ بذنب، أو مبتلى ليؤجر، فإن عُوْتِبْتُ فقد عُوْتِبَ الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم؛ وإن عُوْتِبْتُ فقد عُوْتِبَ الخطّاءون قبلي، وما آمن أن أكون منهم؛ وإن مَرِضَ عضو مني فما أُحْصِيَ صحيجي ولمّا عُوْفِيتُ أكثر، ولو أن أمرى إلى ما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني. وإني وإن كنت عاتباً على خاصّ منكم فإني حبيب على جماعتكم، أحبّ صلاحكم. وقد أُصِبْتُ بما ترون، فرحم الله امرأً دعا لي بعافية! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء.

(١) أطلع: أشرف. (٢) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الحنفية مما

بلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: الأبواء: جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للصعد إلى مكة.

(٣) القوة (بالفتح): داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق.

مَرَضَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ مَرَضَةً، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَأَبْطَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ:
مَا يُطِئُ بِكَ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَسَاهِرَكَ؛ قَالَ: أَنْتَ مُعَافٍ وَأَنَا مَبْتَلَى، فَالْعَافِيَةُ
لَا تَدْعُكَ تَسَهَّرَ وَالْمَرَضُ لَا يَدْعُنِي أَنَامُ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَسُوقَ إِلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ،
وَالِى أَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ وَالْأَجْرَ.

• حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، بِفَعْلٍ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ؟ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ
قَالَ: كَمَا قُلْتُ لَصَاحِبِكَ.

قَالَ: وَقَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَوَثِنَتْ رِجْلَاهُ، بِفَعْلٍ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ
وَيَسْأَلُونَهُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَأُحْجِرَ كَتَبَ قِصَّتَهُ فِي رُقْعَةٍ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ [عَائِدٌ]^(٢)
وَسَأَلَهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ.

١٠

الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مَجْهُودًا لَا يَقْصِدُ فِي شَيْءٍ^(٣)
إِلَّا أَنْصَرَفَ عَنْهُ، فَغَابَ مَرَّةً فَأَطَالَ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ النَّاسُ بِفَعْلٍ يَسْأَلُونَهُ عَنْ
حَالِهِ وَمَا كَانَ فِيهِ، وَكَانَ فِيهِ بَرٌّ، فَأَخَذَ رُقْعَةً فَكَتَبَ فِيهَا:

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْفَلَاةِ * مِنَ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ

وَأَطْوَى الْفَيَافِي أَرْضًا فَارِضًا * وَأَسْتَمْطِرُ الْجَدَى وَالْفَرْقَدَيْنِ

وَأَطْوَى وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْمَمُومِ * إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِمُحْمَى حُنَيْنِ

١٥

(١) وثنت رجله أويده: أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسرا. (٢) زيادة يقتضها السياق.

(٣) المجهود: هو الذى نكد عيشه. وفى الأصل «مجدود» بالبدال، والمجدود: المحظوظ،

والسياق يأباه.

فَقِيرًا وَقِيرًا أَخَا عُسْرَةٍ * بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ صَفَرَ الْيَدَيْنِ^(١)
كَتِيبَ الصَّدِيقِ بِهَيْجِ الْعَدُوِّ * طَوِيلَ الشَّقَا زَانِي الْوَالِدَيْنِ
وَطَرَحَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، فَكَلَّ مِنْ سَأَلِهِ عَنْ حَالِهِ دَفَعَ إِلَيْهِ الرِّقْعَةَ .

قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطِيًّا وقع من موضع عالٍ ، فدخلوا يسألونه :
كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرَّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعتُ .
أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدَبُ فسَقَطَ في بئر فذهبت حَدَبَتُهُ
فصار آدر ، فدخلوا يسألونه ويهنتونه بذهاب حَدَبَتِهِ ، فجعل يقول : الذي جاء^(٢)
شرٌّ من الذي ذهب .

المدائني قال : سقط ابنُ شُبْرَمَةَ القاضي عن دَابَتِهِ فَوَثَلَتْ رِجْلُهُ ، فدخل يحيى
ابن نوفل الحميري عليه فقال :

أقول غداةً أتانِي الْخَيْرِ * فَدَسَّ أَحَادِيثَهُ الْهَيْئَةَ^(٣)
لَكَ الْوَيْلُ مِنْ مُحَرِّمَاتِنَا قَوْلٍ ؟ * أَنْ لِي وَعْدٌ عَنِ الْجَمْعَةِ^(٤)
فقال خرجتُ وقاضى القضا * ةً مُشَقَّلَةً رِجْلُهُ مُؤَلَّمَةً
فقلت وضائق على البلاد * وَخِفْتُ الْمَجَلَّةَ الْمُعْظِمَةَ
فغزوانُ حرٍّ وأُمُّ الْوَلِيدِ * إِنْ اللَّهُ عَافَى أَبَا شُبْرَمَةَ
جزاءً لمعروفه عندنا ، * وما عِتْقُ عَبْدٍ لَهُ أَوْ أَمَةٌ ؟

قال : وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف منزله ، فلما خرج تبعه وقال :
يا أبا معمر ، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أو ما تعرفهما ؟ هما سنوران
في البيت .

٢٠ (١) الوقير : الدليل المهات . (٢) الآدر : المصاب بانتفاخ في إحدى خصتيه .
(٣) الهينة : الصوت الخفى . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة في الكلام .

قال حدثنا الرياشي عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدقيش وهو شاك ،
فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدني أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجد ،
ولقد أصبحت في شر زمان وشر أناس : من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد .

قيل : لعمر بن العاص وقد مريض مرة : كيف تجدك ؟ قال أجدني أذوب
ولا أنوب ، وأجد نجوي^(١) أكثر من رزئي ، فما بقاء الشيخ على هذا ! .

سئل عليل عن حاله فقال : أنا مبل غير مستقل ، ومتمايل غير متحامل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجدني لم أرض حياتي لموتى .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال من يريد سفرًا طويلًا
بلا زاد ! وينزل منزلاً موحشًا بلا أنيس ! ويقدم على جبار قد قدم العذر بلا حجة ! .

قيل لعكرمة : كيف حالك ؟ قال : بشر ، أصبحت أجرب ميسورا^(٢) .

حدثني أبو خاتم عن الأصمعي قال : قيل لشيخ من العباد : كيف أنت ، وكيف
أحوالك ؟ فقال : ما كلُّها كما أشتهى .

قيل لآخر : ما تشكى ؟ قال : تمام العدة وأنقضاء المدة .

وبلغني عن معاوية بن قرة قال : مريض أبو الدرداء ، فعاده صديق له فقال :

أى شيء تشكى ؟ قال : ذنوبي ؛ قال : فأى شيء تشتهى ؟ قال : الجنة ؛ قال :
فندعوك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجل عن حاله فقال :

كما اذا نحن أردنا لم نجد * حتى اذا نحن وجدنا لم نرد

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ، والرزء : ما يتاله الانسان من الطعام .

(٢) ميسورا : به داء البواسير .

أَرْجَفَ النَّاسُ بَعْلَةَ مَعَاوِيَةَ وَضَعِفَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَأَخَذَ مَعَاوِيَةَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَصْقَلُ :

أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيٍّ * لَكَ مِثْلُ جَنْدَلَةِ الْمَرَاكِمْ
قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ * فَأَمْتَنَعْتُ مِنَ الْمَظَالِمِ

فَقَالَ مَصْقَلَةُ : أَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : « أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيْلِكَ » ، فَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ مِنْكَ جَبَلًا رَاسِيًا وَكَلَّامًا مَرِيئًا لَصَدِيقِكَ وَسَمًّا نَاقِعًا لَعَدُوِّكَ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : « قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ » ، فَمِنْ ذَا يَرُومُكَ أَوْ يَظْلِمُكَ ! فَقَدْ كَانَ النَّاسُ مُشْرِكِينَ فَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ سَيِّدَهُمْ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ وَأَصْبَحَتْ أُمِيرَهُمْ ، فَأَعْطَاهُ مَعَاوِيَةُ نَخْرَجَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَفَمَزَنِي غَمَزَةٌ كَادَ يَكْسِرُ مِنْهَا يَدِي وَأَنْتُمْ تَرْعُمُونَهُ مَرِيضًا .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : دَخَلَ كَثِيرٌ عَزَّةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْلَا أَنْتَ سُرُورُكَ لَا يَتِمُّ بَأَن تَسْلَمَ وَأُسْقَمَ لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَافِيَةَ وَلِي فِي كَنْفِكَ النِّعْمَةَ ، فَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ ، فَقَالَ :

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا * لَيْتَ التَّشَكِّيَ كَانَ بِالْعُودِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَفِدْيَتُهُ * بِالمَصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي

وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَشْكُونُ دَهْرًا صَحَّحَتْ بِهِ * إِنَّ الْغِنَى فِي صَحَّةِ الْجَسِمِ
هَبَكَ الْخَلِيفَةُ ، كُنْتَ مُتَفَعًّا * بِلَذَاذَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ ؟

(١) اِعْتَلِ الْمِسْوَِرَ بَجَاءِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَعُودُهُ نَصْفَ النَّهَارِ، فَقَالَ الْمَسُورُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ هَلَّا سَاعَةً غَيْرَ هَذِهِ! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَحَبَّ السَّاعَاتِ إِلَيَّ أَنْ أُؤَدِّيَ فِيهَا الْحَقَّ أَشَقُّهَا عَلَيَّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسى أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوتك ونشاطك؟ لا عِدَمَتُهُمَا وَلَا عِدَمَتَا هُمَا مِنْكَ، وَأَعَادَكَ اللَّهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا عَوْدُكَ! لَوْلَا عَوَائِقُ يُوجِبُ الْعَذْرَ بِهَا تَفْضُلُكَ لَمْ أَدْعُ تَعَرَّفَ خَبْرَكَ بِالْعَيْنِ، فَإِنَّمَا أَشْفَى لِلْقَلْبِ وَأَنْقَعَ لِلْغَلِيلِ وَأَشَدُّ تَسْكِينًا لِلْأَجْعِ الشَّوْقِ.

(٢) وقرأت فصلا في كتاب: لئن تخلفت عن عيادتك بالعدر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فخصا عن خبرك في مُمَسَّاكٍ وَمُصْبِحِكَ وَتَقَلَّ الْحَالُ بِكَ تَبَعْتُ مَنْ تَقْسَمُ جَوَارِحُهُ وَصَبِكَ وَزَادَ فِي أَلْمِهَاءِ أَلْمِكَ وَمَنْ تَتَّصِلُ بِكَ أَحْوَالُهُ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ. وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ: مَهْنَتًا بِالْعَافِيَةِ خَبْرًا بِالْعَذْرِ، مَعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ إِرْسَالًا.

وقال عبد بن الحسحاس:

تَجَمَّعَ مِنْ شَيْءٍ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ * وَوَاحِدَةٌ حَتَّى بَلَغَتْ ثَمَانِيًا
سُلَيْمَى وَسَلَمَى وَالرَّابُّ وَزَيْدٌ * وَهَنْدٌ وَدَعْدٌ وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلَنَ مِنْ بَعْضِ الْخِيَامِ يَعُدُّنِي * إِلَّا إِنْ بَعْضَ الْعَائِدَاتِ دَوَانِيَا

(١) أبو العباس: كنية عبد الله ابن العباس. (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوق إليه في مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا: «لئن تخلفت عن عيادتك بالعدر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فخصا عن خبرك يجب أن تنقسم جوارحه وصبك وإن زاد في أَلْمِهَاءِ أَلْمِكَ وَأَنْ تَتَّصِلُ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ. وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ مَهْنَتًا بِالْعَافِيَةِ مَعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». وظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يجب» نافية ولعل أصل العبارة: وكيف بمن يجب الخ أو نحو ذلك.

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّيَرِيّ :

ما لي مَرِضْتُ فلم يَعُدَّنِي عَائِدٌ * مِنكُمْ وَيَمْرَضُ كَلْبَكُمْ فَأَعُوذُ

فُسَمِّي «عَائِدَ الكلب» ، وولده الآن يسمون «بني عائِد الكلب» .

التعازي وما يتعمَلُ به فيها

حدثني محمد بن داود عن غسان بن الفضل قال قال عبد الوهاب الثقفي : أتاني
أبن جريح بمكة يعزيني عن بعض أهلي ، فقال : إنه من لم يسأل أهله إيماناً واحتساباً
سلا كما تسلكو البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأسلمي إلى المهدي يعزيه عن أبيته : أما بعد ،
فإن أحقَّ من عَرَفَ حقَّ الله فيما أخذ منه من عَظَمَ حقَّ الله عليه فيما أتى له .
وأعلم أن الماضي قبلك هو الباقي بعدك ، وأن أجر الصابرين فيما يُصابون به
أعظم عليهم من النعمة فيما يُعاقون منه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهتئة على أجل الثواب ، أولى من التعزية على
عاجل المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا * لَهِ فِي ظِلِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ

وسقطت مقاديرُهم فم معاوية فشق ذلك عليه ، فقال له يزيد بن مَعْمَر السلمي :
والله يا أمير المؤمنين ، ما بلغ أحدٌ سنك إلا أبغض بعضه بعضاً ، ففوك أهون علينا
من سمك وبصرك .

وقال صالح المرثى لرجل يعزّيه : إن لم تكن مصيبتك أحدثت في نفسك موعظةً
فمصيبتك بنفسك أعظم . ونحوه : شر من المرزئة سوء الخلف عنها . ومثله
قول الشاعر :

إن يكن ما به أصبحت جليلاً * فلقد العزاء فيه أجل
عزّي شبيب بن شبة المهدي عن بانوفة^(١) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما عند الله
خير لها مما عندك ، وثواب الله خير لك منها .

عزّي رجل عبد الله بن طاهر عن آبنته فقال : أيها الأمير ، مم تجزع ؟
* الموت أكرم نزال على الحرم *

وقال جرير :

وأهون مفقود إذا الموت ناله * على المرء من أصحابه من تقنعا

وقال آخر :

ولم أر نعمة شئت كريماً * كنعمة عورة سترت بقبر
وعزّي رجل رجلاً فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُسيكها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تعرّ أمير المؤمنين فإنه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل أبئك إلا من سُلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

عزّي أبو بكر عمر رضى الله عنهما عن طفل أصيب به ، فقال : عوضك الله
منه ما عوضه منك .

وقال محمود الوراق :

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائبه قبل أن تتزلا

(١) بانوفة : بنت كانت للهدى .

فإن تزلت بغتة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلاً
 رأى الهم يقضي إلى آخر * فصير آخره أولاً
 وذو الجمل يأمن أيامه * ويتسنى مصارع من قد خلا
 فإن بدهته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولاً
 ولو قدم الحزم في أمره * لعلمه الصبر عند البلا

عزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر عن ابن له، فقال : أيسرك وهو
 بلية وفتنة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ! .

وعزى رجل موسى بن المهدي عن ابن له فقال : كان لك من زينة الحياة
 الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

توفي سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض
 عماله وأطنب في كتابه ، فكتب إليه عمر :

حسبي حياة الله من كل ميت * وحسبي بقاء الله من كل هالك^(١)
 إذا ما لقيت الله عني راضياً * فإن شفاء النفس فيما هنالك^(٢)

كتب ابن السماك إلى الرشيد يعزيه بآب له : أما بعد ، فإن استطعت أن يكون
 شكرك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه ، فإنه حين قبضه أحرز لك^(٣)
 هيبته ، ولو سلم لم تسلم من فتنته ، أرايت حزنك على ذهابه وتلهفك لفراقه ! أرضيت
 الدار لنفسك فترضاها لأبنك ! أما هو فقد خالص من الكدر ، وبقيت أنت معلقاً
 بالخطر . وأعلم أن المصيبة مصيبتان إن جرعت ، وإنما هي واحدة إن صبرت ،
 فلا تجمع الأمرين على نفسك .

(١) دخله الحرم وهو حذف فاء فعولن . (٢) كذا في الأصل ولعله « يعزيه عن ابن له » .

(٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبد الله بن طاهر إلى أبي دُأف : المصائب حالة لا بد منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبدته ، وآية ذلك أن يوفقه للصبر ويُلهمه الرضا ويتسَطَّ أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل . ومنها ما يكون سُخْطا وانتقاما ، أوله حزن وأوسطه قنوط وآخره ندامة ، وهي المصيبة حقا الجامعة لخسران الدنيا والآخرة . ولم تزل عادة الله عندك الإخلاف والإتلاف . وإن يك ما نالك الآن أعظم مما أتى عليك في مواضي الأيام ، فالأجر المأمول على قدر ذلك .

وكتب أبو دُأف إليه : إن تكن المصيبة جلَّت ، فإن فيما أكرمني الله به من جميل رأي الأمير وما وضع للناس من فضل عنايته وأبتدأته إياي بكتُّبه ، ما عجَّل العوض من المفقود .

وفي كتاب آخر : لئن كانت المصيبة جلَّت ، إن فيما أبقى الله ببقاء الأمير عوضا وافيا وخلفا كافيا . وحقيق بمن عظمت النعمة عليه فيما أبقى الله أن يحسن عزَّأؤه عما أخذ منه . وأحق ما صبر عليه ما لا يُستطاع دفعه .

وقرأت في كتاب لبعض الكتاب في تعزية : أسأل الله أن يستدبك ما تلمت الأيام من مكانه ، ويعمر ما أخلت من مشاهدته وأوطانه حتى لا يعفو الدائر ، وأن يستقبل لكم أيامكم بأحسن ما أمضاها لمن مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وحشة معه ولا وحشة عليه ، ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت في كتاب تعزية : لا لوم على دمعٍ لا تملك أن تسفحها ، ولا على ألم في القلب لا يدفع أن يظهر فيك ، ولا عذر في سواها مما أحبط أجرك وأشمت عدوك وضعف رأيك ، ولم يرجع إليك فائتا ولا إلى شقيقك بمكانه رُوحا ولا إلى من خلف

(١) في الأصل : « ... وما وضع للناس فإن فضل عنايته وابتدأته إياي ... الخ » .

حفظاً . واصل أن فرق ما بين ذى العقل وذى الجهل في مصيبتيهما تعجل العاقل من الصبر ما يتأجل الجاهل .

وقرأت في كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحد بكثرة من يقبه ذلك من إخوانه ويقديه منه بالأخص من أعزته والأنفس من ماله ، سلمت من ألمها ، وكان سبقي الى ذلك أبرز سبق ، وحظي بالتقدم فيه أوفر حظ .

وقرأت في كتاب : مصيبتك لي مصيبة ، وما نالك من ألمها لي موجد . ولو كان في الوسع أن أعلم كنه ما خامر قلبك من ألمها لحملت مثله على نفسي ، فإني أحب أن أكون أسوتك في كل سار وغام ، وألا أمتع بأيام غمومك ، ولا أقصر فيها عن مقدار حالك .

وقرأت في كتاب : نسأل الله حسن الاستعداد لما نتوكله ونتوقع حلوله ،^(١) وألا يشغلنا بما يقل الانتفاع به وتعظم التبعة فيه عما نحتاج اليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيماناً وإيقاناً ، ولا يجعله ذللاً ونسياناً . قال أسماء بن خارجة إذا قدمت المصيبة تركت التعزية ، وإذا قدم الإخاء قبح الشناء .

قيل لأعرابية مات أبناها : ما أحسن عزاءك ! فقالت : إن فقدي إياه أمني من المصيبة بعده . ونحوه قول الشاعر :^(٢)

وكنْتُ عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه أحاذرُ

(١) نتوكله : نتوقه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هاني ، وهذا البيت من أبيات قالها

في عهد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لما طوى المنية ناشر

ومثله :

وقد كنتُ أَسْتَعْفِي الإله إذا اشتكى * من الأجر لي فيه وإن سُرني الأجرُ

وقال أبو العتاهية :

وكما تَبَسَّى وجوهٌ في الثرى * فكذا يَسَلَى عليهن الحزنُ

وفي الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"^(١).

ويقال : المصيبة الموجعة تُدْرِكُ ذِكْرَ اللهِ في قلب المؤمن .

قال الأصمعي : مررتُ بأعرابيةٍ وبين يديها فتى في السَّيَاقِ^(٢)، ثم رجعتُ ورأيتُ

في يدها قَدَحَ سَوِيقٍ تشربه ، فقلت لها : ما فعل الشاب ؟ فقالت : واريثناه ؛

فقلت : فما هذا السَّوِيقُ ؟ فقالت :

١٠ على كُلِّ حالٍ يا كلَّ القومُ زادهم * على البؤس والبَلَوَى وفي الحدَثَانِ

قيل لأعرابي : كيف حزنتُك اليوم على ولدك ؟ فقال : ما ترك حبَّ الغداء

والعشاء لي حرتا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجَزَعُ قَبْلَ المصيبة ، فإذا وقعتْ فألهُ عَمَّا أَصَابَكَ .

اشتكى بعضُ أهل محمد بن علي بن الحسين بَجَزَعٍ عليه ، ثم أُخْبِرَ بموته فُسِّرَى

١٥ عنه ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : ندعو الله فيما نحبُّ ، فإذا وقع مانكره لم نخالف الله

فما أَحَبَّ .

لما مات عُتْبَةُ بن مسعود قال عبد الله : إذا ما قَضَى اللهُ فيه ما قَضَى فما أَحَبُّ

أَنْنى دعوته فأجابني .

(١) يصب منه : يبتليه بالمصائب لثبته عليها . (٢) السَّيَاق : ترع الروح كأن روحه تساق

لتخرج من بدنه .

قال رجل من طي^١ :

فلولا الأتسى^(١) ما عشتُ في الناس ساعة * ولكن إذا ما شئتُ أسعدني مثلي

وقال آخر :

إذا أنت لم تسأل أصطباراً وحسبة * سلوت على الأيام مثل البهائم

عزى محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ليشغلك

ما أقبل من الموت اليك، عمن هو في شغل مما دخل عليك، وأعددت لزلوله عدة تكون

لك حجاباً من الجزع وستراً من النار . فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيت غفلة

تنبه عليها ولا جزأً يستتر منه، وما توفيق إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين،

إنه لو أستغنى أحد عن موعظة بفضل لكنته، ولكن الله يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ

الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائي :

ويفرح بالشيء المَعَارِ بقاؤه * ويحزن لما صار وهو له ذُرُّ

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبس * فإن أبنتك المحمود بعد أبنتك السبر

وقال أيضاً :

أمالك إن الحزن أحلام نائم * ومهما يدم فالوجد ليس بدائم

تأمل رويداً هل تعدن سالماً * إلى آدم أم هل تعدن ابن سالم

وقال آخر :

إصبر لكل مصيبة وتجلد * وأعلم بأن الدهر غير مخلد^٢

(١) الأتسى : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهي ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا في الأصل

أَمَّا تَرَى أَنَّ الْحَوَادِثَ جَمَّةٌ * وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصِدٍ
وَإِذَا أَنْتَكَ مَصِيبَةٌ تَشْجَى بِهَا * فَأَذْكَرُ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
عَزَّى رَجُلَ الرَّشِيدِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ لَكَ الْأَجْرُ لَا بِكَ ، وَكَانَ الْعَزَاءُ
مِنْكَ لَا عَنْكَ .

يَعَزَّى أَهْلُ نَجْرَانَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ : لَا يُحْزِنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ ، أَنَابَكُمْ
اللَّهُ ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ وَأَوْجِبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ .
عَزَّى بَعْضُ الزُّبَيْرِيِّينَ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَصْفَرُ رُبْعُكَ ^(١) ، وَلَا يُوحِشُ يَدَيْكَ ،
وَلَا يَضَعُ أَجْرَكَ ، رَحِمَ اللَّهُ مَتَوَفَّاكَ ، وَأَحْسَنَ الْخِلَافَةَ عَلَيْكَ .
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أُسْكَنْ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفَدَى * فَدَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنَ الظَّهِيرِ
فِيَالَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ * عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مَقِيمًا إِلَى الْحَشِيرِ
وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ * فَلَمَّا تَوَقَّ شَطْرَهُ مَالٌ فِي شَطْرِي
فَصَارُوا دِيُونًا لِلنَّيَا وَمَنْ يَكُنْ * عَلَيْهِ لَهَا دِينَ قَضَاءٍ عَلَى عُسْرِ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ * فَذُكِّلُ عَلَى تُكْلٍ وَقَبْرُ عَلَى قَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ حَى الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ * فَلَمَّا تَوَفَّوْا مَاتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ
فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا جَزَى * وَلَيْسَ لِأَيَّامِ التَّرْزِيَةِ كَالصَّبْرِ
فَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُوَحِّشًا فَقَدْ بَرَّهْمَ * وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُسْلِيًا طَلَبُ الْأَجْرِ

عَزَّى شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ : أَعْطَاكَ اللَّهُ عَلَى مُصِيبَتِكَ أَفْضَلَ
مَا أَعْطَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ .

(١) لَا يَصْفَرُ : لَا يَخْلُ .

وقال العُتْبِي :

ما طالج الحزن والحرارة في آل * أحشاء من لم يمت له ولد
يُفْعَتُ بأبي ليس بينهما * إلا ليالٍ ليست لها عدد
وكل حزن يتلى على قدم الدهر * وحزني يجده الأبد

وقال أيضا :

ألا يَزِجُ الدهرُ عنا المنونا * يبقى البنات ويَفني البنينا
وَأَنحَى عَنِّي بِلا رَحْمَةٍ * فلم يُبق لي في جُفوني جفونا
وكنْتُ أبا سبعة كالبدور * أَفَقَّ بهم أعين الحاسدينا
فَمَرُّوا على حادثات الزمان * كَرَّ الدراهم بالناقدينا
فَأَفْتَنَهُمْ واحداً واحداً * إلى أن أبادتهم أجمعينا
وَأَلْقَيْنَ ذاك إلى ضارِحٍ ^(١) * وَأَلْقَيْنَ هذا إلى دافِئنا
وما زال ذلك دأب الزما * ن يُفْنِي الأوائِلَ فلاؤَلِينا
وحتى بكى لي حَسَادُهُم * فقد أَقْرَحُوا بالدموع الجفونا
وحَسِبُكَ من حادثٍ بأمري * ترى حاسديه له راحينا
وكانوا على ظهرها أنجماً * فَأَصْحَوْا إلى بطنها يُنْقَلُونَا
فمن كان يُسْلِيهِ مرُّ السنين * فحزني يجده لي السنونا
ومما يسكن وجدي بهم * بأن المنون ستلقى المنونا

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا عزى رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبةٌ ولا مع
الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده؛ اذكروا فقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصغُرُ مصيبتكم؛ وعظم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضرح لليت إذا حفر له .

وكان على رضى الله عنه إذا عَزَى رجلا يقول : إن تَجَزَّعَ فأهلُ ذلك الرَّحْمُ ،
وإن تصيرَ فنى الله عَوْضٌ من كل فائتٍ ؛ وصلى الله على محمد ، وعظم الله أجركم .

وقال أعرابي :

أَيْغَسَلْ رَأْسِي أَوْ تَطِيبْ مَشَارِبِي * وَوَجْهَكَ مَغْفُورٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ
نَسِيكِ مِنْ أَمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ وَارَى السَّرَابَ نَسِيبُ
وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أُنْحَى وَهُوَ مَيِّتٌ * كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ قَرِيبُ

وقال أعرابي :

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّا * أَقْنَا قَلِيلًا بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

وقال آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَى * مِنْ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ
وَأَجَزَعُ أَنْ يَنْتَهِى بِهِ بَيْنَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ بَيْنَ صَارَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ

وقال آخر :

وَإِنَّا وَإِخْوَانًا لَنَا قَدْ تَتَابَعُوا * لِكَالْمُفْتِدَى وَالرَّائِخِ الْمُتَهَجِّرِ

وقال سليمان الأنجمي :

رَبِّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ * عَدِمَتْهُ كُفٌّ مَغْتَرِسَةٍ
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَا تُنْمِئُهُ * أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسَةٍ

وتمثل معاوية بن أبي سفيان يوما فقال :

إِذَا سَارَ مَنْ خَلْفَ أَمْرِي وَأَمَامَهُ * وَأَوْحَشَ مِنْ جِيرَانِهِ فَهُوَ سَائِرُ

وقال آخر:

وإذا قيل مات يوماً فلانُ * راغنا ذاك ساعة ما يُحِيرُ
نذكر الموت عند ذاك وننسا * إذا غيبتنا عنا القبورُ

وقال آخر:

نزع من الجناز قائلتنا * ونلهو حين تحقّ ذاهبات
كروعة ثلّة لمفارسيع * فلما غاب ظلت راتعات

وقال أبو نواس:

سبقونا إلى الرّحيد * لي وإنا لبالأثر

وكتب رجل إلى بعض الأمراء في تعزية: الأمير أذكرك الله من أن يذكرك به،
وأعلم بما قضاءه على خلقه من أن يدلّ عليه، وأسلك لسبيل الراشدين في التسليم لأمره
والصبر على قدره والتّجزلوعده، من أن ينبّه من ذلك على حفظه، أو أن يحتاج معزيه
عند حادث المصيبة إلى أكثر من الدعاء في قضاء حقه. فزاده الله توفيقاً إلى توفيقه،
وأخضره رشده، وسدّد للصواب غرضه، وتولاه بالحسنى في جميع أموره، إنه سميع
قريب. وقد كان من حادث قضاء الله في المتوفّى ما أنقص وأرّمض، وبقّع وأوجع،
علما بما دخل على الأمير من النقص، وعلى سروره من اللوعة، وعلى أنسه من الوحشة،
إلى ما خصّني منه بمأس الرّحم وأوشج القرابة. فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزله
الدّنخر، وعصمه باليقين، وأنجزله ما وعد الصابرين، ورحم المتوفّى ولقاه الأمن
والروح، وفسّح له في المصّجع، وجمعه وإياه بعد العمر الطويل في الدار التي لا خوف
عليهم فيها ولا هم يحزنون.

(١) الثلّة (بالفتح): جماعة الغنم الكثيرة، والثلّة (بالضم) جماعة الناس. (٢) أنقص:

أنقل وأرّمض: أوجع. (٣) في الأصل: «وجمع له وإياه».

وفي كتاب : نحن نحمد الله أيها الأمير إذ أخذ على ما أبقى منك ، وإذ سلب على ما وهب بك ؛ فانت العوض من كل فائت ، والجابر لكل مصيبة ، والمؤنس من وحشة كل فقد ؛ وحق لمن كنت له ولياً وعضداً أن يشغله حمد الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

- وكتب سعيد بن حميد الى محمد بن عبد الله : ليس المعزى على سلوك السبيل التي سلكها الناس قبله والمضى على السنة التي سنّها صالحو السلف له ؛ وقد بلغني ما حدث من قضاء الله في أم الأمير، فنالني من ألم الرزية وفاجع المصيبة ما ينال خدمه الذين يخصهم ما خصه من النعم ، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من المحن . فأعظم الله للأمر الأجر ، وأجزل له المثوبة والذخر ، ولا أراه في نعمة عنده تقصا ، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للزبد ، وعند المحن للصبر المحرز للنواب ، إنه هو الكريم الوهاب . ورحم الله الماضية رحمة من رضى سعيه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل الى الشخوص الى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجل الأمير عن أن يعزّيه مثلي بالرسول دون اللقاء ، وبالكتاب دون الشفاء ، ولكن الكتاب لقاء من لا سبيل له الى الحركة ، وقبول العذر عن حيل بينه وبين الواجب .

- ١٥ • ولأبن مكرم : ومما حرّكني للكتاب تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل الحادث (٢) فيه ، ولا تعاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل اليك والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل وأصاله الرأي ، ومدّله من عنانه الى قصوى الغايات ، فإننا لله وإنا اليه راجعون على ما أفانئنا الأيام منه حين تم واستوى ، وغالى في المروءة وتناهى ، وعند الله يُحتسب المصاب به ؛ وعظم الله لك فيه الأجر ، ومهل لك في العمر ،

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) لعله « عن » .

وأجزل لك العوض والدُّخْر. فكلَّ ماضٍ من أهلك فانت سِدَادُ ثَمَنِهِ وجابر رزيتِه .
وقد خَلَفَ من أنتَ أَحَقُّ الناسِ به من عَجُوزٍ وَلَيْتَ تَرْبِيَتَكَ وَحَيَاطَتَكَ في طبقاتِ
سِنِّكَ ، وَلَدِّ رُبُوءٍ في حِجْرِكَ وَنَبْتِوَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، ليس لهم بعد الله مرجع سِوَاكَ ، ولا
مَقِيلٌ إِلَّا في ذَرَاكَ ؛ فَأَتَسُدُّكَ اللهُ فِيهِمْ فَإِنَّهُ أَنْتَ أَرْبُ أَحْوَالِهِمْ بِعِمَارَةِ مَرْوَتِهِ ، وقَطَعَهُمْ
بصلة فضله ، والله يَمْزِيهِ بِجَمِيلِ أثرِهِ وَيُخْلِفُهُ فِيهِمْ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ .

وفي فصل من كتاب : وقد جرى قضاء الله في هذه النازلة ما نطق عما نالك^(١)
وَأَبْقَى عندَكَ ، وهو حقٌّ مِثْلُهَا وَقَدَّرَ مِثْلَهَا .

وفي فصل آخر : لو كان ما يَمْسُكُ من أذى يُشْتَرَى أو يُفْتَدَى ، رجوتُ أن أكون
غَيْرَ بَاخِلٍ بِمَا تَضَنُّ به النفوسُ ، وَأَنْ أكون سِتْرًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ كُلِّ مُلِمٍّ ومَحْذُورٍ .
فَأَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ ، وَأَجْزَلَ ذُنُوكَ ، ولا خَذَلَ صَبْرَكَ ولا فَتَنَكَ ؛ ولا جعل للشيطان
حَقًّا فِيكِ ولا سَبِيلًا عَلَيْكَ .

المداينى قال : قَدِمَ رجلٌ من عَبَسَ ، ضَرِيرٌ مُحْطُومُ الوجه ، على الوليد ؛ فسأله
عن سببِ ضُرِّهِ ، فقال : بَيْتٌ لَيْلَةٍ في بطنِ وادٍ ولا أعلم على الأرض عَسِيًّا يَزِيدُ مَالَهُ على
مَالِي ، فطَرَقْنَا سَيْلًا فَاذْهَبَ ما كان لِي من أَهْلٍ ومَالٍ وولدٍ إِلَّا صَبِيًّا رَضِيْعًا وَبَعِيرًا صَعْبًا ،
فَنَدَّ البَعِيرُ والصَّبِيُّ مَعِي فَوَضَعْتُهُ وَأَتَّبَعْتُ البَعِيرَ لِأَحْسِسَهُ ، فَا جَاوَزْتُ إِلَّا ورَأْسُ^(٢)
الذئبِ في بطنه قد أَكَلَهُ ، فَتَرَكْتُهُ وَأَتَّبَعْتُ البَعِيرَ ، فاستدار فرمحنى رَحْمَةً حَطَمَ بها وجهي
وأذهب عيني ، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولدٍ . فقال الوليد : أَذْهَبُوا به إلى عُرْوَةٍ
ليعلم أن في الناس من هو أعظمُ بلاءَ منه ؛ وكان عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ أُصِيبَ بِأَبْنٍ
له وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها ، فكان يقول : كانوا أربعة —

(٢) نَدَّ البَعِيرُ : شَرَدَ .

(١) لَعَلَهُ : «بِما» .

يعنى بنيه — فأبقيت ثلاثة وأخذت واحداً، وكُنَّ أربعاً — يعنى يديه ورجليه —
فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً^(١). أحمذك، لأن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت
أبقيت لقد عاقبت. وشخص الى المدينة فأتاه الناس يبكون ويتوجعون؛ فقال :
إن كنتم تُعدُّونى للسِّباق والصِّراع فقد أودى، وإن كنتم تُعدُّونى للسان والجاه
فقد أبى الله خيراً كثيراً.

وقال على بن الجهم :

مَنْ سَبَقَ السَّلَوةَ بالصَّبْرِ * فاز بفضل الحمد والأجرِ
يا عَجَباً مَنْ هَلَعَ جازِع * يُصبح بين الذمِّ والوِزْرِ
مصيبةُ الإنسان في دينه * أعظمُ من جائحةِ الدهرِ

وقال بعض الشعراء^(٢) :

ليت شعري ضلَّةٌ * أىُّ شئٍ قَتَلَكَ
والمنايا رَصَدٌ * للفتى حيث سَلَكَ
كلُّ شئٍ قاتِلٌ * حين تلقى أجَلَكَ
ليت نفسى قُدِّمَتْ * للمنايا بَدَلَكَ
أىُّ شئٍ حَسَنٌ * للفتى لم يكُ لك

وقال آخر :

غُرِّ أمرؤُ منته نفد * سَأَن تَدومُ له السَّلامَةُ
هيهات ! أعياءُ الأولي * ن دواءُ دائك يادِعامه

(١) فى الأصل : « ثلاثة » بانباء التاء . (٢) كذا بالأصل . وفى شرح أشعار الحامسة

(ص ٤١٤ طبعه أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تابط شراً، ويقال لأم السليكة بن السليكة، وأولها :

طاف بينى نجوة * من هلاك فهلك ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليكة
وذكر لهذا خيراً .

وقالت صفيّة الباهليّة في أختها :

تَكا كغصن^(١)ين في جُرثومة سَمَوَا * حِينَا بأحسن ما تسمُو له الشجرُ
حَتَّى إذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب قنواهما ^(٢)وَأَسْتَنْظِرَ الثمرُ
أخى على واحدٍ ريبُ الزمانِ ولا * يُبْقِي الزمانُ على شيءٍ ولا يَدْرُ
تَكا كأنجيم ليلٍ وَسَطَنَا قمرٌ * يحلو الدُّجى فهو من بيننا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائي قوله :

كَانَ بَنِي نَهْانَ يَوْمَ وفاته * نجومُ سماءٍ نَحَرَ من بينها البدرُ

وقال آخر :

لِكُلِّ أَناسٍ مَقْبَرٌ بِفَنائِهِم ^(٣) * فهِم يَنْقُصُونَ والقبورُ تَزِيدُ
وما إن يَزَالُ رَسْمُ دارٍ قَدْ أَخْلَقَتْ * وَبَيْتٌ لَمِيتٌ بِالفناءِ جَدِيدُ
هُمُ جِيرةُ الأحياءِ أَمَّا جِوارُهُم * فداينِ وَأَمَّا الملتقى فبَعِيدُ

وقال آخر :

لا يُبْعِدُ اللهُ أَقْوامًا لَنا ذَهَبُوا * أَنفاهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبْدُ
مَمْدُهُم كُلُّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا * ولا يَأْوُبُ إلينا مِنْهُمْ أَحَدُ

وقال النابغة :

حَسْبُ الخَلِيلِينَ أَنَّ الأَرْضَ يَنْهَمَا * هذا عليها وهذا تحتها بالي

وقال آخر :

وقد كنتُ أَرْجُو أَنَّ أَمْلَأكُ حِقْبَةٌ ^(٤) * خال قضاؤه الله دون رجائيا
أَلا لَيْمَتْ مَنْ شاءَ بَعْدَكَ إِنما * عليك من الأقدارِ كان حَدَارِيا

(١) جرثومة الشيء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعمقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك ، يقال : ملك الله حبيبك أى متعك به
وأعاشك معه طويلا .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فِعَالَهُ * وَلَكِنَّهُ وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظَمًا
فَصَالَهُ ^(١) بِنَ شَرِيكَ :

رَمَى الْحِذْنَ نَائِنِ سَوَةِ آلِ حَرْبٍ * بِفَادِحَةٍ سَمَّنَتْ لَهَا سُودًا ^(٢)
فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بَيْضًا * وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

وقال آخر :

أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ * بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ مَصِيبَتُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ * فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ * فَكَأَنَّهُ مِنْ تَشْرِهَا مَنْشُورُ ^(٣)

منصور التَّمَرِي :

فَإِنْ يَكُ أَفْتُهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ * فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِي

وقال طُفَيْلٌ يَذْكُرُ الْمَوْتَ :

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ * وَصَرَفُ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبُ

وقال هشام أخو ذى الرِّمَّة :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ * عِزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ مُتَرَعٍ ^(٤)
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ * وَلَكِنْ نَكَ الْقَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

(١) نسب هذا الشعر في أمالي القالي (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكاتب بن معروف الأسدي .
ونسب في شرح أشعار الحماسة (ص ٤٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدي .
(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومته قوله تعالى : (وَأَتَمَّ سَادُونَ) وهو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السواد . وقيل معناه رفض رموسن ينحن . (٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر . وفي الأصل : « إلى » . (٤) النك : مصدر نكا القرحة اذا قشرها قبل أن تبرا فتدبت .

وفي فصل من كتاب لبعض الكتاب : لست أحتاج مع علمك بما في الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة ، وما في الشكر عن^(١) حادث النعمة من الحظ ، الى أكثر من الدعاء في قضاء الحَقَّين ، ولا إلى إخبارك عما أنا عليه من الارتماض لَصْرَائِكَ والجَلْدِ بسرائك ، لمعرفةك بشركتي لك واتصال حالك بي في الأمرين .

التـــهاني

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا ميمون [قال] حدثنا أبو عبد الله النَّاجِي قال : كنت عند الحسن ، فقال رجل : لِيَهْنِكَ الفارسُ ، فقال : لعله يكون بَقَالًا ، ولكن قل : شكرت الواهبَ ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشدّه ، ورُزِقَت برّه . قال مجاهد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لمتروِّج قال : «على اليُمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودة عند الرحمن» .

قال أبو الأسود لرجل يهنئه بترويح : باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر في المعركة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أول من هنا وعزى في مقام واحد عطاء بن أبي سفيان الثقفى ، عزى يزيد بن معاوية بأبيه وهناه بالخلافة ، ففتح للناس باب الكلام ، فقال : أصبحت رُزئت خليفةً وأعطيت خلافة الله . قضى معاوية نَجْبه ، فغفر الله ذنبه ، ووليت الرئاسة ، وكنت أحق بالسياسة ، فأحتسب عند الله أعظم الرزية ، وأشكر الله على أعظم العطية . وعظم الله في أمير المؤمنين أجرك ، وأحسن على الخلافة عونك . وقالت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس : أعظم الله أجرك في أخيك ، لا مصيبة على الأمة أعظم من مصيبتك ، ولا عوض لها أعظم من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أنحزم بمعجمتين .

(٤) البغال : راكب البغال ، والبغال تعجز عن شأو الأفراس .

قال المجاج لآيوب بن القريّة: اخطب على هند بنت أسماء، ولا تردّ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والأمير معطيكم ما تسألون، أفنتكحون أم تردّون^(١)؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. فرجع ابن القريّة الى المجاج فقال: أقر الله عينك، وجمع شملك، وأثبت ربّك؛ على الثبات والنبات، والغنى حتى المات؛ جعلها الله ودودا ولودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعض الكتّاب الى رجل يهتئ به دار انتقل إليها: بخير مُتَقِلٍّ، وعلى أيمن طائر، ولأحسن إبان، أنزلك الله عاجلاً وأجلاً خير منازل المُفْلِحِينَ.

وقال ابن الرّاقع لمتزوج:

قُر السَّاءُ وشمسُها آجتماعاً * بالسَّعدِ ما غاباً وما طَلَعاً
ما وارتِ الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومن شَمِعَا
دام السُّرورُ له بها ولها * وتَهَنَّا طولَ الحِياةِ معاً

وكتب رجل الى صديق له يهتئ بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّا الله لك من آجتماع الشَّمْلِ، بضمّ الأهل؛ فشرُّك في النعمة، وكنتُ أسوتك في السرور، وشاهدتك بقلبي، ومثلتُ ما أنت فيه لعيني، فخلّلتُ بذلك محلّ المعايين للحال وزينتها، فهنيئاً هناك الله ما قَسَمَ لك، وبالرفاء والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخر من الكتّاب الى عامل: نحن من السرور، بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تلي من أعمالك، وخطمك وزمك إياها بحزمك وعزمك، وأنتياشك أهلها من جور من وليهم قبلك، وسرورهم بتطاؤل أيامك والكون في ظلّ جناحك، في غاية من تخصّصه ونعمه ونعمك، وتجوّل به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك، ولم يردّد علينا آمالنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا في غيرك. وهنيئاً هناك الله نعمه خاصّها وعامّها، وأوزعك شكرها، وأوجب لك بالشكر أحسنّ المزيّد فيها.

(١) في الأصل: «أو تردّون» والمقام هنا يقتضى «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نصرانيٍّ قد أسلم يهنئه : الحمد لله الذي أَرشدَ
أمرَكَ ، وخصَّ بالتوفيق عزمَكَ ، وأوضح فضيلةَ عقلِكَ ، ورجاحةَ رأيِكَ ، فما كانت
الآدابُ التي حوتها ، والمعرفةُ التي أوتيتها ، لتدوم بك على غوايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليقُ
ببلِّكَ ، ولا يبرحُ ذوو الجحَا من موجبي حَقِّكَ يُنكرون إبطاءَكَ عن حَقِّكَ وتركَكَ البِدَارَ
إلى الدينِ القيمِ الذي لا يقبلُ اللهَ غيره ولا يُثيبُ إلا به ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . والحمد لله الذي
جعلَكَ في سابقِ علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهلِ ولّايته ، وشرفه بولاءِ خليفته .
وهناكَ الله نعمته ، وأعانَكَ على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنا أخًا ندينُ بمودته ومُوالاته
بعد التَّائِمِ من خُلُطتِكَ ومخالفةِ الحقِّ بمشايعتِكَ ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجِّ : الحمد لله على تَمَامِ مُهَاجِرِكَ ، وسلامةِ
بَدَأَتِكَ وَرَجْعَتِكَ ، وإعظامِهِ المِنَّةَ بأوْبَتِكَ ، وشكرِ اللَّهِ سَعِيكَ ، وبرِّحَمِكَ ، وتقَبُّلِ
نُسُكَكَ ؛ وجعلَكَ ممن قلبه مُفْلِحًا مُنْجِحًا ، قد رِيحَتْ صَفْقَتُهُ ، ولم تَبُرْ تِجَارَتُهُ ،
ولا أَعْدَمَكَ نِيَّةٌ تَفْضُلُ عَمَلِكَ ، وتوفيقًا يُحَوِّطُ دِينَكَ ، وشكرًا يَرْتَبِطُ نِعْمَتُكَ ؛ فهناكم
اللهُ النعمةُ ، وجمعَكَ في دارِ الخِلافةِ ، وجعلَكَ سَاسَةَ الأَمةِ والمتقدِّمين عند الإمام —
أيدَهُ اللهُ بالطاعة والنصيحة — فإنَّكُمْ زَيْنُ السُّلْطَانِ ، وعُمْدَةُ الإِخْوَانِ ، وأضدادُ أَكْثَرِ
أهلِ الزمانِ .

وكتب إلى رجلٍ عن صديقٍ له يهنئه بِفِطَامِ مولود : أنا — أعزَّكَ اللهُ — لما
حَمَلَنِي اللهُ من أياديكَ ، وأودعني من إحسانِكَ ، وألزمني من شكرِكَ ، أخذَ نفسي بمِراعاةِ
أُمُورِكَ ، وتَفَقُّدِ أحوالِكَ ، وتَعَرُّفِ كُلِّ ما يُحْدِثُهُ اللهُ عندَكَ ، لِأَقَابِلِهِ بما يَلْزَمُنِي ، وَأَقْضِي

- الحق فيه عني بمبلغ الوُسْع ومقدار الطاقة، وإن كانا لا يبلغان واجبك، ولا يستقلان بثقل عارفتك . وكل ما نقل الله الفتى [و] بلغه من أحوال البلوغ ورقاه فيه من درجات النمو، فنعمة من الله حادثة تُلْزِمُ الشكر، وحق يجب قضاؤه بالتهنئة . وكتب الى وكيل المقيم بياك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفطام ، وصَلاح جسمه عند الطعام، وسلوته عن أول الغذاء، وسرورك ومن يليك بما وهب الله في هذه الحال من عافيته وحسن المدافعة عنه ؛ فأكثرُ لله الحمد ، وأسهبْتُ في الدعاء والرغبة، وتصدقت عنه بما أرجو أن يتقبله ؛ وكتبت مهنتا بتجدد النعمة عندهم فيه . فالحمد لله المتطوِّل علينا قبله بما هو أهله ، والمُجَرِّى لنا فيما يُؤَلِّيك على حسن عاداته . وهناك الله النعم، وصانها عنده من الغير، وحرسها بالشكر، وبلغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنه وفضله .
- ١٠ . وكتب بعض الكتاب تهنئةً بحجَّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يجدده الله لهم من نعمه في الدعاء، من جلائل حقوقهم على أوليائهم . وقد خصَّ الله حقَّك بما لا يسعني معه آذخارُ مجهود في تعظيمه وشكره . ولولا أن الطاعة من حدوده، لم أُنْتَظَرُ إذْناكَ لى في تلقِّيك راجلاً بالأوبة، إذ كان الكتابُ بها دون السعى بأبلغ نصيب من التقصير . وأنا أسأل الله الذى أوفدك الى بيته الحرام، وعمر بك مشاهدته العظام ؛ وأوردك حرمة سالماً، وأصدرك عنه غانماً ؛ ومن بك على أوليائك وخدمك، أن يهنئك بما أنعم به عليك في بذاتك ورجعتك ؛ بتقبل السعى ونجح الطلبة وتعريف الإجابة .

- وكتب بعض الكتاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يجددها الله عندك ، والصنعُ الجميلُ تُحدثه لك الأيام، إلا كان آرتياحى له وأستبشارى به واعتدادى .
- ٢٠ . بما يهب الله لك من ذلك، حسبَ حقِّك الذى توجهه، وبرِّك الذى أشكره، وإخائك

الذى يَعَزُّ وَيَجَلِّ عندى موقعه ، فجعل الله ذلك فيه وله ، ووصله بتقواه وطاعته .
وبلغنى خبرُ الولاية التى وَلَيْتَهَا ، فكُنْتُ شريكَكَ فى السرورِ وعديكَ فى الارتياح ،
فسألت الله أن يُعَرِّفَكَ يُمَنَّا وبركتها ، ويرزُقَكَ خيرَها وعادتها ، ويُحَسِّنَ معونتك على
صالحِ نيتِكَ فى الإحسان إلى أهلِ عملِكَ والتألفِ لهم ، واستعمالِ العبدِ فيهم ،
ويرزُقَكَ محبتهم وطاعتهم ، ويجعلهم خيرَ رعية .

وكتب رجلٌ الى معزول : ^(١) فإن أكثر الخير فيما يقع بركه العباد ، لقول الله عز وجل :
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . وقال
أيضا : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وعندك بحمد الله من
المعرفة بتصاريف الأمور ، والاستدلال بما كان منها على ما يكون ، مغنى عن الإكثار
فى القول . وقد بلغنى أنصرفك عن العمل على الحال التى أنصرفت عليها من رضا رعتك
ومحبتهم وحسن شأنهم وقولهم ، ^(٢) لما بقيت من الأثر الجميل عند صغيرهم وكبيرهم ،
وخلفت من عدلك وحسن سيرتك فى الدانى منهم والقاصى من بلدهم ، فكانت
نعمة الله عليك فى ذلك وعلينا ، نعمة جل قدرها ووجب شكرها . فالحمد لله على
ما أعطاك ، ومنح فيك أولياءك وأرغم به أعداك ، وممكن لك من الحال عند من
ولأك ؛ فقد أصبحنا نعتد صرْفَكَ عن عملك منعا مجددا ، يجب به تهنئتك ، كما يجب
التوجع لغيرك .

وكتب رجلٌ من الكتّاب فى تهنية بفتح : لولا أن عوائق أشغالٍ يوجبُ العذرَ
بها تفضُّلكَ وَيَسْطِطُه احتمالُك ، لكنك مكان كتابى هذا مهتئا لك بالأوبة ، ومجدداً

(١) فى الأصل : « الخيار » . (٢) فى الأصل : « ما بقيت » . (٣) بالأصل : « منعا »

بك عهداً، ومُحيماً نفسي بالنظر اليك. وأنا أسأل الله أن يشكر سعيك، ويتقبل حجك،
ويثبت في عليين أثرك، ولا يجعله من الوفاة اليه آخر عهدك .

وكتب بعض الكتّاب : لا مُهَنَّى أُولَى ما يكون مهتاً، تعظيماً لِنِعْمِهِ فيما جدد
الله لك يا مولاي بالولاية، مني؛ إذ كنت أرجو بها أنضمام تشرى، وتلافي الله بعنايتك
المتشكّات من أمرى . فهناك الله تجدّد النعم، وبارك لك في الولاية، وأفتتحها لك
بالصنع الجليل، وختمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شرار الإخوان

ذكر خالد بن صفوان شبيب بن شبة فقال : ذاك رجل ليس له صديق
في السر ولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

١٠

وإك من الخُلان من تَحَطَّ النَّوى * به وهو داج للوِصالِ أمينُ
ومنهم صديقُ العينِ أما لِقاؤُهُ * فُخْلُوْ وأما غِيْهُ فظُنُونُ^(٢)

أقبل عُيَيْنَةُ بن حِصْن إلى المدينة قبل إسلامه ، فلقبه ركبٌ خارجون منها ؛
فقال : أخبروني عن هذا الرجل (يعني النبي صلى الله عليه وسلم)، فقالوا : الناس فيه
ثلاثة رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشاً وأفناء العرب^(٣) ، ورجل لم يُسَلِّمْ
فهو يقاتله ، ورجل يُظهر الإسلام إذا لقي أصحابه ويُظهر لقريش أنه معهم
إذا لقيهم ؛ فقال : ما يسمّى هؤلاء؟ قالوا : المنافقون ؛ قال : فأشهدوا أنّي منهم ،
فما فيمن وصفتُم أحزم من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « وسئل شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان

فقال : ذاك رجل الخ » ، وهي تزيد الضبط الذي أثبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به .

(٣) أفناء العرب : أخلاطهم الزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يدري من أي القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللهم اكفني بوائق الثقات، واحفظني من الصديق.
وكتب رجل على باب داره: جَزَى الله مَنْ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ خَيْرًا، فَمَا
أَصْدَقَاؤُنَا فَلَا جُزُوا ذَلِكَ، فَإِنَّا لَمْ نُؤْتَ قَطُّ إِلَّا مِنْهُمْ .

وكتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك الزيات :
وَكُنْتُ أُنْحَى بِإِخَاءِ الزَّمَانِ * فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانَا
وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو إِلَيْكَ الزَّمَانَ * فَاصْبَحْتُ فِيكَ أَذْمُ الزَّمَانَا
وَكُنْتُ أُعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ * فَهَإِنَّا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وقال محمد بن مهدى :

كَانَ صَدِيقِي وَكَانَ خَالِصَتِي * أَيَّامَ نَجْرِي نَجَارِي السُّوقِ
حَتَّى إِذَا رَاحَ وَالْمُلُوكُ مَعَا * عَدَّ أَطْرَاحِي مِنْ صَالِحِ الْخُلُقِ
خَلَّيْتُ ثُوبَ الْفِرَاقِ فِي يَدِهِ * وَقُلْتُ هَذَا الْوَدَاعُ فَانْطَلِقِ
لَيْسَتْهُ لَيْسَةُ الْحَدِيدِ عَلَى الْإِلَ * قُرَّ وَفَارَقْتُ فُرْقَةَ الْخَلْقِ

وقال آخر :

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فِي حَالِ عُسْرَتِهِ * مُوَاصِلًا لَكَ مَا فِي وُدِّهِ خَلَّ
فَلَا تَمَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ غِنًى * فَإِنَّهُ بَانْتِقَالِ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

وكتب رجل الى صديق أعرض عنه : لَوْلَا أَنِّي أَشْفَقْتُ مِنْ أَشْتَاتِ ظَنِّي
[في] إِبَابَتِكَ إِلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ بَرَاءَتِي مِنْهُ فِيكَ وَلَكِ لِمَعْجَبِكَ وَلِكَفَيْتِكَ مُؤْتَى، ثَقَّةً بَانَ
أَزْدِيادَكَ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ سَتَرْدَكَ إِلَى؛ فَإِنْ رَجَعْتَ قَبِلْتُ وَتَمَسَّكْتُ وَاعْتَبَطْتُ،
وَإِنْ أَصْرَرْتَ لَمْ أَتَّبِعْ مُوَلِّيَا، وَلَمْ آسَ عَلَى مُدِيرٍ، وَلَمْ أَسَاحِ نَفْسِي عَلَى تَعَاقُهَا بِكَ،

(١) كنا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتاب في مصدر آخر بعد طول البحث عنه في مظانّه .

ولم أساعدها على نزاعها اليك . فكم من زمان تركتك فيه وسومك ثم أبى قلبي ذلك ، فكررت وعطفت أسى على أيامي معك وما توكد بيني وبينك . وما من كربة لي اليك إلا وهي داعية إلى ما أكرهه من استخفافك وتغورك . ولو فهمت ما استحققت به عليك ما أشكوه لخف تحمل ما يكون منك على ولا جئت في عتابك ورضاك .^(١)

- وفي جواب كتاب : وقد وزعني ما ضربته لي من الأمثال في كتابك عن استبطائك . على أنى لا أستريد إلا من أحتاج الى صلاحه وأرغب في بقيته ، وقد قيل :

يَبِينُ إِلَّا جَفْوَةً وَظُلْمًا * من كثرة الوصل تجنى الحرماً^(٢)

- وفي كل ما أجتني ظلمت في معارضتي عن مسخى جوابك بإيماشي ، وفي اعتدادك علي بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه . وما أنكر الخلاف بين الأب وأبنة والأخ وشقيقه اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بيني وبينك قط ، فإني لم أخالفك ولم أشاحك ولم أنازعك ولم أعارض نعمك يلا ولا أمرك بنهى .

وقال الحسن بن وهب :

- سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْكَ حَسَبَ إِهَانَتِي * لها فيك إذ قرت وكف نزاعها
هي النفس ما كلفتها قط خطئة * من الأمر إلا قل منه استناعها
صدقت لعمري أنت أكبر همها * فأجهدها إذ قل منك انتفاعها
هَبْ أَيْ أَعْمَى فَاتَتْ الشَّمْسُ طَرْفَهُ * وَغُيِبَ عَنْهُ نُورُهَا وَشُعَاعُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئاً مُلْفَقاً * فكشفه التحيص حتى بدا ليا

فانت أنى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا
فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما * بلوتك فى الحاجات إلا تماديا
فاست براء عيب ذى الوء كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فمين الرضا عن كل عيب كيلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وكتب أيضا الى بعض إخوانه : أما بعد، فقد عافنى الشك فىك عن عزيمة
الرأى فى أمرك؛ إبتدأتنى بلطف عن غير خبرة، ثم أعقبته جفاء من غير ذنب؛
فأظمى أولك فى إحائك، وآيسنى آخرك من وفائك؛ فلا أنا فى غير الرجاء لمجمع لك
أطراحا، ولا أنا فى غد وانتظاره منك على ثقة؛ فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح
الرأى فى أمرك عن عزيمة الرأى فىك، فاقنا على آتلاف، أو أفرقنا على اختلاف.

وكتب رجل إلى صديق له : نحن نستكثرك بأعتراك ، ونستديم صلتك
بجفائك ، ونرى الزيادة فى الغم أدوم لجميل رأيك . ومثله قول كثير :
وإن شحطت يوما بكيت وإن دنت * تدللت وأستكثرها بأعتارها
ونحوه قول الكيى :

وقد يخذل المولى دُعائى ويحتدى * أذاقنى وإن يعدل به الضيم أغضب
فأؤنس من بعض الصديق ملاة الدنو * فاستبقهم — بالتجنب
وقال آخر :

إنك ما أعلم ذو ملة * يذهلك الأدنى عن الأقدم

(١) كذا فى المحاسن والمساوى للبيهقى والمحاسن والأضداد للملاحظ . وفى الأصل : « إبتدأتنى بلطف

عن غير حرمة » . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « ونرى الزيادة فى الغم أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حسان :

لا خير في الود ممن لا تزال له * مستشعراً أبداً من خيفة وجل
إذا تغيب لم تبرح تُسبي به * ظناً وتسأل عما قال أو فعلاً

وقال مرة بن محكان :

تري بيننا خلقاً ظاهراً * وصدرًا عدواً ووجهاً طليقاً

ونحوه قول المرار :

كذبٌ تختصه على لقومه * سلمُ اللسان محاربُ الإسرار
وحدثني أبو حمزة الأنصاري قال : حدثنا العتيبي قال : قالت أعرابية لابنها :
يا بني، إياك ومُحبة من مودته بشره فإنه بمنزلة الريح .

١٠. وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخٌ يُخلص لك ودّه، ويبلغ في محبتك جهده .
وأخٌ ذونية يقتصر بك على حسن نيته، دون رفده ومعاونته . وأخٌ يلهو^(١)ك لسانه،
ويتشاغل عنك بشانه، ويوسعك من كذبه وأيمانه .

وقال المثنى العبدى :

فإنما أن تكون أحنى بصدق * فأعرف منك غنى من ثمنى
ولمّا فأجتنبني واتخذني * عدواً أتقيك وتتقيني

١٥

وقال أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يسوءك إن ولّى ويرضيك مُقبلاً
ولكن أخوك النسائي مادمت آمناً * وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أَعْضلاً

(١) كذا في الأصل ولعله : « بلسانه » واللهوة والتهلوق : أن يبدى الانسان غير ما في طبيعته ويتزين

بما ليس فيه من خلق ومروءة وكرم .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَدَّ اللِّسَانُ بِنَافِعِ * إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ الْمَوَدَّةِ فِي الْقَلْبِ
وقال أبو حارثة المَدَنِي : لَيْسَ لِمَلُولٍ صَدِيقٌ ، وَلَا لِحَسُودٍ غَنِيٌّ ، وَالنَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ
تَلْقِيحُ الْعُقُولِ .

قال العباس بن الأحنف :

أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ * حَتَّى إِذَا أَيقَظُونِي فِي الْهَوَى رَقَدُوا
وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قَمْتُ مُتَهَيِّضًا * بِثِقَلِ مَا حَمَلُونِي فِي الْهَوَى قَعَدُوا
ونحوه قول المجنون :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي * بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعَصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ * وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وقال آخر :

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ * عَلَى طَوْلِ مَرِّ الْحَادِثَاتِ بَقَاءُ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

لَا إِلَهَ مَنْ لَا يَنْفَعُ الْوَدُّ عَشْدَهُ * وَمَنْ حَبَلُهُ إِنْ مَدَّ غَيْرُ مَتِينِ
وَمَنْ هُوَ إِنْ يُحَدِّثُ لَهُ الْغَيْرُ نَظْرَةً * يُقَطِّعُ بِهَا أَسْبَابَ كُلِّ قَرِينِ

(١) في الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قَمْتُ مُتَهَيِّضًا * بِثِقَلِ مَا حَمَلُوا مِنْ وَدَّهِمْ قَعَدُوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الغباء والوعول : ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائر

أسود أو أحمر . (٣) نسب القائل في أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين

البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج في الأغاني (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوة من النار .

وقال على عليه السلام : " لا تؤاخ الفاجر فإنه يزين لك فعله ويحب لو أنك مثله ويزين لك أسوأ خصاله ، ومدخله عليك ويخرجك من عندك شين وعار . ولا الأحق فإنه يجهل بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرّك ، فسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته . ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يُصدق " .

قال أبو قبيل : أسرت ببلاد الروم فأصبّت على ركن من أركانها :

ولا تصحب أبا الجهل * وإياك وإياه
فكم من جاهل أزدى * حليماً حين آخاه
يُقاس المرء بالمرء * إذا ما هو ماشاه
ولشيء على الشيء * مقاييس وأشباه
وللقب على القلب * دليل حين يلقاه

وقال عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ^(١) * فإن القرين بالمقارن مقتدي

وأنشد الرّياشي :

إن كنت لا تصحب إلا قتي * مثلك لم تؤت بأمثالك

(١) ورد هذا البيت في حسانة البحرى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه » وكتب بهامشه : « خ : وأبصر قرينه » إشارة إلى نسخة أخرى . وورد في ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة إليه والراجح أنه لعدي بن زيد ، من دالته المشهورة ، وهي من مجمرات أشعار العرب التي ذكرها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه « جمهرة أشعار العرب » (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعا :

أعرف رسم الدار من أم معبد * نعم ورمك الشوق قبل التجلد

إِنَّ لَكَ الْفَضْلَ عَلَى صُحْبَتِي * وَالْمَسْكُ قَدْ يَسْتَصِحِبُ الزَّامِكَا^(١)
هَبْنِي أَمْرًا جَنَّتْ أُرِيدُ الْهَدَى * بَقْدَ عَلَى ضَعْفِي بِإِسْلَامِكَا

وكتب يحيى بن خالد : أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ أُنِّي بِكَ ضَنِينَ ، أُرِيدُكَ
مَا أُرِدْتَنِي ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَتُوبَ عَنِّي مَا كَانَ ذَلِكَ بِي وَبِكَ جَمِيلًا يَحْسُنُ عِنْدَ إِخْوَانِنَا ،
وإن وقعت الممقاديِرُ بخلاف ذلك لم أعدُ ما يجب . والذي هاجني على الكتاب أن
أبا نوح معروف بن راشد سألني أن أبوح له بما عندي ، والله يعلم أُنِّي ما تبدلت
وما حُلْتُ عن عهد ، بجمعنا الله وإياك على طاعته ومحبة خليفته .

وقرأت في كتاب للهند : ثِقْ بِذِي الْعَقْلِ وَالْكَرَمِ وَأَطْمِئَنَّ إِلَيْهِ ؛ وَوَاصِلُ الْعَاقِلِ
غَيْرُ ذِي الْكَرَمِ ، وَاحْتَرَسَ مِنْ سَيِّئِ أَخْلَاقِهِ وَأَنْتَفَعَ بِعَقْلِهِ ؛ وَوَاصِلُ الْكَرِيمِ غَيْرُ
ذِي الْعَقْلِ وَأَنْتَفَعَ بِكَرَمِهِ وَأَنْفَعَ بِعَقْلِكَ ؛ وَأَهْرُبُ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ .^(٢)

وقال حماد عَجْرَد :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُتَكَّرُهُ * مَا دَمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ * يَلْفَاكَ بِالْتَرَحُّيبِ وَالْبِشْرِ
يُطْرِي أَلَوْفَاءَ وَذَا أَلَوْفَاءَ وَيَدُ * حَيَّ الْغَدْرُ مَجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرُ
فَإِذَا عَدَا ، وَالْدَهْرُ ذُو غَيْرٍ ، * دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ أُخُوَّةَ مَنْ^(٣) * يَقْلِي الْمَقْلُ وَيَعْشِقُ الْمُثْرَى
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ * فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْبُسْرِ
لَا تَخْلُطُنَّهُمْ بِغَيْرِهِمْ * مِنْ يَخْلُطُ الْعِقْيَانَ بِالْصُّفْرِ!^(٤)

(١) الزامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) في الأصل : « العاقل » وهو

تحريف . (٣) كذا في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) . وفي الأصل : « يطوى » وهو تحريف .

(٤) في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) : « مودة » . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سويد بن الصامت^(١) :

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى * مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرَى
مَقَالَتَهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا * وبالغيب مأثور^(٢) على ثغرة النحر
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَأَتَمَّ * من الضغن والشحناء بالنظر الشر^(٣)
فَرَشَنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي * وخير الموالى من يريش ولا يبرى

وقال آخر :

وصاحب كان لى وكنت له * أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كَمَا كَسَايَ تَسْمَى بِهَا قَدَمٌ * أَوْ كَذَرَايَ نِيَطُ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْ * خَطْوَى وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدَى
أَحْوَلَّ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
وَكَانَ لِي مُؤَسَا وَكَنتُ لَهُ * لَيْسَتْ بِنَا وَحْشَةً إِلَى أَحَدٍ
حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَدَتْ يَدِي يَدَهُ * كُنْتُ كَسْتَرْفِدُ يَدَ الْأَسَدِ

وقال بعض الأعراب :

إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ كُلُّهُمْ * إِخْوَانُ غَدْرٍ عَلَيْهِ قَدْ جُلُوا
طَوَوْا ثِيَابَ الْوَفَاءِ بَيْنَهُمْ * وصار توب الرياء^(٥) يَتَنَذَلُ
أَخُوهُمْ الْمُسْتَحِقُّ وَصَلَهُمْ * مَنْ شَرَبُوا عَنْدهُ وَمَنْ أَكَلُوا
وَلَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُ بَيْنَهُمْ * وَبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعْدِمًا عَمَلٌ

(١) ذكر اللسان في مادة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لعمير بن حبيب .
(٢) كذا في اللسان ، والمأثور : الذى يؤثر عنه شر و تهمة ، وفي الأصل : « مأمون » وهو تحريف ؛
وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه في غيبته . (٣) كذا ورد هذا الشطر في اللسان . وفي الأصل
ورد هكذا : * ولاجن بالبغضاء والنظر الشر * (٤) دانت : قاربت . (٥) يتنذل :
يلبس كثيرا ، ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتن ولا يصان .

قال رجل لآخر : بلغني عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنَّ مُحِبَّةَ الأشرار
ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دُعِيل :

أبا مُسْلَمَ^(١) كَمَا حَلَفَنِي مَوْدَةً * هَوَانًا وَقَلْبَانًا جَمِيعًا مَعًا مَعًا
أَحْوِطُكَ بِالْوَدِّ الَّذِي لَا تَحُوْطُنِي * وَأَرَأُبُ مِنْكَ الشَّعْبَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَا تَلْجِئَنِي لَمْ أَجِدْ فِيكَ حِيلَةً * تَخَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَرْفَعًا
فَهَبْكَ يَمِينِي آسَاتَا كَلَّتْ فَأَحْتَسِبْتُهَا^(٢) * وَجَشِمْتُ^(٣) قَلْبِي فَطَعَهَا فَتَخَشَّعَا^(٤)

وقال يزيد بن الحكم الثقفى :

تَكَاشَرْنِي^(٥) كُفْرَهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ * وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي^(٦)
لِسَانُكَ مَاذَى وَقَلْبُكَ عَلَقَمٌ^(٧) * وَشَرَكُ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُنْطَوِي^(٨)
عَدُوُّكَ يَحْتَسِي صَوْلَتِي إِنْ لَقِيتُهُ * وَأَنْتَ عَدُوٌّ لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِي^(٩)
أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوَأْمَرًا هَوِيَّتَهُ * وَلَسْتَ لِمَا أَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوِي

- (١) هذا بالأصل . وفي الأغاني (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » . (٢) كذا
بالأصل ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشئ طلب منه أن يأكله ، والمستأكله :
الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى ويعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا في الشعر تأكل يده ،
والصيغة الدالة على هذا المعنى في كتب اللغة هي ائتك وتأكّل . (٣) في الأغاني طبع بولاق
ج ١٨ ص ٤٧ : « فقطعها » . (٤) في الأغاني : * وجشمت قلبي صبرة فتشجما *
(٥) تكاشرنى : تضاكننى من قولهم : كثر عن أسنانه اذا كشف عنها . (٦) دو : مضطرب .
(٧) الماذى : العسل الأبيض . (٨) كذا في الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب
ورواية البيت فيه : ٢٠

لسانك ماذى وغيبك علقم * وشرك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفي الأصل : « ملتوى » : روى هذا البيت في حاشية البحرى :

تودّ عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراك آجتويت الخير مني وأجتوي * أذاك فكل يمتوي قرب مجتوي^(١)
 وكم موطن لولاي طحت كما هو * بأجرامه من قلة النيق منهوي^(٢)
 ويقال : إياك ومن مودته على قدر حاجته فعند ذهاب الحاجة ذهاب المودة .
 وقال الحكم : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم إلا عند
 الغضب ، ولا الشجاع إلا في الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه .

قال جرير :

فأنت أنبي ما لم تكن لي حاجة^(٤) * فإن عرّضت أيقنت أن لا أخاليا
 تعرّضت فاستمررت من دون حاجتي * فخالك إني مستمر لحاليا
 وإني لمغرور أعلل بالمنى * ليالي أرجوات مالك ما لي^(٥)
 بأى نجاد تحمل السيف بعدما * نزع سنانا من قناتك ماضيا^(٦)
 ألا تخافا نبوتى في ملية * وخافا المنايا أن تفوتكما ييا

(١) المجتوي : الكاره . (٢) كذا في أمالي القالي . وفي الأصل : « لولاك » .

(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت في النقااض ص ١٧٧ طبع أوروبا :

١٥ فأنت أبى ما لم تكن لي حاجة * فأت عرضت فإني لا أباليا
 وهو من قصيدة طويلة مذكورة في النقااض بين جرير والفرزدق مطلعها :

ألا حتى رهي ثم حتى المطاليا * فقد كان مانوسا فأصبح خاليا

وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما
 ذكر في كثير من كتب الأدب مثل الكامل للبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعها :

٢٠ رأيت فضيلا كان شيئا ملففا * فكشّفه التحيص حتى بدا ليا
 (٥) النجاد : حائل السيف ، وقد ورد هذا الشعر في الأغاني (ج ٧ ص ٥٢) والنقااض
 (ص ١٧٧) هكذا :

بأى نجاد تحمل السيف بعدما * قطعت القوى من محل كان باقيا

بأى سنان تظعن القوم بعدما * نزع سنانا من قناتك ماضيا

٢٥ (٦) يقول : لا تخافا أن أنبوعكما إن ألت بكما ملبة ما عشت وخافا ذلك متى إذا مت (راجع كتاب
 النقااض ص ١٧٨) .

وقال أبو العَاصِيَةِ :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا * حَبَكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً بِحَبْكَ فُوهُ

وقال آخر :

مَوَالِينَا إِذَا افْتَقَرُوا إِلَيْنَا * وَإِنْ أَثَرُوا فَلَيْسَ لَنَا مَوَالِي
والعرب تقول فيمن شَرَكَكَ فِي النِّعْمَةِ وَخَذَلَكَ عِنْدَ النَّائِبَةِ : يَرِيضُ حَجْرَةً وَيَرْتَعُ
وَسَطًا .

قال المدائني : لحن الجحاج يومًا ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره بعض
من حضره ، فتمثل بشعر قَعْنَبِ بْنِ أُمِّ صَاحِب :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ * وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا^(٣)
فَطَانَةٌ فَطَنُوهَا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ * مَرُوءَةٌ أَوْ تُقِيَّ اللَّهُ مَا فَطَنُوا
إِنْ يَسْمَعُوا سَيِّئًا طَارُوا بِهِ فَرَحًا * مَنِيَّ وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

باب القربابات والولد

حدثني زَيْدُ بْنُ أَنْزَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدِ الْقُرَشِيِّ
مَنْ وَلَدَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ
فَقَامَ إِلَيْهِ بِرَحِمٍ بَعِيدَةٍ ، فَلَانَ لَهُ وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” اِغْرِفُوا
أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ بِالرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً وَلَا بُعْدَ بِهَا
إِذَا وَصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً “ .

(١) في الأصل : « تربص » بالناء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) أَذِنُوا : استمعوا . ٢٠

حدثني شَبَابَةُ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : أَحْذَرُوا ثَلَاثًا ، فَإِنَّهُنَّ مَعْلَقَاتُ بِالْعَرْشِ : النِّعْمَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ كُفِّرْتُ ، وَالْأَمَانَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ أَكَلْتُ ، وَالرَّحْمُ تَقُولُ يَا رَبِّ قُطِعْتُ .

حدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ قَالَ قَالَ مُحَارِبُ بْنُ دِنَارٍ : إِنَّمَا سُمُّوا أِبْرَارًا لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَكَمَا أَنَّ لَوَالِدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَكَذَلِكَ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ .

حدثني أَبُو سَفْيَانَ النَّعْوِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ حَيَّوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "أَبْرَأُ الرَّجُلُ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ" .

حدثني الْقَوْمَسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَايِفُ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" .

وحدثني أيضًا عَنْ خَالِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الرَّحْمُ شَجَّةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ قَالَ لَهَا مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ" .

حدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي سِيرِينَ قَالَ قَالَ عُمَانُ : كَانَ عَمْرٍاءُ يَمْنَعُ أَقْرَبَاءَهُ أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَأَنَا أُعْطِي قَرَابَاتِي لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَلَنْ يَرَى مِثْلَ عَمْرٍاءَ .

(١) ورد في الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجعة :

الشجعة من كل شيء ، يقال : بينهما شجعة رحم .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا إبراهيم بن موسى قال حدثنا محمد بن ثور^(١) عن معمر بن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ".

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن عبد الله ابن عيسى عن عبيد بن أبي الجعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القدر إلا الدعاء وإِنَّ الرجلَ لَيُحَرِّمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ".

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا سعيد عن مطر عن الحكم بن عتيبة عن النخعي عن ابن عمر قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إِنْ والدي يأخذ مني مالى وأنا كاره؛ فقال: "أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَمَالُكَ لِأَيْمِكَ".

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال: أخبرني بعض العرب: أن رجلاً كان في زمن عبد الملك بن مروان، وكان له أب كبير، وكان الشاب عاقاً بأبيه، وكان يقال للشاب "مَنَازِلُ"^(٣) فقال الشيخ^(٤):

جَزَتْ رَحِمُ بَنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ * جَزَاءُ كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ
تَرَبَّتْ حَتَّى صَارَ جَعْدًا شَمْرَدَلًا * إِذَا قَامَ سَاوَى غَارِبَ الْفَعْلِ غَارِبُهُ^(٥)

(١) هو معمر بن راشد، وهو الذي يروى عنه محمد بن ثور كما في التهذيب. (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للزرجي وفي الأصل «عينة» وهو تحريف. (٣) هو منازل ابن فرغان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها. (٤) هو فرغان التميمي كما في لسان العرب مادة «جعد». (٥) تَرَبَّتْ: تربي. والجعد الطويل والشمردل: الفتي القوي، وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت، وأورد معناه في بيتين وهما:

وربته حتى إذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعداً عنظلاً * إذا قام ساوى غارب الفعل غاربه

تَظَلَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوَى يَدِي * لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ
وَأِنِّي لَدَاعٍ دَعْوَةٌ لَوْ دَعَوْتُهَا * عَلَى جَبَلِ الرِّيَّانِ لَا تَقْضُ جَانِبُهُ
فبلغ ذلك أميراً كان عليهم ، فأرسل إلى الفتي ليأخذه ، فقال له الشيخ : أخرج من
خَلْفَ البيت ، فسبق رُسُلَ الأمير ، ثم أَبْتَلَى الفتي بَابِ عَقِّهِ فِي آخر عمره فقال :
تَظَلَّمَنِي مَالِي خَلِيجٌ وَعَقَّيْنِي * عَلَى حِينَ كَانَتْ كَالْحَنِي عِظَامِي
تَحَيَّرْتُهُ وَأَزْدَدْتُهُ لِيَزِيدَنِي * وَمَا بَعْضُ مَا يَزِدَادُ غَيْرُ عُرَامِ^(١)

وقال يحيى بن سعيد مولى تميم كوفي لأبيه :^(٢)

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُتُّكَ يَافِعًا * تُعَلِّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ^(٣)
إِذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بِالشُّكُو لَمْ أَتِ * لَشُكْوِكَ إِلَّا سَاهَرًا أَتَمَلُّ^(٤)
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي * طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْوَقْتَ فِي الْعِدَّةِ الَّتِي * إِلَيْهَا جَرَى مَا أَبْتَغِيهِ وَأَمْلُ^(٥)
جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلَظَةً * كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمَتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبِي * كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْمَجَاوِرُ تَفَعَّلُ^(٥)

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله في الصديق البارِ عَوْضًا مِنَ الرَّحِمِ الْمُدِيرَةِ .

- ١٥ (١) الغرام : الشراة والأذى ، وفي الأصل : « غرام » بالغين المعجمة وهو تحريف .
(٢) هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت النقفى كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار
الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا) ، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : لأبي العباس الأعمى .
وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام
بتلايب الولد وسلبه لوالده قائلا له : « أنت ومالك لأبيك » . (٣) في أشعار الحماسة
« أدنى اليك » . (٤) رواية هذا البيت في الحماسة :
٢٠ فلما بلغت السن والغاية التي * إليها مدى ما كنت فيك أو لم

(٥) في الحماسة : « فعلت كما الجار ... الخ » .

كتب عمر إلى أبي موسى : مُرْ ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَرَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .
 وقال أَسْكَنْمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيَارِ تَقَارَبُوا فِي الْمَوَدَّةِ .
 قيل لأَعْرَابِيٍّ : مَا تَقُولُ فِي ابْنِ عَمِّكَ ؟ قَالَ : عَدُوُّكَ وَمَدُوُّ عَدُوِّكَ .
 وقال قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

شَفِيتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ * وَسَيِّئِي مِنْ حُدَيْفَةٍ قَدْ شَفَانِي
 قَتَلْتُ بِإِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي * وَقَدْ كَانُوا لَنَا حَلَى الزَّمَانِ
 فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي * فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، حِينَ تَصَفَّحَ الْقَتْلَى يَوْمَ الْجَمَلِ : شَفِيتُ
 نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي . وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ :

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَّيْمَ أَخِي * فَإِذَا رَمَيْتُ بِصَيْبِي سَهْمِي
 وَلَتُنْ عَفْوَتُ لَأَعْفُونَ جَلَّالًا * وَلَتُنْ قَرَعَتْ لَأَوْهِنَ عَظْمِي
 قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ابْنَ أَخِيهِ فُدِّعَ إِلَى أَخِيهِ لِيُقَيِّدَهُ ، فَلَبَّأَ أَهْوَى بِالسَّيْفِ
 أُرْعِدْتُ يَدَاهُ ، فَالْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَعَفَا عَنْهُ وَقَالَ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأَسَّاءَ وَتَعَزِيَّةً * إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
 كَلَامَهُمَا خَلْفَ مَنْ فَقَدْ صَاحَبَهُ * هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

بِكُرِّهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرُو * تُفَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ
 فَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ * وَتَقْتُلُكُمْ كَمَا نَا لَا نُبَالِي

وَقَالَ هُدَيُّ بْنُ زَيْدٍ :

وِظْلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً * عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمُهَنْدِ

(١) هُوَ الْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ الذَّهْلِيُّ كَمَا فِي الْحَمَاسَةِ . (٢) فِي الْحَمَاسَةِ : « سَطَوْتُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « لِابْنِ أَخِيهِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال غيره :^(١)

سَأَخْذُ مِنْكُمْ آلَ حَزَنِ لِحَوْشِبٍ^(٢) * وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي^(٣)
إِذَا كُنْتُ لَا أُرْمَى وَتُرْمَى عَشِيرَتِي^(٤) * تُصَبُّ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشَيْحِي وَمَنْكِحِي

قال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكري

عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
”حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ“ .

والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن وادًا : ”أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ
ذَنْ“^(٦) . ومثله : ”عَيْصُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَشْبَا“^(٧) .

وقال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتُ مِنْ سَعْدٍ وَأَمَّكَ فِيهِمْ * غَرِيْبًا فَلَا يَغُرُّكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنْ أَبْنِ أَخِي الْقَوْمِ مُصْنًى^(٨) إِنْ أَوْه * إِذَا لَمْ يُزَاحِمِ خَالَهْ يَأْبِ جَلْدٍ
وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن سهم :

أَبْلَغَ إِيَّاسًا أَنْ عَرَضَ ابْنِ أَخِيكَ * رِدَاؤُكَ فَاصْطَنَ حُسْنَهُ أَوْ تَبَدَّلَ^(٩)

- (١) ذكر هذان البيتان في الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجلند بن عمرو . (٢) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « آل حزم » . وفيه بدل « لحوشب » « بحوشب » . (٣) في ديوان الحماسة : « وإن كان لي مولى » . وقد أشار شارحه إلى رواية الأصل وقال : إنه بها دخله الكف وهو حذف السامع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح في غير المزج . قال شارح الحماسة : « وليس في الحماسة بيت مكفوف غيره » . ثم قال : « ويروي مولى » ، فعل هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاى وبني أبى . (٤) في الحماسة : « كنانى » وقيل أراد بالكناية مولا . (٥) في الحماسة : « جانحات » بالنون أى كاسرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضا أن يكون جانحات من جنح إليه إذا مال . وأشار شارح الحماسة إلى الرواية التي وردت بالأصل ولكنه استحسّن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجتاحه . (٦) ذن : سال مخاطبه وفي جمع الأمثال : « وإن كان أذن » . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع في مكان واحد . والأشب : شدة التقاف الشجر حتى لا يجاز فيه . (٨) مصنى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصنى فلان إناؤه فلان إذا أماله ونقصه حظه . (٩) اصطن : صن واحفظ ، أمر من اصططن ، وهو الاتفعال من صان . وتبدل : آتمن .

فإنَّكَ ذَا طَوِيلٍ فَأَنْتَ ابْنُ أَخِيكَ * وكلُّ ابْنِ أَخِيٍّ مِنْ مَدَى الْخَالِ مُعْتَلِي^(٢)
فكن أسداً أو نعلباً أو شبيهه * فهما تكن أنسب إليك^(٣) وأشكَل
وما نعلبُ إلا ابْنُ أَخِي نعالِب * وإن ابْنِ أَخِيٍّ اللَّيْثُ رِثَالُ أَشْبَلِ
وكتب يشر بن المغيرة بن أبي صفرة إلى عمه بهذه الأبيات :

جفاني الأمير والمغيرة قد جفا * وأمسى يزيد لي قد آزور جانبه
وكلُّهم قد نال شبعاً لبطنه * وشيع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه
فيا عم مهلاً وأتخذني لنوبة * تنوب ، فإن الدهر جم عجائبه
أنا السيف إلا أن للسيف نبوة * ومثلي لا تنبو عليك مضاربة

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به
يعيبه ويشتمه ، وفي المجلس رجل يشتوه فشرع معه في القول ؛ فقال له : مهلاً ! إنِّي
لَا كُلُّ لَحْمٍ وَلَا أَدَعُهُ لَا كُلَّ .

ويقال : القرابة محتاجة إلى المودة ، والمودة أقرب الأنساب . والبيت المشهور في هذا :
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً * وإذا المودة أقرب الأنساب

وقيل لبزرجمهر : أخوك أحب إليك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحب أختي إذا
كان صديقاً .

وقال خدّاش بن زهير :

رأيت ابن عمي بادياً لي ضغنُه * وواغرُه في الصدر ليس بذهاب
وأنشدنا الرياشي :

حياة أبي السيار خير لقومه * لمن كان قد ساس الأمور وجرّأ
وتعب أحياناً عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتباً

(١) كذا في كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذي يتفق مع السياق بعده ، وفي الأصل : « فإن أك » ...

(٢) في كتاب أشعار الهذليين : « مقتل » بالعين المعجمة ، واغلي : ارفع . (٣) كذا في أشعار

الهذليين . وفي الأصل : « اله » .

وقال الشاعر :

- ولم أرَ عِزَّ الأَمْرِئِ كعِشِيرِهِ ^(١) * ولم أرَ ذُلًّا مثلَ نُأْيٍ عن الأهلِ
ولم أرَ مثلَ الفقرِ أَوْضَعَ للفقى * ولم أرَ مثلَ المالِ أدْفَعَ للرزُلِ
ولم أرَ منَ عُدِمَ أضْرَ على الفقى * إذا عاش وَسَطَ النَّاسِ من عَدَمِ العَقْلِ
كان مُهْلِكُ صَارِ إلى قَبِيلَةٍ من اليمينِ يقالُ لهم جَنْبٌ، فخطبوا إليه فزوجههم وهو
كَارُهُ لاعتِرابِهِ عن قومِهِ، ومهروا أبنتَهُ أَدَمًا، فقال : ^(٢)

أَنكِحْهَا فَقَدْ هَا الأَرَاقِمُ فِي ^(٣) جَنْبٍ وَكَانَ الحِجَاءُ من أَدَمِ
لَو بِأَبَانَيْنِ ^(٤) جَاءَ يَحْطُبُهَا * رَمَلٌ ^(٥) مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ

وقال الأعشى :

- وَمِنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزِلُّ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْحَبًا ^(٦)
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَيَّ ^(٧) * يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا
وَرَبِّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِحَوِّهِ * أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفِضُ الرَّأْسَ مُغْضَبًا ^(٨)
وقال رجل من غطفان :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَبِقِ وَدَّ صَحَابِي * عَلَى دَخْنٍ أَكْثَرَتْ بِثَّ المَعَاتِبِ ^(٩)

- ١٥ (١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم ، والأديم : الجلد ما كان ، وقيل :
الأحمر ، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حتى من تغلب وهي قبيلته . (٤) أبانين :
ثنية أبان ، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل :
خضب بالدم . وفي الأغاني (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضَرَجَ » .
(٦) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينفض الرأس : يحركه كالسيفهم عما
يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دَخِنَتِ النَّارُ إِذَا أَلْقَى
٢٠ عليها حطب رطب وكثر دخانها ، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا الى سواد .

وإني لأستبقي أمراً السوء عُدَّةً * لعدوة عريضة من الناس عائب^(١)
 أخاف كلاب الأبعدين وتجنّها * إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب
 قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة : ما تقول في موت الوالد؟ قال : ملك حادث ؛
 قال : فموت الزوج؟ قال : عرس جديد ؛ قال : فموت الأخ؟ قال : قص
 الجناح ؛ قال : فموت الولد؟ قال : صدع في الفؤاد لا يُجبر .

وكان يقال : العقوق نكل من لم يشكل .

شكا عثمان علياً إلى العباس رضي الله عنهم ؛ فقال : أنا منه كأبي العاق ، إن عاش
 عقه وإن مات بجمعه .

وقال رجل لأبيه : يا أبت ، إن عظيم حَقَّك على لا يُذهب صغير حتى عليك ،
 والذي تَمَّتْ به إلى أمت بمنله إليك ، ولست أزعم أنا على سواء . ١٠

وقال زيد بن علي بن الحسين لأبيه يحيى : إن الله لم يرْضك لي فأوصاك بي ، ورضيني
 لك فلم يُوصني بك .

غضب معاوية على يزيد أبنه فهجره ؛ فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ،
 أولادنا ثمار قلوبنا وعمادُ ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، فإن غضبوا
 فأرضهم ، وإن سالوا فأعطهم ، ولا تكن عليهم قفلاً فيمَلُّوا حياتك ويمتنوا موتك . ١٥

قيل لأعرابي : كيف أبْنُك؟ — وكان عاقاً — فقال : عذاب رِعْف به الدهر ،^(٢)
 فليتني قد أودعته القبر ، فإنه بلاء لا يُقاومه الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أي ولدك أحب إليك؟ قال : صغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم
 حتى يبرأ ، وغائبهم حتى يقدم .

(١) العريضة : الذي يتعرض للناس بالشر . (٢) رصف (بكسر عينه) : سبق وتقدم .

ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً ؛ فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

وولد للحسن غلام ، فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك في هبته ، وزادك من أحسن نعمته ؛ فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، ونسأل الله الزيادة في كل نعمة ، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصيني ، وإن كنت غنيا أذهلني ، لا أرضى بسعيي له سعياء ، ولا بكدي له في الحياة كدّاً ، حتى أشفق له من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حال لا يصل إلى من غمه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعي : عاتب أعرابي ابنه في شرب النبيذ ، فلم يعتب وقال :
أَمِنْ شَرِبَةٍ مِنْ مَاءٍ كَحَرَمِ شَرِبَتِهَا * غَضِبْتَ عَلَيَّ ! الْآنَ طَابَ لِي الْخَمْرُ
سَأَشْرَبُ فَأَغْضَبُ لَا رَضِيَتْ ، كَلَاهُمَا * إِلَى لَذِيذٍ : أَنْ أَعْقُكَ وَالسُّكَّرُ

وقال الطرمذاني لابنه صمصامة :
اصمصامُ إِن تَشْفَعُ لَأَتَمَّكَ تَلَقَّهَا * لَهَا شَافِعٌ فِي الصَّدْرِ لَمْ يَتَبَرَّجْ
هَلِ الْحُبُّ إِلَّا أَنَهَا لَوْ تَعَرَّضْتُ * لَذَبْحَكَ يَا صَمصَامُ قُلْتَ لَهَا أَذْبَحِي
أَحْاذِرُ يَا صَمصَامُ إِن مِتُّ أَنْ يَلَّ * تُرَائِي وَإِيَّاكَ أَمْرٌ غَيْرُ مُصْلِحٍ
إِذَا صَكَ وَسَطَ الْقَوْمِ رَأْسَكَ صَكَّةً * يَقُولُ لَهُ النَّاهِي مَلَكْتُ فَأَنْجِجْ

وأنشد ابن الأعرابي :

أَحَبُّ بَنِيَّ وَوَدِدْتُ أَنِي * دَنَنْتُ بَنِيَّ فِي قَعْرِ لَحْدِ
وَمَا بِي أَنْ تَهَوَّنَ عَلَيَّ لَكِنْ * خَافَةَ أَنْ تَذُوقَ الْبُؤْسَ بَعْدِي

(١) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضب عليه من أجله . (٢) أجمع :

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمَيَّةٌ لم أجزع من العَدَمِ * ولم أجُبْ في الليالي حِنْدَسَ الظَلَمِ
وزادني رغبةً في العيش معرقتي * ذُلَّ اليتيمة يمحوها ذوو الرِّحِمِ
أحاذِرُ الفقرَ يوما أن يُلمَّ بها * فيهِتَكَ السَّترَ من لحيمٍ على وَضَمِ
تهوى حياتي وأهوى موتها شققا * والموتُ أكرمُ نَزَالٍ على الحَرَمِ

وقال أعرابي في أبنته :

يا شِقَّةَ النَّفْسِ إنَّ النفسَ والهَـمَّةَ * حرَى عليكِ ودمعُ العينِ مُنْسِجٌ
قد كنتُ أخشى عليها أن تُقَدِّمَنِي * إلى الحِمَامِ فيبْدى وجهها العَدَمُ
فَلَا آنَ نِمْتُ فَلَها هُمٌّ يورِّقُنِي * تَهْدِ العيونُ إذا ما أودتِ الحُرْمَ

وقال أعشى سُليم :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ وَاغِدٍ * إذا ما البيوتُ لِبَسْنَ الجَلِيدَا
كفيتَ الذي كنتُ أرْجى له * فِصْرَتَ أَبَا لي وَصْرَتُ الولِيدَا

وقال أعشى همدان في خالد [بن عتاب] بن ورقاء :

فإن يكُ عَتَابٌ مَضَى لسبيله * فما مات من يَبْقَى له مثلُ خَالِدِ

وفي الحديث المرفوع : ” رِيحُ الولدِ من رِيحِ الجنة “ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أبني بنته : ” إِنَّكُمْ لَتُحِبُّونَ وَإِنَّكُمْ لَتُبْخَلُونَ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ “ .

وقالت أعرابية :

يا حَبْذا رِيحُ الولَدِ * رِيحُ الخُرَامَى بِالْبَلَدِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هذا يدلُّك على تفضيلهم الخُرَامَى .

وكان يقال : ابْنُكَ رِيحَانُكَ سَبْعَاً ، وخادمك سَبْعَاً ، ثم عدوُّ أو صديق .

مرّ أعرابيٌّ يَنشُدُ أبنا له بقوم، فقالوا : صِفْهُ ؛ فقال : دُنَيْبٌ ، قالوا : لم نَرَهُ ؛ فلم يَلْبِثِ القومُ أن جاء على عُنُقِهِ يَجْعَلُ ؛ فقالوا : ما وجدتَ أبناكَ يا أعرابيٌّ ؟ قال : نعم هو هذا ؛ قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناكَ ، ما زال منذُ اليوم بين أيدينا .
قال الشاعر في امرأة :

نِعمَ صَبيحُ الفتى إذا برد ال * ليلٌ سُخيراً وقرَقَفَ الصِّردُ^(١)
زِينُها الله في العيون كما * زَيْنٌ في عين والدٍ ولدُ
وفي الحديث : "من كان له صبيٌّ فَلَيْسَتْ صَبِيَّ لَهُ"
وقال الزبير وهو يرقصُ أبناً له :

أبيضُ من آل أبي عَتِيقٍ * مباركٌ من ولد الصِّديقِ
* أَلَدَهُ كما الدَّرِيقِي

وقال أعرابيٌّ :

لولا بُنَيَاتُ كَرْزُغِ القَطَا * حُطِطُنَ من بعضِ الى بعضِ^(٢)
لكان لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ * في الأرضِ ذاتِ الطُولِ والعَرِضِ
وإنما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تَمْشِي على الأرضِ
لو هَبَّتِ الرِّيحُ على بعضهم * لَأَمْتَنَتْ عيني من الغَمِضِ
أَنْزَلَنِي الدهرُ على حَكَمِهِ * من مَرَقِبٍ عالٍ الى خَفِضِ
وَأَبْتَرَنِي الدهرُ ثِيابَ الغِنَى * فليس لي مالٌ سوى عِرْضِي

قال بعضُ النِّسائيين : إنما قيل : سَعْدُ العشيرة ، لأنه كان يركب في عشرة من ولده ، فكانهم عشيرة .

٢٠ (١) قرَف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوي على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات في الأمل ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا ، وذكرت أيضاً في الحاشية شرح التبريزي طبع أوروبا ص ١٤١ وفيها اختلاف في الرواية وتقديم وتأخير في ترتيب الأبيات ، ونسبت إلى حطّان بن المعلّى .

وقال ضرار بن عمرو الضبيّ، وقد رُئي له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا : من سرّه
بنوه ساءتّه نفسه .

قال بشر بن أبي خازم :

إذا ما علّوا قالوا أبونا وأمتنا * وليس لهم عَالِينَ^(١) أم ولا أب

وقال آخر :

أنا أبُ عمك إن نابتك نائبة * وليس منك إذا ما كعبك اعتدلا

وأنشدنا الرياشيّ :

الرَّحَمُ بِلَهَا بخير البُلانِ^(٢) * فإن فيها للدِّيارِ العُمران

وأمّر المال وبنت الصِّفرانِ^(٣) * وإنما اشتقت من اسم الرحمن

وقال المعلّوط :

ومن يلق ما ألقى وإن كان سيّدا * ويخش الذي أخشى يسرّ سير هارب
مخافة سلطانٍ على أظنّه * ورهطى ، وما عاداك مثل الأقارب

دخل عثمان بن عفّان على أبنته وهي عند عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال :
يا بنية : مالى أراك مهزولة ؟ لعلّ بعلّك يُغيرك^(٤) ، فقالت : لا ، ما يُغيرنى ، فقال
لزوجها : لعلّك تُغيرها ! قال : فافعل ، فلغلامٌ يزيدُه الله فى بنى أمية أحبُّ الىّ منها .

(١) عالين : حال من الضمير فى « لهم » . (٢) بلّ الرحم يبلها (بضم الباء) بلا وبلا :

وصلها ونذاها . والبُلان : قال ابن سيده : « يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالغفران والريحان وأن

يكون جمع بلل » . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق إليه فى مصدر آخر ، وقد أورد فى اللسان مادة بلل هذا

الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأوّل وبجزء البيت الثانى . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوج من

أخرى فأحدث عندها الفيرة .

قال النعمان بن بشير :

وإني لأعطي المالَ من ليس سائلا * وأدركُ للمولى المعانيدَ بالظلم
وإني متى ما يلقني صارما له * فإبيننا عند الشدائد من صُرم
فلا تعدد المولى شريكك في الغنى * ولكننا المولى شريكك في العُدم
إذا مت ذو القربى إليك برحمه * وغشك وأستغنى فليس بذى رحيم
ولكن ذاك القربى الذى يستخفه * أذاك ومن يرى العدو الذى ترى

وقال بعض الشعراء :

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى أنهن من الضعاف

مخافة أن يرين البؤس بعدى * وأن يشربن رثقا بعد صافي

وأن يعرين إن كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف^(١)

١٠ قيل لعل بن الحسين : أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك؟ قال :
أخاف أن تسيدي الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققته .

قيل لعمر بن دُر : كيف كان برّ أبك بك؟ قال : ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى
خلفي ، ولا ليلا إلا مشى أمامي ، ولا رقي سطحا وأنا تحته .

١٥ حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عطاء بن السائب عن
عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركت أباك مُرْعشة يداه * وأملك ما تُسبغ لها شرايا

إذا غنت حمامة بطن وجَّ * على بيضاتها ذكرت كلابا

فقال عمر : ممّ ذاك؟ قال : هاجر الى الشام وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر

٢٠ وكتب الى يزيد بن أبي سفيان في أن يرّحله ، فقدم عليه ، فقال : برّ أبويك وكن معهما

(١) كرم : كريمات : وإذا وصف بالمصدر التزم فيه الأفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعة كلاب بالبصرة اليه تنسب ، والعوام تقول
مُرَبَّعة الكلاب .

قال أبو علي الضرير :

أَتَيْتُكَ جَدْلَانِ مُسْتَبْشِرًا * لِبُشْرَاكِ لِمَا أَتَانِي الْخَبْرُ
أَتَانِي الْبَشِيرُ بَأَن قَدْ رُزِقَتْ * غَلَامًا فَأُبْهِجُنِي مَا ذَكَرُ
وَأَنْتَ ، وَالرَّشْدُ فِيمَا فَعَلَا * تَ ، أَسْمِيَتَهُ بِأَسْمِ خَيْرِ الْبَشَرِ
وَطَهَّرْتَهُ يَوْمَ أُسْبُوعِهِ * وَمِنْ قَبْلُ فِي الذِّكْرِ مَا قَدْ طَهَّرُ^(١)
فَعَمَّرَكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَا * هَ قَدْ قَارَبَ الْخَطُومَنَ الْكِبَرَ
وَحَتَّى تَرَى حَوْلَهُ مِنْ بَنِيهِ * وَإِخْوَتِهِ وَبَيْنَهُمْ زُمَرُ
وَحَتَّى يَرُومَ الْأُمُورَ الْحَسَامَ * وَيُرْجَى لِنَفْعٍ وَيُخْشَى لُضْرُ^(٢)
وَأُوزَعَكَ اللَّهُ شُكْرَ الْعَطَاءِ * فَإِنَّ الْمَزِيدَ لِعَبْدٍ شَكْرُ^(٣)
وَصَلَّى عَلَى السَّلَفِ الصَّالِحِي * نَ مِنْكُمْ وَبَارَكَ فِيمَنْ غَبَرُ^(٣)

وهذا قد وقع في باب التهاني أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من ربه به أن يحيى
كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن وهما في السجن ، فمنعهما السجن من إدخال الحطب
في ليلة باردة ، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء ،
فلاؤه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح .

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهنا من آل البيت ، فأشار بطهارته في الذكر إلى قول الله تعالى : (إنما

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : أهلك ، وفي الأصل :

«أودعك» . (٣) غبر : بقى ، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد .

(٤) قمم : إنا . من نحاس .

رقص أعرابي أبنته وقال :

أَجِبْهُ حَبَّ الشَّحِيحِ مَالَهُ * قد كان ذاق الفقر ثم ناله

* إذا يُريد بَذْلَهُ بدا له *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده أبنته عائشة ، فقال : من هذه

- يا أمير المؤمنين؟ فقال : هذه تُفَاحَةُ القلب ؛ فقال : أُنِذْهَا عَنْكَ ؛ قال : ولم ؟
قال : لأنهن يَلِدْنَ الأعداء ، وَيُقَرِّبْنَ البُعداء ، وَيُورِثْنَ الضعائِن ؛ فقال : لا تُقُلْ
ذاك يا عمرو ، فوالله ما مَرَضَ المرضي ولا نَدَبَ الموتى ولا أعان على الأحران مثلهن ،
وإنك لو أجدُ خلا قد نفعه بنو أخته ؛ فقال له عمرو : ما أعلمك إلا حَبِيبَتَهُنَّ إلى .

الاعتراف

- ١٠ كان يقال : الاعتراف يَهْدِمُ الإقتراف .

كتب بعض الكتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حَقِّكَ على بِمُتَقَدِّمِ المودة

وَمُؤَكَّدِ الحُرمة الى ما جَدَّده الله لك بالسلطان والولاية ، لم أَرْضَ في قضائه بالكتاب

دون تَجَشُّمِ الرِّحلة ومُعَاناةِ السفر اليك ، لا سيما مع قُرْبِ الدار منك ؛ غير أن الشغل

بما أَلْفَيْتُ عليه أمورى من الانتشار وعلائق الخراج وغير ذلك مما لا خيار معه ،

- ١٥ أحتلني في الظاهر محلُّ المُقصرين ؛ وإن وهب الله فُرْجَةً من الشغل وسهلاً سبيلاً

اليك ، لم أتخلف عما لى فيه الحظ من مجاورتك والتنسم بريحك والتمتع بالنظر اليك ،

غاديا ورائحاً عليك ، إن شاء الله تعالى .

(١)
كتب ابن الجهم الى نجاح من الحبس :

إن تَعَفَّ عن عبدك المسيء ففى * فضلك ما وى للصفح والمنين

- ٢٠ أتيتُ ما أستحقُّ من خطأ * فعُدْ لما تستحقُّ من حسن

(١) فى الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفو من القادر * لا سيما عن غير ذى ناصر
إن كان لي ذنبٌ، ولا ذنب لي، * فإله غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا * أن يفسد الأول بالآخر
كتب رجل إلى جعفر بن يحيى يستبسطه، فوقع في ظهر كتابه : احتج عليك
بغالب القضاء، واعتذر اليك بصادق النية .

قال بعض الشعراء :

وتعذر نفسك إماماً أسات * وغيرك بالعدر لا تعذر
وتبصر في العين منه القذى ^(١) * وفي عينك الخدع لا تبصر

وقال بعض الشعراء :

يا ذا المميز للإخاء ولا * إخوان في التفضيل والقدر
لا يقضنك عن معاشرتي * بالأنس أن قصرت في برى
إني إذا ضاق أمرؤ يحدأ ^(٢) * عني آستعنت عليه بالعدر
وفي الحديث المرفوع : ” من لم يقبل من معتذر صادقاً كان أوكاذباً لم يرد
على الخوض “ . وفيه : ” أقبلوا ذوى الهنات عثراتهم “ .

اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيت عذراً أشبه باستئناف
ذنب من عذر .

وكان يقال : أعجل الذنوب عقوبة العذر، واليمين الفاجرة، ورد التائب وهو
يسأل العفو خائباً .

(١) في الأصل : « وتبصر في غير منك القذى » . وفي الحديث : « يبصر أحدكم القذى في عين
أخيه ولا يبصر الجذل في عينه » . والجذل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على
مثال شماريح النخل . (٢) الجدا (وزان قى) : العطية .

وقال مُطَرَفُ : الْمَعَاذِرُ مَكَاذِبُ .

اعتذر رجل الى إبراهيم فقال له : قد عذرتك غير معتذر، إن المعاذير يشوبها الكذب .

ويقال . ما اعتذر مذنبٌ إلا أزداد ذنباً .

وقال الشاعر :

لا تَرْجُ رجعةَ مذنبٍ * خلطَ احتجاجاً باعتذارٍ

اعتذر رجل الى سلم بن قتيبة، فقبل منه وقال : لا يدعوتك أمر تخلصت منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعْذِرْني في الإساءة إنه * شرارُ الرجال من يُسِيء فيَعْذِرُ

١٠

وقال ابن الطَّيْرِيَّة :

هَبْنِي أمراً إما بريئاً ظلمته * وإما مُسيئاً تاب بعدُ واعتَبَا

وكنْتُ كذى داءٍ تَبَغَّى لدائه * طيباً فلما لم يجدْه تَطَيَّبَا

كتب بعض الكتاب معتذرا : توهمت، أعزك الله، نفرتك عند نظرتك الى عنوان كتابي هذا بأسمى، لما تضمنته من السخيمة على، فأخليت منه، وانتظرت باستعطافك من طويتك في عاقبة امتداد العهد، وأمنت أضطغانك لنفى الدين الحقد، وأختصرت من الاحتجاج المنتسب الى الإصرار، والاعتذار المتعاود بين النظراء، والإقرار المثبت للأقدام، الاستسلام لك . على أنك إن حرمتني رضاك آتسعت بعفوك، وإن أعذمتنيهما توغرت صدرك لم تضق من الرقة على من مصيبة

- ٢٠ (١) هو مطرف بن الشخير . والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر، والمكاذب : جمع الكذب كالحامض والمقايح، وهو كة ولم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعي . (٣) في الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرْمَانُ ؛ وَإِنْ قَسَوْتَ رَجَعْتُ بِكَ عَوَاطِفُ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدِي نَازِعَةٌ بِكَ إِلَى
أَسْتِمَامِهَا لَدِي . وَمِنْ حُدُودِ فَضَائِلِ الرُّسَاءِ مَقَابِلَةٌ سُوءٍ مِنْ خُؤُلُوا بِالْإِحْسَانِ .
وَلَا نِعْمَةً عَلَى مُجْرِمٍ إِلَيْهِ أَجْزَلُ مِنَ الظُّفْرِ ، وَلَا عَقُوبَةَ لِمُجْرِمٍ أَلْبَغُ مِنَ النَّدَمِ ؛ وَقَدْ
ظَفِرْتَ وَنَدِمْتُ . كَتَبْتُ وَأَنَا عَلَى مَا تُحِبُّ بَشْرًا ^(١) إِنْ تَغَمَّدْتَ زَاتِي ، وَكَمَا تُحِبُّ ضَرًّا
إِنْ تَرَكْتَ إِقَالِي ، وَبِخَيْرٍ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مَا بَقِيَتْ .

وَكَتَبْتُ فِي كِتَابِ اعْتِذَارٍ وَاسْتِعْطَافٍ : كَمْ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَنْتَظَارِي لِعَطْفِكَ !
وَكَمْ عَسَى أَنْ يَكُونَ تَمَادِيكَ فِي عَتَبِكَ ؛ لَوْلَا أَنِي مُضْطَرٌّ إِلَى وَصْلِكَ وَأَنْتَ مُطْبُوعٌ
عَلَى هَجْرِي . لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ وَاسْتَحْيَيْتَ مِنْ دُلِّي وَعِزِّكَ ، وَخَفَضِي جَنَاحِي وَنَأْيِي
بِجَانِبِكَ .

وَفِي كِتَابِ آخِرٍ : قَدْ أُوْدَعْنِي اللَّهُ مِنْ نِعَمِكَ مَا بَسَطَنِي فِي الْقَوْلِ مُدْلًا بِهِ عَلَيْكَ ،
وَوَكَّدَ مِنْ حُرْمَتِي بِكَ مَا شَفَعَ لِي فِي الذُّنُوبِ إِلَيْكَ ، وَأَعْلَقَنِي مِنْ أَسْبَابِكَ مَا لَا أَخَافُ
مَعَهُ نَبَوَاتَ الزَّمَانِ عَلَى فَيْكِ ، وَأَمْتَنَنِي بِحِلْمِكَ وَأَنَانِكَ بِادْرَةِ غَضَبِكَ ؛ فَاقْدَمْتُ ثَقَّةً
بِإِقَالَتِكَ إِنْ عَثَرْتُ ، وَبِتَقْوِيمِكَ إِنْ زُغْتُ ، وَبِأَخْذِكَ بِالْفَضْلِ إِنْ زَلَلْتُ .

وَفِي كِتَابِ اعْتِذَارٍ : أَنَا عَلِيلٌ مِنْذُ فَارَقْتُكَ ؛ فَإِنْ تَجَمَّعَ عَلَى الْعِلَّةِ وَعَتَبَكَ أَفْدَحُ ^(٢) .
عَلَى أَنْ أَلَمْ الشُّوقُ قَدْ بَلَغَ بِكَ فِي عَقُوبَتِي ؛ وَحَضَرَنِي هَذَا الْبَيْتُ عَلَى ارْتِجَالٍ فَوْصَلْتُ
بِهِ قَوْلِي :

لَكَ الْحَقُّ إِنْ تَعَتَبْتُ عَلَى لَأَنِّي * جَفَوْتُ وَإِنَّمَا تَغْتَفِرُ فَلَكَ الْفَضْلُ
أَنِيتُ عَذْرِي لِأَتَهَيَّ إِلَى تَفَضُّلِكَ بِقَبُولِهِ وَإِنْ أَلْبَكَّ يَمْحُ إِفْرَاطِي فِي الْبَرِّ بِكَ
تَفْرِيطِي فِيهِ ، وَإِلَى ذَلِكَ مَا سَأَلْتُكَ تَعْرِيفِي خَيْرَكَ لِأُرَاحَ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرِيدُ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ لَكَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « شَرَا » . (٢) أَفْدَحُ : أَهْطُ وَأَتَقَلَّ . (٣) مِنْ هُنَا إِلَى آخِرِ الْكِتَابِ
غَيْرِ وَاضِحٍ فِي الْأَصْلِ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ هَكَذَا جَهْدًا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الطَّاقَةُ ، عَلَى أَنَا لَمْ نَعْرِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ فِي مَصْدَرِ آخِرٍ .

وفي فصل آخر:

أنا المُقَرَّبُ بصورى عن حَقِّكَ، وأستحقاقى جفائك، وبفضلِكَ من عَذْلِكَ أعوذ،
فوالله لئن تأخر كتابى عنك، ما أسترىد نفسى فى شكر مودَّتِكَ، واطيف عنايةِكَ. وكيف
يَسْلَاكَ أو ينسَاكَ أخٌ مُغْرَمٌ بِكَ يراك زينةَ مشهده ومغيبه! .
وكيف أنساكَ لا أيديكَ واحدة * عندى ولا بالذى أوليت من نعيم

وفي آخر الكتاب :

إذا اعتذر الصديقُ اليك يوما * من التقصير عذرَ أخٍ مُقَرَّرٍ
فُصْنُهُ عن عتابِكَ وأَعْفُ عنه * فإن الصفح شِمةٌ كُلُّ حَرٍّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتنى * أو كنتُ أجهل ما تقول عذلتُكَ^(١)
لكن جهلتَ مقاتلى فعذلتنى * وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكَ
قيل لبزرجهمر : ما بالكم لا تُعَاتِبُونَ الجَهْلَةَ ، قال : لأننا لا نريد من العُميان
أن يُنصروا .

وقال ابن الدُّمينة :

بنفسى وأهلى من إذا عرَضُوا له * ببعض الأذى لم يَذِرْ كيف يُجِيبُ^(٢)
ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل * به ضَعْفَةٌ^(٣) حتى يقال مُرِيبٌ
وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه، ولا يُعَالِطُكَ
عن جُرمه، ولا يلتمس رضاكَ إلّا من جهته ، ولا يستعطفكَ إلّا بالإقرار بالذنب ،
ولا يستميلكَ إلّا بالاعتراف بالزلة .

(١) فى الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتكَ » وهو خطأ من الناسخ . (٢) فى حاشية
ابن تمام : « سكتة » . وفى بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت في كتاب: لست أدري بأى شيء أستجرت تصديق ظنك حتى أنفدت على به حكم قطيعتك ، فوالله ما صدق على ولا كاد ، ولا أستجرت ما توهمته فيمن لا يلزمني حقه . وأعيدك بالله من يدار إلى حكم يوجب الاعتذار ، فإن الأناة سبيل أهل التقى والنهى ، والظن والإسراع إلى ذوى الإخاء ينتجان الحفاء ، ويميلان عن ^(١) الوفاء إلى اللفاء .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر إلى رجل في آخر يوم من شعبان : والله فإني في ^(٢) غير يوم عظيم ، وتلقاء ليلة تفتّر عن أيام عظام ، ما كان ما بلغك .

وقرأت في كتاب معتذر : إنك تُحسّن مجاورتك للنعمة ، وأستدامتك لها ، واجتلابك مابعد منها بشكر ما قرب ، واستعمالك الصنع لما في عاقبته من جميل عادة الله عندك ؛ ستقبل العذر على معرفة منك بشناعة الذنب ، وتقبل العثرة وإن لم تكن على يقين من صدق النية ، وتدفع السيئة بالتي هي أحسن .

اعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال له جعفر : قد أغناك الله بالعدر منا عن الاعتذار ، وأغنانا بالمودة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما أمرؤ من ذنبه جاء ثائباً * إليك فلم تغفر له فلك الذنب

كان الحسن بن زيد بن الحسن والياً للنصور على المدينة ، فهجاه ورد بن عاصم المبرسم فقال :

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لأهلها وهو الرسول

(١) اللفاء: اليسير الحقير، يقال : رضى فلان من الوفاء باللقاء ، أى رضى من حقه الواقع بالقليل .

(٢) غير يوم : بواقه ، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو مائل بين يديه يقول :
 سياتي عذري الحسن بن زيد * وتشهد لي بصفين القبور
 قبور لو بأحمد أو علي * يلوذ بحيرها حفظ المحير
 هما أبواك من وضعا تضعه * وأنت برفع مارقا جدير
 فاستخف الحسن كرمه، فقام إليه فبسط له رداءه وأجلسه عليه .

وفي كتاب لمعتذر : علو الرتبة واتساع القدرة وأنبساط اليد بالسطوة ، ربما
 أنست ذا الحق المحفظ من الأحرار فضيلة العفو وعائدة الصفح وما في إقالة المذنب
 واستبقائه من حسن السماع وجميل الأحدث ، فبعثته على شفاء غيظه ، وحركته
 على تبريد غلته ، وأسرعته به إلى مجانبه طباعه وركوب ما ليس من عادته . وهمتك
 تجل عن دناءة الحق ، وترتفع عن لؤم الظفر .

وفي فصل : نبت بي عنك غيرة الحدائة فردتني إليك الحنكة ، وباعدتني عنك
 الثقة بالأيام فأدنتني إليك الضرورة ، ثقة بإسراعك إلى وإن كنت أبطأت منك ،
 وقبولك العذر وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ؛ فأى موقف هو
 أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبة فيه لك ! وأى خطية هي أودى بصاحبها من
 خطية أنا راكبها لولا أنها في رضاك ! .

أوقع الحجاج يوما بخالد بن يزيد يعيبه وينقصه وعنده عمرو بن عبثة : فقال
 عمرو : إن خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده بقديم غلب عليه وحديث لم يسبق
 إليه ؛ فقال الحجاج معتذرا : يا بن عبثة ، إنا لنسترضيكم بأن تغضب عليكم ، ونستعطفكم

بأن ننال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثقنا لكم به، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا،
فتعرضنا للذى تحبون .

قال المنصور لرجل أتاه تائباً معذراً من ذنب : عهدي بك خطيئاً فإِ هذا
السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لسنا وفدٌ مباهاة وإنما نحن وفد توبة، والتوبة
تتلقى بالاستكانة .

وقع بين أبي مسلم وبين قائد له كلام ، فأرَبى عليه القائد الى أن قال له :
يا لقيط ! فأطرق أبو مسلم ، فلما سكنت عنه فورة الغضب ندم وعلم أنه قد أخطأ
 واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما أنبسطُ حتى بسطتني ولا نطقْتُ حتى أنطقتنى
فاغفر لي ؛ قال : قد فعلتُ ؛ فقال : إني أحبُّ أن أستوثقَ لنفسى ؛ فقال أبو مسلم :
سبحان الله ! كنتُ نسيءً وأحسِن ، فلما أحسنتُ أسيء ! .

قال الطائي :

وكم ناكثٍ للعهد قد نكثت به * أمانيه وأستخذى بحقك باطله
فحاط له الإقرار بالذنب روحه * وجثمانه اذ لم تحطه قبائله

وقال آخر :

حتى متى لا تزال معذراً * من زلة منك ما تُجانيها
لا تشق عيها عليك ولا * ينهاك عن مثلها عواقبها
لتركك الذنب لا تقارِفُه * أيسرُ من توبة تقارِبُها
قال أعرابي لأبن عمِّ له : سأخطئ ذنبك الى عذرك، وإن كنتُ من أحدهما
على يقينٍ ومن الآخرِ على شك ؛ ليتم المعروفُ مِنِّي اليك ، ولتقوم الحجَّةُ مِنِّي
عليك .

عَنْبُ الْإِخْوَانِ وَالتَّبَاغُضِ وَالْعَدَاوَةِ

حدَّثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مُعَاذَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُصَارِمَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، وَأَيُّهُمَا فَعَلَ فَإِنَّهُمَا نَاكِحَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرْمِهِمَا وَإِنْ مَاتَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ".

قال بعض الشعراء :

سَنَ الضَّغَائِنِ آبَاءُ لَنَا سَلَفُوا * فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلآبَاءِ أَبْنَاءُ

هذا مثل قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : العداوة تُتَوَارَثُ .

وقرأت في كتاب للهند : إذا كانت المَوْجِدَةُ عن علة كان الرضا مرجوًا ، وإذا

كانت عن غير علة كان الرضا معدوما . ومن العجب أن يطلب الرجل رضا أخيه
١٠ فلا يَرْضَى ، وأعجبُ من ذلك أن يُسَخِّطَهُ عليه طلبه رضاه .

قال بعض المحذنين :

فَلَا تَلْهُ عَنْ كَسْبِ وَدِّ الْعَدُوِّ * وَلَا تَجْعَلْ صَدِيقًا عَدُوًّا

وَلَا تَغْتَرِّزْ بِهُدُوِّ أَمْرِي * إِذَا هِجَ فَارَقَ ذَاكَ الْهُدُوًّا

وقال آخر :

إِحْذَرْ مَوَدَّةَ مَا ذِيقَ^(١) * شَابَ الْمَرَارَةَ بِالْحَلَاوَةِ

يُحْصِي الْعُيُوبَ عَلَيْكَ أَيَّامَ الصَّدَاقَةِ وَالْعَدَاوَةِ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذَا الْمَرْءُ ذُو الْقُرْبَى وَذُو الضُّغْنِ أَجْحَفَتْ * بِهِ سَنَةٌ حَلَّتْ مُصِيبَتُهُ حَقْدِي

(١) المذاق : الذي يشوب الود بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحق لأخيه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سَنَدْتَهَا في الناس قبلي

وقال آخر :

ورُوعْتُ حتى ما أراعُ من النوى * وإن بان جِيرانٌ على كِرامُ

فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوي * وعيني على هجر الصديق تنامُ

قال أحمد بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كُما آفترقنا بسندا^(١) * دَولا بيننا عَقَدْنَا الإخاءَ

نطعنُ الناسَ بالْمُتَقَفَّةِ السُّم * ير على غَدْرهم وننسى الوفاءَ

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوه ؟ قال : بأن يزداد فضلا

في نفسه . ١٠

وكان يقال : احذر مُعاداة الذليل ، فربما شَرِق بالذباب العزيز .

كتب رجل من الكتاب الى صديق له نجى عليه :

عَبَّتْ على ولا ذنبَ لي * بما الذنبُ فيه ولا شك لك

وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل أن أبذرك

فكُما قيل فيما مضى * خُذ اللص من قبل أن يأخذك

١٥

وقال آخر :

رأيتُك لما نلتَ مالا، ومَسْنَا * زمانٌ ترى في حد أنيابه شُعبا^(٢)

جعلتَ لنا ذنبا لتمتعَ نائلا * فأمسِك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

(١) سنداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهيج الشر ، وفي الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُرِيدُن أن أَرْضِي وَأَنْتَ بِخَيْلِهِ * وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرِضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبَخْلِ
وَجَدَّكَ لَا يَرْضِي إِذَا كَانَ عَاتِبًا * خَيْلُكَ إِلَّا بِالْمُودَّةِ وَالْبَذْلِ
مَتَى تَجْعَلِي مَنَّا كَثِيرًا وَنَائِلًا * قَلِيلًا يَقْطَعُ ذَاكَ بَاقِيَةَ الْوَصْلِ

كتب رجل الى صديق له :

لَنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ * لَقَدْ سَرَّنِي أَنَّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ^(٢)

وقال آخر :

إِذَا رَأَيْتُ أَزْوَارًا مِنْ أُنْحَى نِقَةٍ * ضَاقَتْ عَلَى بَرْحِبِ الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِهِ كَى أَكْفَنِهِ * فَالْعَيْنُ غَضْبَى وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانِ

وقال إبراهيم بن العباس :

وَقَدْ غَضِبْتُ فَمَا بِالْيَتَمِّ غَضْبِي * حَتَّى أَنْصَرَفْتُ بِقَلْبٍ سَاخِطٍ رَاضِي

وقال زهير :

وَمَا يَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ * تُخْبِرُكَ الْعَيُونُ عَنْ الْقُلُوبِ

وقال دريد :

وَمَا تَخْفَى الضَّغِينَةُ حَيْثُ كَانَتْ * وَلَا النَّظَرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال ابن أبي خازم :

خُذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا كَفَى * وَمِنَ الْعَيْشِ مَا صَفَا
لَا تُلَحِّنْ بِالْبُكَ * عَلَى مَتْرِكٍ عَفَا

(١) في الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينه مطلعها :

فني يا أميم القلب تقض لبانة * ونشك الهوى ثم اضل ما بدالك

خَلَّ عَنْكَ الْعَتَابُ إِنْ * خَانَ ذُو الْوُدِّ أَوْ هَفَا
عَيْنٌ مِنْ لَا يُحِبُّ وَصَدَّ * لَكَ تُبْدَى لَكَ الْخَفَا

وقال أعرابي يذكر أعداءه :

يُزْمَلُونَ جَنِينَ الضَّغْنِ بَيْنَهُمْ * وَالضَّغْنُ أَشْوَهُ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلْفٌ^(٢)
إِنْ كَانُوا الْقَلَى نَمَتْ عَيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ

وقال ابن أبي أمية :

كَمْ فَرَحَةٍ كَانَتْ وَكَمْ تَرْحَةٍ تَخَوَّصَهَا لِي فِيكَ الظَّنُونُ
إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَهَا * تُضْمِرُهُ أَنْتَ عَنْهَا الْعِيُونُ

وقال آخر :

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أَبْدَى

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا لَيْسَ مِمَّنْ أُعَاتِبُهُ
يَقُولُ : لَا أَقْدِرُ [أَنْ] أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . ومثله :

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي * كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقال التمر بن تَوَلَّبَ في الإعراض :

فَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِهَا * بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَعَتْ بِحَاجِبِ

أَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ :

يَا قَرَا لِلنَّصِفِ مِنْ شَهْرِهِ * أَبْدَى ضِيَاءَ لُثْمَانٍ بَقِيْنِ

يُرِيدُ أَنَّهُ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ فَبَدَا لَهُ نَصْفُهُ .

(١) زمل الشيء : أخفاه . (٢) الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمم ويعرف بالشمس .

وقال آخر في الضغينة :

وفينا وإن قيل أصطلحنا تَصَاغُنَّ * كما طَرَأَ أوبارُ الجِرَابِ على النَّشْرِ^(١)

وقال آخر في نحوه :

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَنِ الثَّرَى * وتَبْقَى حَرَازَاتُ النفوسِ كما هَيَا

وقال الأخطل :

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قُدِّمَتْ * كَالْعَرِيْكَنِ حِينَ تَنْتَشِرُ^(٢)

تُشْمِسُ الْعَدَاوَةَ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ * وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا

وقرأت في كتاب الهند : ليس بين عداوة الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما يَنْتَكُثُ،

كَلَمَاءُ إِنْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ فَانْهَ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ إطفاء النار إذا صُبَّ عليها .

قال سعد بن أبي وقاص لعمار بن ياسر : إِنْ كُنَّا لَنَعْتَدُكَ مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ

عَمَدِ صُلِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا ظِلُّ الْحِمَارِ فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ؟

قال : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : مُودَّةٌ عَلَى دَخَلٍ أَوْ مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؟ قال : مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؟

قال : اللَّهُ عَلَى الْآلِ أَكَلَمَكَ أَبَدًا .

وقال بعض الشعراء في صديق له تغير :

أَحْوَلُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي^(٤)

١٥

(١) النشر: الكلاله يهيج أعلاه وأسفله ندى أخضر تدفى منه الابل (يكثرو بها وشحمها) اذا رعت ؛

كذا ذكره صاحب اللسان في مادة (نشر) ، وقد ساق هذا البيت في أبيات لعمر بن حباب ، وقال في تفسيره :

يقول : ظاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجرب عن أكل النشر وتحتها داء

منه في أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر في هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الور عليه

حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر تشرا ونشورا اذا حتى بعد ذهابه « ١٥ .

٢٠

(٢) العز : الجرب . (٣) يقال : ما بق منه إلا قدر ظم الحمار رأى لم يبق من عمره إلا اليسير

لأنه يقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد الماء

كل يوم في الصيف مرتين . (٤) احولت عنه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقَّبُ العَبْدِيُّ :

ولا تَعِدِي مواعِدَ كاذِبَاتٍ * تمرُّ بها رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فإني لو تُعَانِدُنِي شِمَالِي * عِنَادِكَ ما وَصَلْتُ بها يَمِينِي
أَذا لَقِطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ بِبَنِي * كذلك أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِيَنِي

وقال الكُمَيْت :

ولكنَّ صَبْرًا عن أَيْحَ عَنْكَ صَابِرٍ ^(١) * عَزَاءَ أَذا ما النَّفْسُ حَنَّ طَرُوبُهَا
رَأَيْتُ عَذَابَ الْمَاءِ إِنْ حِيلَ دُونَهَا * كَفَاكَ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ شَرُوبُهَا ^(٢)
وإن لم يكن إِلَّا الْأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ * فلا رَأَى لِلْجَهْدِ إِلَّا رُكُوبُهَا ^(٣)
وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : العَدُوَّ أَذا أَحْدَثَ صِدَاقَةً لَعَلَّةٍ أَلْجَأَتْهُ إِلَيْهَا فَعِ ذَهَابِ
العَلَّةُ رَجُوعَ العِدَاوَةِ ، كَالْمَاءِ يَسْخَنُ فَأَذا رُفِعَ عادَ بارِداً .

قال محمد بن يزداد الكاتب : أَذا لم تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْطَعَ يَدَ عَدُوِّكَ فَقَبِّلْهَا .

قال الشاعر :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
أَذا ما رَأَيْتُ قَطَعَ الطَّرْفَ دُونَهُ * وَدُونِي فَعَلَ العَارِفُ المُنْجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا * مِنَ الضِّيقِ فِي عَيْنِهِ كِفَّةٌ حَابِلِ
قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اعْتَرِلْ عَدُوَّكَ وَأَحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ ،
وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ .

الهِيمُ عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ قَالَ : كُنَّا مَعَ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بِخِرَاسَانَ ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ نَهْرُ بَغْجَاءَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ لَا يُوصَفُ ، وَإِذَا رَجُلٌ

(١) كَذَا فِي كِتَابِ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وَفِي الْأَصْلِ : «لَكَ» .

(٢) الشَّرُوبُ وَالشَّرِيبُ : الْمَاءُ بَيْنَ الْمَذْبِ وَالْمَلْحِ وَلَيْسَ يَشْرَبُهُ النَّاسُ إِلَّا لِلضَّرُورَةِ . (٣) فِي كِتَابِ
الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ : «لِلضَّرِّ» وَهِيَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ .

يضربه الموج وهو ينادى : الغريق الغريق ! فوقف أسد وقال : هل من ساج ؟
فقلت : نعم ، فقال : ويحك ! الحق الرجل ! فوثبت عن فرسى وألقيت عنى ثيابي
ثم رميت بنفسي في الماء ، فما زلت أسبح حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن
الرجل ؟ قال : من بنى تميم ، قلت : امض راشداً ، فوالله ما تأخرت عنه ذراعا حتى
غرق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما آتيت الله ! غرقت رجلا
مسلماً ! فقال : والله لو كانت معي لينة لضربت بها رأسه .

طاف رجل من الأزدي بالبيت وجعل يدعو لأبيه ، فقيل له : ألا تدعوا لأمك ؟
فقال : إنها تميمية .

وقرأت في كتاب للهند : جانب الموتور^(١) وكن أحذر ما تكون له أطف ما يكون^(٢)
بك ، فإن السلامة بين الأعداء توحش بعضهم من بعض ، ومن الأتس والثقة حضوراً جالهم .
أراد الملك قتل بزرجهر وأن يتزوج أخته بعد قتله ، فقال : لو كان ملككم
حازماً ما جعل بينه وبين شعاره موتورة .

قال أبو حازم : لا تتأصبين رجلاً حتى تنظر إلى سيرته ، فإن تكن له سريرة
حسنة فإن الله لم يكن يخذله بعداوتك إياه ، وإن كانت سيرته رديئة فقد كفالك
مساوية ، لو أردت أن تعمل بأكثر من معاصي الله لم تقدر .

قال رجل : إني لأغتم في عدوى أن ألقي عليه النملة وهو لا يشعر لتؤذيه .
وقال الأفوه الأودي :

بلوت الناس قرناً بعد قرن * فلم أر غير خلايب وقال
وذقت مرارة الأشياء جمعا * فما طعم أمر من السؤال
ولم أرفي الخطوب أشد هولا * وأصعب من معاداة الرجال

(١) في الأصل : « توحشة » . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى في العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر:

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ * عداوةٌ غير ذى حسبٍ ودينٍ
يُبِيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصْنَه * ويرتُعُ منك في عِرْضٍ مصونٍ

شماتة الأعداء

بلغ عمرو بن عبّة شماتة قوم به في مصائب؛ فقال : والله، لئن عظم مُصائبنا
بموت رجالنا لقد عظمَت النعمة علينا بما أبقي الله لنا : شُبَّاناً يَشُبُّونَ الحروبَ، وسادةٌ
يُسَدُّونَ المعروفَ، وما خَلَقْنَا وَمَنْ شِئْتَ بنا إلا للوت .

قيل لأيوب النّبيّ عليه السلام : أىّ شيء كان أشدَّ عليك في بلاك ؟ قال :
شماتة الأعداء .

١٠ اشتكى يزيد بن عبد الملك شكاةً شديدةً وبلغه أن هشاماً سرَّ بذلك ، فكتب
الى هشام يعاتبه، وكتب في آخر الكتاب :

تَمَنَّى رجالٌ أن أموتَ، وإنْ أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ
وقد علموا، لو ينفَعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعي على بُخْلِكَ
مَنِيَّتُهُ تجرَى لوقتٍ وحتْفُهُ * يصادفُهُ يوماً على غير موعِدٍ
فقل للذى يبغي خِلافَ الذى مضى * تهاً لأخرى مثليها فكأن قد

وقال الفرزدق :

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ * حوادثه أناخَ بأحرينِ
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

أغير على رجلٍ من الأعراب فذهب بابلهُ فقال :

لا والذى أنا عبدٌ في عبادته * لولا شماتة أعداءِ ذوى إحقِ
ماسرني أن أبلى في مَبَارَكها * وأن شيئاً قضاه الله لم يكن

٢٠

وقال عدى بن زيد العبادى :

- أرواحٌ مُودَّعٌ أم بُكُورٌ * لك فأنظر لأى حالٍ تصيرُ
 وأبيضاض السوادِ من نُذرِ الملو * تِ فهل بعده لإنس نذيرُ
 أيها الشامتُ المعيرُ بالله * ير أنت المبرأ الموفورُ
 أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيام * أم أنت جاهلٌ مغرورُ
 من رأيت المنونَ خلدن أم من * ذا عليه من أن يضامَ مجيرُ
 أين كسرى كسرى الملوك أنوشى * وإن أم أين قبله سابورُ^(١)
 وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دج * لته تُجى إليه والخابورُ^(٢)
 شاده مرمرًا وجلله كل * ساء فللطير في ذراه وكورُ^(٣)
 لم يهبه ريبُ المنون فباد ال * حلك عنه فبابه مهجورُ
 وتبين ربَّ الخورنق إذ أش * رف يوما وللهدى تفكيرُ^(٤)
 سره حاله وكثرة ما يد * لك والبحرُ معرضًا والسديرُ^(٥)
 فارعوى قلبه فقال وما غب * طلة حتى إلى الممات يصيرُ
 ثم بعد الفلاح والملك والنع * مة وأرتهم هناك القبورُ^(٦)
 ثم أضحوا كأنهم ورقٌ جفَّ * فالوت به الصبا والدبورُ

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك
 العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضرة : قصر بجهال تكريت بين دجلة والفرات ، ويعنى بأخيه
 الضيزن بن معاوية بن العيد ، وخبر قصرى الحضرة والخورنق مذكور فى الأغاني ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤٦
 طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من
 أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطفى بها المنازل . (٥) معرضا :
 متسعا ، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) فى الأغاني ج ٢ ص ١٣٩ : « والإبنة »
 وهو بمعناها .

قال ابن الكلبي : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءً من كندة وحضرموت فخصبن أيديهن وضربن بالدفوف ، فقال رجل منهم :

أبلغ أبا بكر إذا ما جثته * أن البغايا رمن أي مرام
أظهرن من موت النبي شماته * وخصبن أيديهن بالعلام^(١)
فأقطع، هديت، أكفهن بصارم * كالبرق أومض من متون غمام

فكتب أبو بكر إلى المهاجر عامله ، فأخذهن وقطع أيديهن .

وقرأت في كتاب ذكر فيه عدو : فإنه يتربص بك الدوائر، ويتمنى لك الفوائل،
ولا يؤمل صلاحاً إلا في فسادك، ولا رفعة إلا في سقوط حالك والسلام .

(١) العلام بالتشديد : الحناء، عن ابن الأعرابي .

وجد بالأصل في آخر هذا الكتاب ما نصه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمة الله عليه . وكتبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري، وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

وفي هذه الصفحة عينها وجد ما يأتي — وهو من زيادة الناسخ — :
 قيل قدم المهدي أمير المؤمنين، وقيل الرشيد، فلتقاه الناس، وتلقاه أبو دلامة^(١) في جملة الناس، فأنشده :

إني نذرتُ لئن رأيتُك سالماً * بقرى العراق وأنت ذو وفير

لتصليَن على النبي محمد * وتملأن دراهماً حجري
 فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ،
 وأما الأخرى فليست أفعل ، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين ،
 فضحك وأمر حتى ملأوا حجره دراهم .

شاعر^(٢) :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتي * فإذا لها من راحتِكَ نسيمُ
 ولربما استياستُ ثم أقول لا * إن الذي ضمن النجاةَ كريمُ

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفي سنة إحدى وستين ومائة ، وتولى الرشيد الخلافة

سنة سبعين ومائة ، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش إلى أيام الرشيد . (٢) هو أبو العنانية .

1875

1875

1875

1875

1875

1875

1875

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج^(١)

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الخصب قال حدثني أوس بن عبد الله بن بُريدة عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اسْتَعِينُوا عَلَى الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ “ .

قال خالد بن صفوان : لا تَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ فِي غَيْرِ حِينِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوا مَا لَسْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ فَتَكُونُوا لِلنَّعْيِ خُلَفَاءَ .

قال شبيب بن شيبَةَ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَقَّى بِهِ أَثْنَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : [العقل ، فَإِنَّ] الْعَاقِلَ لَا يَسْأَلُ مَا لَا يَحُوزُ وَلَا يُرَدُّ عَمَّا يُمَكِّنُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي ! إِنَّا أَهْلُ بَلَدٍ لَا يَمُوتُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ .

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعي حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعر وبأحاديث ذكرها الموافق هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حاجة . وذكر بعضهم أنه سمع حاجة لغة في الحاجة . (٢) الكلمة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو ربيعة - وهم من بني عَسَلٍ^(١) بن عمرو بن يربوع -
يُوصُونَ أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم بالثقل عليهم ، فذاك
أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ مَقْطَعَةٌ * لَأَنْحَى الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
فَإِذَا مَا هَيْبَ ذَا أَمِيل * مَاتَ مَا أَقْلَتَ مِنْ سَبِيلِهِ

وقال أبو نُوَّاس :

وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِمَّنْ يَرُومُهَا^(٢) * مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُصِيحُونَ عَلَى رِجْلٍ
تَأْتِ مَوَاعِيدَ الْكِرَامِ فَرُبَّمَا * أَصَبَتْ مِنَ الْإِلْحَاحِ سَمْعًا عَلَى بُحْلِ

والبيت المشهور في هذا :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا آنَسَتْ مَسَالِكُهَا * فَالْصَبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجِبَا
أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ * وَمُدْمِنَ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
لَا تَيَاسَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ * إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا

وقال آخر :

إِنِّي رَأَيْتُ، وَلِلْآيَامِ تَجْرِبَةً^(٣)، * لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْآثَرِ
وَقُلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يُطَالِبُهُ * وَأَسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالْظَّفَرِ

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفاً هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس

وشرحه مادة عسل) - (٢) روى هذا في اللسان مادة رجل هكذا :

* ولا يدرك الحاجات من حيث يتفنى *

(٣) في العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « بمحاولة » .

والعرب تقول : «رُبَّ حَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَحْرِقُ ويعجل في حاجته فتتأخر أو تبطل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أَقْعُ» . يريدون أن الشراب الذي يُرَشَّفُ رويدًا رويدًا أَقْعُ للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِقِ :

- إنك إن كَلَفْتَنِي ما لم أَطِقْ * ساء لك ما سَرَّكَ مِنِّي من خُلُقٍ
وكانوا يَسْتَنجِحُونَ حوائجهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إِنِّي بِكَ أَسْتَفْتِحُ ،
وبك أَسْتَنجِحُ ، وبمحمد نبيك اليك أتوجه ، اللهم ذَلِّلْ لِي صَعُوبَتَهُ ، وَسَهِّلْ لِي حُرُوبَتَهُ ،
وَأَرْزُقْنِي من الخير أكثر مما أَرْجُو ، وَأَصْرِفْ عَنِّي من الشر أكثر مما أَخاف .

وقال القطامي :

- قد يُدْرِكُ الْمُنَانِيُّ بَعْضَ حَاجَتِهِ * وقد يَكُونُ مع الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ^(١)
عمرو بن بحر عن إبراهيم بن السَّندِيِّ قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل
من وجوهها ، كان لا يَجِفُّ لِبْدُهُ ولا يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ ولا تَسْكُنُ حركته في طلب حوائج^(٢)
الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مُفَوِّهاً ، خَبَّرَنِي عن الشيء الذي هَوَّنَ
عليك النَّصَبَ وقَوَّاهُ على التعب ما هو ؟ قال : قد والله سَمِعْتُ تَفْرِيدَ الطَّيْرِ بالأشجار ،
في أفنان الأشجار ، وَسَمِعْتُ خَفَقَ أوتار العِيدان ، وترجيع أصوات القِيانِ الحسان ، ما طَرِبْتُ^{١٥}
من صوت قط طربني من شاء - سِنٍ بِلِسَانٍ حَسَنِ على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكر
حُرْمَنِي حُرٍّ ، ومن شفاعة مُحْتَسِبٍ لطالِبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلت : لله أبوك
لقد حُشِيتَ كرماً فزادَكَ الله كرماً ، فبأى شيء سَهَّلْتَ عليك المعاودة والطلب ؟

(١) كذا في ديوان القطامي وهي الرواية المشهورة في كتب الأدب . وفي الأصل :

- قد يدرك المناني بعد حاجته * وهي رواية جيدة . (٢) كذا في المقدم الفريديج ١

ص ٨٦ ، وفي الأصل : «قلبه» .

قال : لأني لا أبلغ المجهود ولا أسأل مالا يجوز ، وليس صدق العذر أكره إلى من
إنجاز الوعد ، ولست لإكداء السائل أكره متى للإجحاف بالمستول ، ولا أرى الراغب
أوجب على حقاً للذي قدم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتل من كُله ^(١) .
قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قط أشد موافقة لموضعه ولا أليق بمكانه من هذا
الكلام .

وقال مُصَبِّ :

في القوم مُعْتَصِمٌ بِقُوَّةِ أَمْرِهِ * وَمُقَصِّرٌ أَوْدَى بِهِ التَّقْصِيرُ
لَا تَرْضَ مَنْزِلَةَ الدَّلِيلِ وَلَا تُقِمُ * فِي دَارِ مَعْجِزَةٍ وَأَنْتَ خَبِيرُ
وَإِذَا هَمِمْتَ فَاْمِضْ هَمَّكَ إِنَّمَا * طَلَبُ الْخَوَائِجِ كُلُّهُ تَغْرِيرُ

وكان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسأل ما لا استطاع .

ويقال : الخوائج تُطلبُ بالرجاء ، وتُدرَكُ بالقضاء .

الاستنجاح بالرشوة والهدية

حدثني زيد بن أنحزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيان الثوري يقول :
إذا أردت أن تترقج فأهد للآثم . والعرب تقول : « من صانع ^(٢) لم يحتشم من طلب
الحاجة » .

قال ميمون بن ميمون : إذا كانت حاجتك إلى كاتبٍ فليكن رسولك الطمع .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

(١) الكل بالفتح : العيال والنقل من كل ما يتكاف . (٢) صانع : هادي .

وقال رؤبة :

لما رأيتُ الشُّفَعَاءَ بَلَدُوا ^(١) * وسألوا أميرهم فأنكدوا ^(٢)
نامستهم برشوة فآفردوا ^(٣) * وسهل الله بهما ما شددوا ^(٤)

وقال آخر :

- وكنتُ اذا خاصمتُ خصماً كِبَيْتُهُ * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الحصومة غلبت ^(٦) * على وقالوا قم فإنك ظالم
والعرب تقول في مثل هذا المعنى : «مَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرًا» يريدون
مَنْ طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحدِّثِينَ :

- ١٠ ما من صديق وإن تمت صداقته ^(٧) * يوماً بأنجحَ في الحاجات من طَبَقٍ
إذا نلتُم ^(٨) بالْمُنْدِيلِ مُنْطَاقًا * لم يَحْشَ نَبْوةَ بَوَابٍ وَلَا غَلَقٍ
لا تُكْذِبُنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْخِلُوقًا * لرغبة يكرمون الناس أو فِرَقٍ ^(٩)
وقال آخر :

ما أرسل الأقوامُ في حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمٍ

- ١٥ يأتيك عفوًا بالذي تشتهى * نعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

(١) يقال : بلد الرجل إذا لم ينجبه لشيء ، وبلد إذا نكس في العمل وضعف . (٢) أى منعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه مناسمة ونماسا إذا ساوره . (٤) يقال : أفرد الرجل وفرد إذا ذلَّ وضعف . (٥) هو رجل من ولد طلبة (ضبط في الكامل بالقلم بفتح الطاء وسكون اللام وكسرها واقتصر في المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للبردج ١ ص ٨٤ طبع أوربا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه إذا حكم له عليه بالقبلة . (٧) في المحاسن والأضداد للملاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا : « أبدى مودته » . (٨) في المحاسن والأضداد : « تقنع » . (٩) في المحاسن والأضداد : « لا تكثرن » .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : دخل أبو بكر الهجري على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نفّض في وأنتم أهل بيت بركة ، فلو أذنت لي فقبّلت رأسك لعل الله يسدّد لي منه ! فقال أبو جعفر : اختر منها ومن الجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أهون عليّ من ذهب درهم من الجائزة ألاّ تبقى في في حاكّة .

قال أبو حاتم : وحدثنا الأصمعي عن خلف قال : كنت أرى أنه ليس في الدنيا رقية إلا رقية الحيات ، فاذا رقية الخبز أسهل . يعني ما يتكلفه الناس من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجل للفضل بن سهل يسأله : الأجل آفة الأمل ، والمعروف ذخيرة الأبد ، والبر غنيمة الحازم ، والتفريط مصيبة أنى القدرة ؛ فأمر وهباً كاتبه أن يكتب الكلمات . ورفع إليه رقيقة فيها : يا حافظ من يضع نفسه عنده ، ويا ذاكر من ينسى نصيبه منه ، ليس كتابي إذا كتبت استبطاء ، ولا إمساكي إذا أمسكت استغناء ؛ لكن كتابي إذا كتبت تذكرة لك ، وإمساكي إذا أمسكت ثقة بك .

وقال رجل لآخر : ما قصرت بي همة صيرتني اليك ، ولا أخرني أرتياد دلتني عليك ، ولا قعد بي رجاء حدايني إلى بابك . ويحسب معصم بك ظفر بفائدة وغنيمة ، ولجّء إلى موئل وسند .

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته ، فقال له : قد عظم شأنك عن أن يستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكثر منه ، وليس العجب أن تفعل ، وإنما العجب من ألا تفعل .

(١) يقال : نفّضت أسنانه أي قلقت وتحزنت . (٢) الحاكّة : السّ لأنّها تحك صاحبها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبه . (٣) في الأصل : « وقع » . (٤) الحمالات جمع حمالة (بالفتح) وهي : ما يحمله الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحمدوني في الحسين بن أيوب والى البصرة :

قُلْ لَابْنِ أَيُّوبَ قَدْ أَصْبَحَتْ مَأْمُولًا * لَا زَالِ بِأَبْكَ مَغْشِيًا وَمَاهُولًا
إِنْ كُنْتَ فِي عُظْلَةٍ فَالْعَذْرُ مُتَّصِلٌ * وَصِلْ إِذَا كُنْتَ بِالْسلطانِ مَوْصُولًا
شَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ وَلَّى قَفَاهُ إِذَا * كَانَ الْمَوْلَى وَأَعْطَى الْبَشْرَ مَعْزُولًا
مَنْ لَمْ يُسَمِّنْ جَوَادًا كَانَ يَرْكَبُهُ * فِي الْخَصْبِ قَامَ بِهِ فِي الْجَدْبِ مَهْزُولًا
إِفْرَغْ لِحَاجَاتِنَا مَا دَمَتْ مَشْغُولًا * لَوْ قَدْ فَرَّغْتَ لَقَدْ أَلْفَيْتَ مَبْذُولًا

وقال آخر :

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا * تَتَنَاطَلُ بِكَ الْأُمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ
وَأَتَى رَجُلٌ بَعْضَ الْوَلَاةِ، وَكَانَ صَدِيقَهُ، فَتَشَاغَلَ عَنْهُ، فَتَرَاىَ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ :
اعْذِرْنِي فَإِنِّي مَشْغُولٌ، فَقَالَ : لَوْلَا الشُّغْلُ مَا أَتَيْتُكَ .

١٠

وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : قَدْ عَرَضَتْ قَبْلَكَ حَاجَةٌ، فَإِنْ تَجَبَّحْتَ بِكَ
فَالْقَانِي مِنْهَا حَظِّي وَالْبَاقِي حَظُّكَ، وَإِنْ تَعْتَذِرْ فَالْخَيْرُ مَطْنُونٌ بِكَ وَالْعَذْرُ مُقَدَّمٌ لَكَ .
وَفِي فَصْلِ آخَرٍ : قَدْ عَذَرَكَ الشُّغْلُ فِي إِغْفَالِ الْحَاجَةِ وَعَذَرَنِي فِي إِنْكَارِكَ .
وَفِي فَصْلِ آخَرٍ : قَدْ كَانَ يَجِبُ إِلَّا أَشْكُو حَالِي مَعَ عِلْمِكَ بِهَا، وَلَا أَقْتَضِيكَ عِمَارَتَهَا
بِأَكْثَرِ مَنْ قَدَرْتُكَ عَلَيْهَا، فَلَرَبَّمَا نِيلَ الْغِنَى عَلَى يَدَيَّ مَنْ هُوَ دُونَكَ بِأَدْنَى مِنْ حُرْمَتِي .
وَمَا أَسْتَصْغِرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَّا عَنْكَ، وَلَا أَسْتَقِلُّهُ إِلَّا لَكَ .

١٥

وقال آخر : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُصَفِّدَ يَدًا بِصَدِيعَةٍ بَاقٍ ذِكْرُهَا بِجَمِيلٍ فِي الدَّهْرِ أَثَرُهَا،
تَغْتَنِمُ غِرَّةَ الزَّمَانِ فِيهَا وَتُبَادِرُ قُوَّةَ الْإِمْكَانِ بِهَا، فَافْعَلْ .

قَدِمَ عَلَى زِيَادٍ نَفَرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَامَ خُطْبِيهِمْ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! نَحْنُ،
وَلِنْ كَانَتْ تَزَعَتْ بَنَا أَنْفُسُنَا إِلَيْكَ وَأَنْضَيْنَا رَكَائِبَنَا نَحْوَكَ أَلْتَمَسْنَا لِفَضْلِ عَطَاكَ ،
(١)

٢٠

علمون بأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع ؛ وإنما أنت أيها الأمير خازنٌ ونحن رائدون ، فإن أُذِنَ لك فأعطيتَ حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم يُؤذَنَ لك فمنعتَ حمدنا الله وعدّناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تالله ما رأيتُ كلاماً أبلغ ولا أوجز ولا أنفع عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يصلحهم .

دخل العتّابي على المأمون ، فقال له المأمون : خُبرتُ بوفائك فغمّنتي ، ثم جاءني وفادتُك فسترّنتي ؛ فقال العتّابي : لو قُسمت هذه الكلمات على أهل الأرض لوسّعتهن ؛ وذلك أنه لا دينَ إلا بك ولا دُنيا إلا معك ؛ قال : سَلّني ، قال : يدّاك بالعطية أطلق من لساني .

قال نُصيب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كبرتُ سنِّي ورقَّ عظمي ، وبُليتُ بيناتٍ نفَضْتُ عليهن من لوني فكسَدَنَ عليّ ؛ فرَّقْ له عمر ووصله .

سأل رجلُ أسد بن عبد الله فاعتلَّ عليه ؛ فقال : إني سألتُ الأميرَ من غير حاجة ؛ قال : وما حَمَلَك على ذلك ؟ قال : رأيتُكَ تُحِبُّ مَنْ لَكَ عنده حسنُ بلاءٍ ، فأحببتُ أن أتعلّقَ منك بحبلِ مَوْتَةٍ .

لَزِمَ بعضُ الحكماء بابَ بعضِ ملوكِ العجم دهرًا فلم يصلِ إليه ، فتَلَطَّفَ للحاجب في إيصالِ رُقعةٍ ففعل ، وكان فيها أربعة أسطر :

السطرُ الأوّلُ "الأملُ والضرورةُ أقدماني عليك" .

والسطرُ الثاني "والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المطالبة" .

والسطرُ الثالثُ "الانصرافُ بلا فائدةٍ شِمانيةٍ للأعداء" .

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالد القسري حاجة الخ» .

والسطر الرابع "فإما نعم مشمرة" ، وإما لا مريحة^(١) . فلما قرأها وقع في كل سطر : زه ؛ فأعطى ستة عشر ألف مثقال فضة .

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم ، فقال له : أتيتك في حاجة رفعتها الى الله قبلك ، فإن تقضها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ؛ فأمر له بحاجته . وقال له أيضا في حاجة أخرى : إني أتيتك في حاجة ، فإن شئت قضيتها .
ونكح جميعا كريمين ، وإن شئت منعتها ونكح جميعا لثيمين^(٢) .

أتى رجل خالد بن عبد الله في حاجة ، فقال له : أنكلم بجرأة الياس أم بهيبة الأمل ؟ قال : بل بهيبة الأمل ؛ فسأله حاجته فقضاها .

وقال أبو سمالك لرجل : لم أضن وجهي عن الطآب اليك ، فصن وجهك عن ردّي ، وضغني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك .

قال المنصور لرجل : ما مالك ؟ قال : ما يكف وجهي ويعجز عن برّ الصديق فقال : لقد تلطفت للسؤال ، ووصله .

وقال المنصور لرجل أحمد منه أمرا : سل حاجتك فقال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين ؛ قال : سل ، فليس يمكك ذلك في كل وقت ؛ فقال : ولم يا أمير المؤمنين !

(١) كلمة « زه » في لغة الفرس معناها أحسنت . وفي العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنني وضعت الطلبة في موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لثيما بمنعك وكنت أنا لثيما بسؤالك إياها » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبي تمام :

عباش إنك للثيم وإنني * مذ صرت موضع حاجتي للثيم

فوالله لا أستقصر عمرَكَ ولا أرهبُ بُحْثَكَ ولا أغنمُ مالَكَ وإِن سؤَالَكَ لَزَيْنٌ، وإِن عطاءَكَ لَشَرَفٌ، وما على أَحَدٍ بَذْلَ وجهِهِ اليكَ نَقْصٌ ولا شَيْنٌ، فأمرَ حتَّى مُلئَ فُوهُ دُرًّا .

قال أبو العباس لأبي دُلَامة : سَل حاجَتَكَ . قال : كَلْبٌ ؛ قال : لك كلب .
 قال : ودابة أنصيد عليها ؛ قال : ودابة . قال : وغلّام يركب الدابة ويصيد ؛ قال :
 وغلّام . قال : وجارية تُصَلِّحُ لنا الصيْدَ وتُطْعِمنا مِنْهُ ؛ قال : وجارية . قال :
 يا أمير المؤمنين ، هؤلاء عيال ولا بَدَ من دارٍ ؛ قال : ودار . قال : ولا بَدَ من ضَيْعَةٍ
 لهؤلاء ؛ قال : قد أَقْطَعْتُكَ مائة جَرِيْبٍ عامرة ومائة جَرِيْبٍ غامرة . قال : وأى
 شَيْءٍ الغامرة ؟ قال : ليس فيها نباتٌ . قال : فأنا أَقْطَعُكَ ألفاً ونحسمائة جَرِيْبٍ من
 فيافي بَنى أَسَدٍ ؛ قال : قد جعلتها [كُلُّها لك] ^(١) عامرة . قال : أَقْبَلْ يَدَكَ ؛ قال :
 أما هذه فدَعْها . قال : ما منعتَ عيالي شيئاً أهونَ عليهم فَقَدْما ^(٢) منها .

قال عبد الملك لرجل : مالى أراك وإِجماً لا تَنطِقُ ؟ ^(٣) قال : أشكو اليكَ ثِقَلِ
 الشَّرَفِ ؛ قال : أَعِينوه على حَمْلِهِ .

رأى زياد على مائدته رجلاً قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل ، فقال له : كم عيالك ؟
 قال : تسع بنات ؛ قال : أين هنَّ مِنْكَ ؟ قال : أنا أبجلُ مِنْهنَّ وهنَّ أَكَلُ مِنْي ؛
 قال : ما أَحْسَنَ ما تَلَطَّفْتَ في السُّؤالِ وفَرَضَ له وأَعْطاه .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق ، وقد ذكر هذه الحكاية صاحب الأغاني
 في أخبار أبي دُلَامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) في الأصل :
 « فقد اتمه » وفي الأغاني : « ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها » . (٣) الواجم :
 الذى اشتدَّ حزنه حتَّى أمسك عن الكلام ، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هذه
 الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قلة الحرذان ؛ قال :
ما أحسن هذه الكناية ! املكوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً .

وقال بعض القصاص في قصصه : اللهم أقل صبياننا وأكثر حرذاننا .

- كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولي بالولي والجار بالجار ؛ فدخل عليه رجل
وعلى رأسه وصيفة روفة^(١) ، فنظر إليها ؛ فقال سليمان : أأعجبك؟ قال : بارك الله لأمير
المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثال في الآست^(٢) وخُذها ؛ فقال : « صر عليه الغزو^(٣)
آسته » . قال : واحد . قال : « آستُ البائن أعلم » ؛ قال : آثان . قال : « آست^(٤)
لم تُعوّد الجحمر تحترق » ؛ قال : ثلاثة . قال : الحر يعطى والعبد يجمع^(٥) بآسته ؛ قال :
أربعة . قال : « آستى أخشى » ؛ قال : خمسة . قال : « عاد سلاها في آستها » ؛
^(٦)

- ١٠ (١) الوصفة : الجارية ، والروفة (بالضم) : الحسناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه
تصرفه أمره . (٣) البائن : الذي يكون عند حلب الناقة من جانبا الأيسر ويقال للذي من الجانب
الأخر : المعلي أو المستعلي ، وهو الذي يعلى العلة إلى الضرع . وأصل المثل أن رجلاً أضل إبله ووجدها في مرة
فاستنجد بالحارث بن ظالم المزني فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحملانها ، فقال لهما الحارث : خليا
عنها فليست لكما ، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلي : والله ما هي لك ، فقال الحارث :
« آست البائن أعلم » فأرسلها مثلاً ؛ يضرب لمن أمرأ وصلى به فهو أعلم به من لم يمارسه ولم يصل به ، وقيل :
١٥ يضرب لكل ما ينكر وشأه حاضراً . (٤) يضرب لمن حصل في نعمة لم يعهدها . وأصله أن ماوية
بنت عفّز كانت ملكة وكانت تزوج من أرادت ، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ،
فجاءوها بحاتم الطائي ؛ فقالت له : أستقدم إلى الفراش ؛ فقال هذه الجملة . أراد : إني أعرابي متقهّل
(يابس الجلد متقشف) لم أتعود الطيب والترف . (٥) الذي في الأمثال للبدائي : « الحر يعطى
والعبد يألم قلبه » وقال : يعني أن اللّيم يكره ما يوجد به الكريم . وقال في فرائد اللاك : يضرب لمن
٢٠ يخلل ويأمر غيره بالبخل . (٦) لم يذكر هذا المثل الميسداني ، وذكره الزمخشري في كتابه
المستقصى في أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ . أدب ؛
وقال في شرحه : « يضرب في وضع الشيء في غير موضعه » ، وأصله أن سمعد بن زيد مائة زوج أخاه
مالكا التواربنت حل بن عدى رجاء أن يولد له ، وكان محمّقا ، فانطلق به إلى بيت العروس فأبى أن يلج البيت ،
فقال له : « لج مال وبلت الزجّم » (أي القبر) ؛ حتى ولج ونعلاه معلقان في ذراعيه ، فقال له : ضع
٢٥ نعليك ، فقال : ساعداني أحرز لهما ، ثم أتى بطيب فجعل يجعله في آسته ، فقالوا له في ذلك ، فقال : « آستى
أخشى » . (٧) السلى : الجلدة التي يكون فيها الولد ، من الناس والمواشي .

قال : ستة . قال : « لا مأك أبقيت ولا حرك أنقيت » ؛ قال : ليس هذا من ذلك ؛ قال : أخذتُ الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلب لسليمان في حَمالةٍ كَلبه فيها : يا أمير المؤمنين ، والله لحَمَدُها خيرٌ منها ، ولَذِ كُرُها أحسنُ من جَمِيعِها ، ويَدِي مبسوطةٌ بيدِكَ فأبسطْها لسؤالِها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُحرِّمها عليهم ، لتباعدِ كان بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فدخل عليه عمرو بن عُتبة فقال : يا أمير المؤمنين ، أدنى حَقِّك مُتَعَبٌ وتَقْصِيهِ فادِحٌ ، ولنا مع حَقِّك علينا حقٌّ عليك ، لقربائنا منك وإكرامِ سَلَفنا لك ؛ فأنظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليك ، وضَعنا بحيث وضَعنا الرِّحْمُ منك ، وزِدنا بقدر ما زادك الله ؛ فقال : أفعلُ ، وإنما يَسْتَحِقُّ عَطِيَّتِي من أَسْعَطَها ، فأما من ظنَّ أنه يَسْتَغْنِي بنفسه فَسَنَكِلُهُ إلیها ، يعرضُ بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدًا ، فقال : أما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ ، أو بالحرمان يَهْتَدِني ! يَدُ الله فوق يده مانعةٌ ، وعطاؤه دونه مبدول .

أتى رجلُ يزيد بن أبي مسلم برُقعةٍ يسأله أن يرفعها إلى الحجاج ؛ فنظر فيها يزيدُ فقال : ليست هذه من الحوائج التي تُرفعُ إلى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإني أسألك أن ترفعها ، فلعلها توافق قَدَرًا فيقضيها وهو كارهٌ ؛ فأدخلها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر الحجاج في الرُقعة ، وقال ليزيد : قل للرجل : إنها وافقت قَدَرًا وقد قضيناها ونحن كارهون .

(١) أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معها ماء يسير فأغتسلت ، فلم يكفها لفلسها وأنقذت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحَمالة (بالفتح) : ما يحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

(١) دخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فأنشده :

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهِّدٍ * فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا

فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بُولِيدَةٍ * مَغْنُوجَةٍ حَسَنٍ عَلَى قِيَامُهَا (٢)

وَيَسْدِرَةٌ حَمَلَتْ إِلَى وَبَغْلَةٍ * دَهْمَاءُ مُشْرِفَةٍ يَصِلُ لِحَامُهَا (٣)

فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةً * عِوَضًا يُصْبِيكَ بِرَدِّهَا وَسَلَامُهَا (٤)

فَقَالَ لَهُ بَشَرُ : فِي كُلِّ شَيْءٍ أَصَبْتُ إِلَّا فِي الْبَغْلَةِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا شُهْبًا : فَقَالَ :
إِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ إِلَّا شُهْبًا .

قَالَ رَجُلٌ لِمَعَاوِيَةَ : أَقْطِعْنِي الْبَحْرَيْنِ ، قَالَ : إِنِّي لَا أَصِلُ إِلَى ذَلِكَ . قَالَ :
فَأَسْتَعِمِّنِي عَلَى الْبَصْرَةِ ، قَالَ : مَا أُرِيدُ عَزْلَ عَامِلِهَا . قَالَ : تَأْمُرُ لِي بِالْفَيْنِ ، قَالَ :
ذَلِكَ لَكَ . فَقِيلَ لَهُ : وَيَحْكُ ! أَرْضَيْتَ بَعْدَ الْأُولَيْنِ بِهَذَا ! قَالَ : آسَكْتُوَا لَوْلَا الْأُولَيَانِ
مَا أُعْطِيتُ هَذِهِ .

جاء أعرابي إلى بعض الكتاب فسأله ، فأمر الكاتب غلامه يمينه أن يعطيه
عشرة دراهم وقيصًا من قُصْبِهِ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

حَوْلَ الْعَقْدِ بِالشِّمَالِ أَبَا الْأَصْدِ * بَنَجْ وَأَضْمُمْ إِلَى الْقَمِيصِ قَيْصًا

إِنِّ عَقْدَ الْيَمِينِ يَقْصُرُ عَنِّي * وَأُرَى فِي قَيْصِكُمْ تَقْلِيصًا (٥)

يقول : حَوْلَ عَقْدِ الْيَمِينِ وَهُوَ عَشْرَةٌ إِلَى عَقْدِ الشِّمَالِ وَهُوَ مِائَةٌ .

- (١) هو الحكم بن عبدل كما في الأغاني (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نشر
على هذه الصيغة في معاجم اللغة ، والذي بها : امرأة مفنّاج وغنّجة : حسنة الدل ؛ ووجد هذا الشعر منسوباً
إلى حمزة بن بيض في الأغاني (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتي الأغاني الأولى وهذا
الكتاب ، وفيه موسومة بدل مغنّوجة . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مفلّوجة» . (٣) مشرفة :
مريضة العدو ، والمشرقة أيضاً : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوت . (٥) كان للعرب
حساب غير ما هو معروف اليوم ولم في ذلك اصطلاحات في أصابع اليد ، فالعشرة يدٌ عليها يجعل السبابة
في اليد اليمنى حلقة فإذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل في الجزء الثالث
من كتاب بلوغ الأرب للألب كوسي ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابي فقال في مسأله : لقد جُعْتُ حتى أَكَلْتُ النَّوَى المَحْرَقَ ولقد مَشَيْتُ حتى أَنتَعَلْتُ الدَّمَ وحتى سَقَطَ من رِجْلِي بَحْصُ لَحْمٍ وَحَتَّى تَمَيَّنْتَ أَنَّ وَجْهِي حِذَاءُ لِقَدَمِي ، فهل من أَخٍ يَرْحَمُنَا ؟ .

وسأل آخرُ قوماً فقال : رَحِمَ اللهُ أَمْرَأَ لم تَمُجِّجْ أَذْناهُ كَلَامِي ، وَقَدِمَ لِنَفْسِهِ مَعَاذًا من سَوْءِ مُقَامِي ، فَإِنَّ الْبِلَادَ مُجْدِبَةٌ ، وَالْحَالُ مُضْغِبَةٌ ، وَالْحَيَاءُ زَاغِرٌ يَمْنَعُ من كَلَامِكُمْ ، وَالْعُدْمُ عَاذِرٌ يَدْعُو إِلَى إِخْبَارِكُمْ ، والدعاءُ أَحَدُ الصَّدَقَتَيْنِ فَرَحِمَ اللهُ أَمْرَأَ أَمْرٍ بِمِيرٍ ، ودعا بخير ، فقال له رجل من القوم : مِمَّنَّ الرجل ؟ فقال : اللَّهُمَّ غَفِّرَا مَن لا تَضُرُّكَ جَهَالَتُهُ ، وَلَا تَنْفَعُكَ مَعْرِفَتُهُ ؛ ذُلُّ الْإِكْتِسَابِ ، يَمْنَعُ من عِزِّ الْإِنْتِسَابِ .

سأل أعرابي رجلاً فحرمه ؛ فقال : عَلَامَ تَحْرِمُنِي ! فوالله ما زِلْتُ قِبْلَةً لِأُمْلَى لَا تَلْفِئُنِي عَنْكَ الْمَطَامِعُ ، فَإِنْ قُلْتُ : قَدْ أَحْسَنْتُ بَدْعًا ، فَمَا يُنْكِرُ لِمِثْلِكَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْدًا ! .

قال ابنُ أبي عَتِيقٍ : دَخَلْتُ عَلَى أَشْعَبَ وَعِنْدَهُ مَتَاعٌ حَسَنٌ وَأُنَاثٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ ! أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَ وَعِنْدَكَ مَا أَرَى ! فقال : يَا فَدَيْتُكَ ! مَعِيَ وَاللهُ مِنْ لَطِيفِ السُّؤَالِ مَا لَا تَطْيِبُ نَفْسِي بِتَرْكِهِ .

قال الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ :

نُروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقي
إذا ليلة هَرَمَتْ يومها * أتى بعد ذلك يوم فتي

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم . (٢) في الأصل : « حذاء لدمي » . (٣) في المحاسن والمساوي لليحيى طبع أوروبا ص ٦٣١ : « مسغبة » وقد رويت هذه الحكاية فيه باختلاف عما هنا .
(٤) كذا في المحاسن والمساوي . وفي الأصل : « عار » . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سَنَحْتُ بها ^(١) * جعلتها للتي أخفيتُ عنوانا
كتب دِعْبُلُ الى بعض الأمراء :

جئتُكَ مستشفِعاً بلا سبب ^(٢) * اليك إلا بجرمة الأدب
فأَقِضْ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ * غير مُلِحٍّ عليك في الطلب

من يَعْتَمِدُ في الحاجة وَيُسْتَسْعَى فيها

روى هُشَيْمٌ عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مُضْعَبٍ ^(٣)
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اطْلُبُوا الحوائجَ الى حِسانِ الوجوه" ^(٤) .
وفي حديث آخر : "اعْتَمِدْ لحوائجك الصَّبَاحَ الوجوه ، فإن حسنَ الصورةِ أولُ
نعمَةٍ نلتَقاك من الرجل" .

قالت امرأةٌ من ولد حَسَّانَ بن ثابت :

سَلِ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قَدْماً وَلَا تَسَلِ * فَنِّي ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قَرِيبِ
ومن المشهور قولُ بعض المحدثين :

حَسُنْ ظَرْفٌ إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ اللهُ دَعَانِي فَلَا عَدِمْتَ الصَّلَاحَا *
ودعاني إِلَيْكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ إِذْ قَالَ مُفْصِحًا إِنْصَاحَا *
إِنْ أَرَدْتُمْ حَوَائِجًا عِنْدَ قَوْمٍ * فَتَنَقَّوْا لَهَا الوجوه الصَّبَاحَا

(١) سَنَحْتُ بكذا : عَرَضْتُ ولَحَنْتُ ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت في مادة « سَنَحَ »

ونسبه لسوار بن المضرب . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مسترفدا » .

(٣) كذا في تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « جعيفر » وهو تحريف . (٤) في الجامع الصغير :

« اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

وقال آخر :

إنا سألنا قومنا نخيرهم * من كان أفضلهم أبوه الأول
أعطى الذى أعطى أبوه قبله * وتخلت أبناء من يتخل
وقال خالد بن صفوان : فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها ، وأشد
من المصيبة سوء الخلف منها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال مسلم بن قتيبة : لا تطلبن حاجتك الى
كذاب فإنه يقربها وهي بعيد ويبعدها وهي قريب ، ولا الى أحمق فإنه يريد أن
ينفعك فيضرك ، ولا الى رجل له عند من تسأله الحاجة مأكلة ، فإنه لا يؤثرك على نفسه .
أنشدنا الرباشي لأبي عون :

ولست بسائل الأعراب شيئاً * حمدت الله إذ لم ياكلوني
وقال ميمون بن ميمون : لا تطلبن الى لثيم حاجة ، فإن طلبت فأجله حتى
يروض نفسه .

هارون بن معروف عن ضمرة عن عثمان بن عطاء ، قال : عطاء الحوائج عند
الشباب أسهل منها عند الشيوخ ؛ ثم قرأ قول يوسف : (لا تريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم) وقول يعقوب (سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) .
وقال بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عماراً ثم ثم
فتى لا يبيت على دمنسة * ولا يشرب الماء إلا يدم
يلد العطاء وسفك الدماء * فيغدو على نعم أو تقسم

(١) بعيد وقريب يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب
من المحسنين) . (٢) فى الأغاني (ج ٣ ص ٤٦ طبع بولاق) : * اذا دهنك عظام الأمور *

وقال أبو عباد الكاتب: لا تُنزل مُهمَّ حوائجك بالجدِّ اللسان، ولا المتسرَّع إلى الضَّمان، فإنَّ العجزَ مقصورٌ على المتسرَّع؛ ومن وعد ما يعجزُ عنه فقد ظلم نفسه وأساء إلى غيره؛ ومن وثق بجودة لسانه ظنَّ أنَّ في فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأنَّ وعده يقوم مقام إنجازهِ . وقال أيضا: عليك بذى الحَصْرِ البِكِّي^(١)، وبذى الحليم الرضِيّ، فإنَّ مثقالاً من شدَّة الحياء والحيّ، أنفعُ في الحاجة من قنطارٍ من لسانٍ سَلِيطٍ وعقيلٍ ذكيٍّ؛ وعليك بالشَّهم النَّدْبُ الذي إنَّ عجزَ أياك، وإنَّ قدرَ أطمعك.

قال بعضُ الشعراء:

لا تطلُبَنَّ إلى لئيم حاجة * وأقعدُ فإنك قائماً كاتماً

يا خادعَ البُخلَاءِ عن أموالهم * هيهاتَ! تضربُ في حديدٍ بارد

وقال آخر:

إذا الشافعُ استقصى لك الجُهدَ كلَّهُ * وإنَّ لم تتلَّ تُنجحاً فقد وجب الشُّكرُ

وقال آخر:

وإذا أمرؤُ أسدى إليك صانعةً^(٥) * مِن جاهه فكأنها مِن مالِه

ذكر أعرابي رجلاً، فقال: كان والله إذا نزلت به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها،

ولم تقعد به علَّاتُ النفوس .

قال الشاعر:

ما إنَّ مدحتُك إلا قلتَ تخدعني * ولا استمتكتُ إلا قلتَ مشغولُ

ابن عائشة قال: كان شبيبُ بن شيبَةَ رجلاً شريفاً يفرِّغُ إليه أهلُ البصرة

في حوائجهم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئاً ثم ركبَ، فقيل له:

٢٠ (١) البكى: القليل الكلام . (٢) الخيم: السجدة والطبيعة . (٣) التدب: الخفيف

في الحاجة . (٤) هو أبو تمام الطائي . (٥) كذا في ديوانه . وفي الأصل: «أهدى إلى» .

إنك تبارك الغداء! فقال: أجل! أطفئ به فورة جوعي، وأقطع به خُلوْف في، وأبلغ في قضاء حوائجي، نخذ من الطعام ما يذهبُ عنك النهم؛ ويُدأوي من الخوى .

قال بعضُ المحدثين :

لعمرك ما أخلقتُ وجهًا بذلته * إليك ولا عرضته للعابر
فنى وفرتُ أيدي المحامدِ عرضه * وختل^(٢) لديه ماله غيرَ وافرٍ

وقال آخر :

أنتك لا أدلي بقربي ولا يد * اليك سوى أتى بجودك واثق
فإن تولني عرفاً أكن لك شاكرًا * وإن قلت لي عذراً أقل أنت صادق
وقال رجلٌ لآخر في كلامه : أيدينا ممدودةٌ إليك بالرغبة، وأعناقنا خاضعةٌ لك بالذلة، وأبصارنا شاخصةٌ إليك بالشكر؛ فافعل في أمورنا حسبَ أمِلنا فيك، والسلام.

الإجابة الى الحاجة والرد عنها

قال رجل للعباس بن محمد : إني أنتيتك في حاجةٍ صغيرة؛ قال : أطلب لها رجلاً صغيراً . وهذا خلاف قول علي بن عبد الله بن العباس لرجل قال له : إني أنتيتك في حاجةٍ صغيرة، فقال له علي بن عبد الله : هاتها، إن الرجل لا يصغر عن كبير أخيه ولا يكبر عن صغيره .

قال رجل للأحنف : أنتيتك في حاجةٍ لا تنيك ولا ترزؤك^(٣)، قال : إذا لا تنقضي !
أمثلي يؤتى في حاجةٍ لا تنيك ولا ترزأ ! .

(١) الخلوْف : رائحة الفم . (٢) في العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :

* عليه وختل ماله غير وافر * (٣) لا تنيك : لا تنال منك، من نكى العدو نكابة :

أصاب منه . ولا ترزؤك : لا تصيب من مالك شيئاً . ٢٠

جاء قومٌ الى رجل يُكلمونه في حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبَةٌ، فقال لِرَقَبَةٍ : تضمَّنُونَهَا؟
فقال له رَقَبَةٌ : جئناكَ نطلبُ منكَ فضلَ التوسُّعِ فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمانِ .
أتى عمرو بن عُبيد حفص بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِهِ شيئاً إلا قال :
لا؛ فقال عمرو : أقولُ من قول : «لا» فإن «لا» ليست في الجنة .
• كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اذا سُئِلَ ما يَجِدُ أعطى، واذا سُئِلَ ما لا يَجِدُ
قال : "يصنع الله" .

قال عمرُ بن أبي ربيعة :

إن لي حاجةً اليكِ فقالت * بين أذني وعاتقي ما تُريدُ
أى قد تضمَّنْتُهُ لكِ فهو في عُنُقِي .

١٠ سأل رجلٌ قوماً؛ فقال له رجل منهم : اللهم هذا سائلنا ونحن سُؤْلُكَ، وأنت
بالمغفرة أجودُ منا بالعطاء؛ ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلاً حاجةً ؛ فقال : اذهبْ بِسلام؛ قال السائلُ : أنصفنا مَنْ
رَدَّنا في حوائجنا إلى الله عزَّ وجلَّ .

قال رجلٌ لثَمَامَةَ : إن لي اليك حاجةً؛ قال ثَمَامَةُ : ولى اليك حاجةٌ ؛ قال :

١٥ وما هي؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمَّنَ قضاءها؛ قال : قد فعلتُ؛ قال : حاجتي
ألا تسألني هذه الحاجة؛ قال : رجعتُ عما أعطيتُك؛ قال ثَمَامَةُ : لكنِّي لا أَرَدُ
ما أخذتُ .

قال الجاحظ : تمشي قومٌ الى الأصمعيّ مع رجلٍ اشترى منه ثمرةً نخله ، فناله
فيها خُسرانٌ وسأله حسنَ النظر له ؛ فقال الأصمعيّ : أَسَمِعْتُمُ بِالْقِسْمَةِ الضَّيْرِي ! هي^(١)

(١) القسمة الضيْرِي : الناقصة الجائرة .

ما تُريدون شيخكم عليه، اشترى متى على أن يكون الخسران على والربح له! اذهبوا
فأشترُوا لي طعامَ السَّوَادِ^(١) على هذا الوجه والشرط. ثم قال: ها هنا واحدة هي لكم
دوني، ولا بد من الاحتمال لكم اذ لم تحتملوا لي، هذا ما مشيتم معه إلا وأتم
توجبون حقه وتُحبون رِفْدَه، ولو كنتُ أوجبُ له مثل الذي توجبون لقد كنتُ
أغنيته عنكم، ولكن لا أعيرُفه ولا يضرتني بحق؛ فهلم فلتوزع هذا الخسران بيننا
بالسواء؛ فقاموا ولم يعودوا، وأيس التاجر فخرج له من حقه.

قال يزيد بن عُمير الأسيدي لبنيه: يا بني، تعلموا الرذ فإنه أشد من الإعطاء،
ولأن يعلم بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم أعظم له في أعينهم من أن يقسمها
فيهم، ولأن يقال لأحدكم: بخيل وهو غني خير له من أن يقال: سخي وهو فقير.
وقال إسحاق بن إبراهيم:

النصر يُقرئك السلام وإنا * أهدى السلام تعرضاً للطمع
فأقطع لبائسه بياس عاجل * وأرخ فؤادك من تقاضى الأضالع
ذكر ثمامة محمد بن الجهم فقال: لم يطعم أحدا قط في ماله إلا ليشغله بالطمع
فيه عن غيره، ولا شفع لصديق ولا تكلم في حاجة متحرِّم به، إلا ليُلَقِّنَ المسئول حجة
منع، وليفتح على السائل باب حرام.

كتب سهل بن هارون الى موسى بن عمران:
إن الضمير اذا سألتك حاجة * لأبي الهذيل خلاف ما أبدي^(٣)
فأمنعه رَوْحَ اليأس ثم أمدد له * حبَلَ الرجاء مُخْلِيف الوعد

(١) السواد: الريف. (٢) في الأصل: «عمر» والتصويب عن السمعاني.

(٣) هو أبو الهذيل العلاف أحد رموس المعتزلة، وكان يجَل، (انظر البغلاء ج ٦٩، ١٤٧، ١٤٨ طبع أوروبا)

وَالرَّبُّ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسَنَ ظَنَّهُ * فِي غَيْرِ مَنَفْعَةٍ وَلَا رِفْدٍ
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ * وَعَنَاءُهُ فَاجِبُهُ بِالرَّدِّ

قِيلَ لِحُبِّي الْمَدِينِيَّةِ : مَا الْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدِمُ ؟ قَالَتْ : حَاجَةُ الْكَرِيمِ إِلَى اللَّئِيمِ
ثُمَّ يَرُدُّهُ . قِيلَ لَهَا : فَمَا الذَّلُّ ؟ قَالَتْ : وَقُوفُ الشَّرِيفِ بِيَابِ الدُّنْيَا ثُمَّ لَا يُؤْذَنَ
لَهُ . قِيلَ : فَمَا الشَّرَفُ ؟ قَالَتْ : اعْتِقَادُ الْمَنِّ فِي رِقَابِ الرِّجَالِ .

قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا سَأَلَنِي قَطُّ أَحَدٌ حَاجَةً فَرَدَدْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُ الْغَنَى فِي قَمَاهُ .
رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَعْلَمْتُ أَنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ ، وَأَنَّ الْيَأْسَ غِنًى ، وَأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا يَأْسَ مِنْ شَيْءٍ أَسْتَفْنَى عَنْهُ .
وَقَالَ آخَرُ فِي كَلَامِهِ لَهُ : كُلُّ مَمْنُوعٍ مُسْتَفْنَى عَنْهُ بغيره ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَا عَنْدهُ فَنِيَ
الْأَرْضَ غِنًى عَنْهُ .

وَقَدْ قِيلَ : أَرْخَصَ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ عِنْدَ غَلَاثِهِ .
وَقَالَ بَشَارٌ : * وَالْدَّرُّ يُتْرَكُ مِنْ غَلَاثِهِ *

قَالَ شُرَيْحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّقِّ ، فَإِنْ قَضَاهَا الْمَسْئُولُ
أَسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ رَدَّهَا عَنْهَا رَجَعَ حُرًّا وَهِيَ ذَلِيلَانِ : هَذَا بِذَلِّ الْبَخْلِ ، وَهَذَا بِذَلِّ الرَّدِّ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ سَأَلَكَ لَمْ يُكْرَمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، فَافْكُرْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُدُّ ذَا حَاجَةٍ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ .
وَقَالَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ
أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا فَاصُونَهُ ، أَوْ لَيْثِيًا فَاصُونُ مِنْهُ نَفْسِي .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ سَأَلَ حَاجَةً فُرِّدَتْ عَنْهَا :

مَا يَمْنَعُ النَّاسَ شَيْئًا كُنْتُ أَطْلُبُهُ * إِلَّا أَرَى اللَّهَ يَكْفِي فَقَدْ مَا مَنَعُوا

أتى رجلُ الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن : إن المسألة لا تصلحُ إلا في غريمٍ فادحٍ أو فقيرٍ مُدقعٍ أو حَمالةٍ مُفِطعةٍ ؛ فقال الرجل : ما جئتُ إلا في إحداهنَّ ، فأمر له بمائة دينار . ثم أتى الرجلُ الحسين بن علي رضي الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فردَّ عليه كما ردَّ علي الحسن ؛ فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار ، فنقصه ديناراً . كره أن يساوي أخاه . ثم أتى الرجلُ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةً دينارين ولم يسأله عن شيء ؛ فقال الرجل له : إني أتيتُ الحسنَ والحسينَ ، واقتصَّ كلامهما عليهما وفعلهما به ؛ فقال عبدُ الله : ويحك ! وأني تجعلني مثلهما ! إنهما غرَّا العلمَ غرَّاً المسالَ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جاء شيخٌ من بني عقيل إلى عمر بن هُبيرة ، فتَّ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئاً ؛ فعاد إليه بعد أيام فقال : أنا العَقيلي الذي سألك منذ أيام ؛ فقال عمر : وأنا الفَرَّاري الذي منعك منذ أيام ؛ فقال : معذرة إلى الله ! إني سألتك وأنا أظنك يزيد بن هُبيرة المحاربي ؛ فقال : ذاك الأثم لك ، وأهونُ بك علي ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسِي اسقَعْ بيده .
أتى عبد الله بن الزبير أعرابي يسأله ، فشكا إليه نقبَ ناقته وأستحمله ؛ فقال له ابنُ الزبير : اِرْقِعْها بِسِدَّتِ وأَخْصِفْها بِهَلَبٍ وأفعل وأفعل ... ؛ فقال الأعرابي : إني أتيتك مُستوصلاً ولم آتِكَ مُستوصفاً ، فلا حملتْ ناقَةً حملتني إليك ! فقال : إن وصاحبها .

(١) في الأصل : « وأمر ... » . (٢) غرَّا العلم : ألقاه ، يقال : غرَّ الطائر فرخه إذا زقه ، ومنه حديث معاوية : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يفرّ علياً بالعلم » . (٣) سفع بناصيته أو بيده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالي الأسدي كما في الأغاني ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) النقب : رقة وتنقب في خف البعير . (٦) استحمله : حمله حواج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذى منه النعال السبئية . والخصف : أن يظاهر الجلودين بعضهما إلى بعض ويحزهما ولذلك قيل للغرز : الخصف . والهلب (بالضم) : شعر الخنزير الذي يحز به . (٨) إن بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائباً ولم يظفر بحاجته : « جاء على غيرِ الظهر^(١) » .
وتقول هي والعوام : « جاء بخفي حنين » و « جاء على حاجبه صوفة » .
وقال أبو عطاء السَّدي في عمر بن هبيرة :

ثلاثٌ حُكُنَّ لقرم قيس^(٢) * طلبتُ بها الأخوةَ والثناءَ

رجعتُ على حواجهن صوف * فعند الله احتسبُ الجزاءَ

والأصل في قولهم : « جاء بخفي حنين » أن إسكافاً من أهل الحيرة ساومه أعرابيٌ بخفين، فأختلفا حتى أغضبه ، فأزداد غيظ الأعرابي ؛ فلما آرتحل أخذ حنينٌ أحد خفيه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخر في موضع آخر ؛ فلما مرَّ الأعرابي بأحدهما قال : ما أشبهَ هذا بخفي حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذه ، ومضى ؛ فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول ، وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول ، وقد كُنَّ له حنينٌ فعمد إلى راحلته وما عليها فذهب به ؛ وأقبل الأعرابي ليس معه غير الخفين ؛ فقال له قومه : ما الذي أتيت به ؟ قال : بخفي حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قُضيت حاجته قيل : « جاء ثانياً من عِنايه » . فإن جاء ولمَّا تُقَضَّ حاجته وقد أُصيب ببعض ما معه ، قالوا : « ذهب يبتغي قرناً فلم يرجع بأذنين » . يقول بشار :

فكنْتُ كالعيرِ غداً يبتغي * قرناً فلم يرجع بأذنين^(٤)

(١) غير الظهر : الأرض ، تصغير الغبراء . ويروي : جاء على ظهر الغبراء ، أي جاء لا يصاحبه غير أرضه التي يجي . ويذهب فيها . (انظر ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه ، النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا في الشعر والشعراء للزلف والقرم من الرجال السيد العظيم وفي الأصل : « لقرم » . (٣) في الأصل : « فلما جاء ... » وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرناً فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عتبة بن سلم دعا بشارا وحماة بن محمد وأعشى باهلة ، وطلب إليهم أن يضمنوا هذا المثل في شعر ، وعين لمخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمته بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابيُّ قوماً، فقيل له : بُورك فيك ! فقال : وكلّكم الله الى دعوة لا تحضرها نية .

أرسل الوليد خيلاً في حلبة^(١)، فأرسل أعرابيُّ فرساً له فسبقت الخيل، فقال له الوليد : آحملي عليها، فقال : إن لها حرمةً، ولكنني أحملك على مهرها سبق الخيل عام أول وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يشغله شأنه عن الحاجة يسألهما : «شغل الحلى أهله أن يعاراً» ينصب الحلى، ويعار : من العارية . فأما قولهم : «أحق الخيل بالركض المعار»^(٢)، فإن المعار : المتشوف الذنب وهو المهلّوب؛ يريدون أنه أخف من الذيل الذنب^(٣)، يقال : أعرتُ الفرس إذا نتفته .

وتقول العرب لمن سُئل وهو لا يقدر فرد : «يتي يحلّ لا أنا» ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يعطى .

ووعد رجلٌ رجلاً فلم يقدر على الوفاء بما وعده، فقال له : كذبتني، قال : لا، ولكن كذبتك مالى .

وتقول العرب فيمن اعتذر بالمنع بالعدم وعنده ما سُئل : «أبى الحقيّن العذرة»^(٤) . قال أبو زيد : وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقام لبناً، وعندهم لبنٌ قد حَقْنوه في وطْبٍ، فاعتذروا أنه لا لبن عندهم، فقال : «أبى الحقيّن العذرة» . ويقال : «العذرة طَرَفُ البخل» .

(١) في الأصل : «من حلبة» . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرت به هذه الكلمة . وقيل : المعار : المسمن، يقال : أعرت الفرس إذا مسمته، وقيل : المعار : المضمر، من عار الفرس إذا أخذ يذهب ويحيى، مرحاً ونشاطاً، فالمعار : ما ردد الذهاب به والحجى حتى ضمير، ويروى : المعار — بكسر الميم — وهو الفرس الذي يحيد براكه عن الطريق، وكذلك يروى : المعار — بالعين المعجمة — أى المضمر من أعرت الحبل إذا قلته . (٣) الذيل الذنب : الطويلة . (٤) الحقيّن : اللبّ المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائي يذكر المَطل :

وكان المَطلُ في بدءٍ وعَوْدٍ * دُخَانًا للصَّنِيعَةِ وهي نارُ
نسيبُ البخلِ مذكَانًا وإن لم * يَكُنْ نَسْبٌ فبينهما جِوَارُ
لذلك قيل بعضُ المنعِ أدنى * إلى جُودٍ وبعضُ الجودِ عارُ
قال إسماعيل القراطيسي في الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ في مدحِكَ ما أخطأتُ في منعي ^(٢) *
لقد أحلتُ حاجاتي * بؤادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ

غزا المُنذِرُ بنَ الزَّيْبَرِ [في] البحرِ ومعه ثلاثون رجلاً من بني أسد بن عبد العزى ؛
فقال له حكيم بن حزام : يابن أخى ، إني قد جعلتُ طائفةً من مالى لله عزّ وجلّ ،
وإني قد صنعتُ أمراً ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يردّه على أحدٍ منكم ؛ فقال
المُنذِرُ : لاها الله إذاً ، بل نأخذ ما تُعطى ، فإن نَحْتَجَّ إليه نَسْتَعِينُ به ولا نكره أن
يأُجرَك الله ، وإن نَسْتَعِينُ عنه نُعطيه من يأجرنا الله فيه كما أجزأك .

سأل أعرابي رجلاً يقال له : الغمر فأعطاه درهماً ، فردّهما وقال :

جعلتُ لغمرٍ درهماً ولم يكن * ليُغْنِي عَنِّي ففقدتُ درهماً غمراً
وقلتُ لغمرٍ خذهما فأصطِرِفهما * سرّيعين في نقضِ المُرُوءَةِ والأجرِ
أتمنعُ سُؤالَ العشيرةِ بعد ما * تَسْمِيَتُ غمراً وآ كَتَنِيَتَ أبا بحرٍ

• (١) نسبهما ابن حجة في خزانته ص ٥٤٠ طبع بولاق لابن الرومي . وذكر صاحب معاهد التنصيص
في الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومي ولكنه قال : ورأيت في الأغاني نسبتهما
إلى إسماعيل القراطيسي . وقد ذكرنا في ترجمته في الأغاني ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرنا في ديوان
ابن الرومي . (٢) فيه الكف وهو حذف السابغ الساكن « والكف حسن في هذا البحر وهو
الخرج . وفي الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « في مدحيك » وبهذه الرواية لا كف فيه .
(٣) أى لا يردّه عليك أحد والله إذا ، فكلمة « ها » هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف
همزة الوصل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع في حاجة له زماناً فلم يقضها له ،
فكتب :

أكل طُولَ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُكَ في حاجةٍ تقولُ غداً !
لا جعلَ اللهُ لي اليك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبداً !

وقال آخر :

إن كنتَ لم تتوفياً قلتَ لي صِلَةً * فإِنتفاعُكَ من حَبْسِي وترديدي
فالمَنعُ أَجملُهُ ما كانَ أَجملَهُ * والمَطْلُ من غيرِ عُسرِ آفةِ الجودِ
وقال آخر :

بسطتَ لسانِي ثم أوثقتَ نصفَهُ * فنِصفُ لسانِي في أمتدادِكَ مُطلقُ
فإن أنتَ لم تُخزِ عِدائِي تركتَنِي * وبقى لسانِ الشكرِ باليأسِ مُوثقُ
وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غيرِ فَعِيلٍ * لَيْتَ جُودَ اللسانِ في راحَتِكَ

المواعيدُ وَتَجَزُّها

ذكر جبار بن سلمى ^(١) عامر بن الطفيل فقال : كان والله اذا وعد الخير وفى ،
واذا أوعد بالشر أخلف وعفا .

وأشدُّ أبو عمرو بن العلاء في مثل هذا المعنى :
ولا يَرَهْبُ ابنُ العَمِّ ما عشتُ صَوْلِي * ويأْمَنُ مَنى صَوْلَةِ المَتَدِّدِ
وإِنِّي إِنِّ أوعدتهُ أو وعدتهُ * ليَكْذِبُ إيعادِي وَيَصْدُقُ موعِدِي

(١) في الإجابة : « بضم السين وقيل بفتحها » .

وكان يقال : وَعَدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَعَدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ .

وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي (أبو الفضل والعباس الرقاشيين
البغداديين) لخالد بن ديسم عامل الرّي :
أخالد إن الرّي قد أجمفت بنا * وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما صحابه * أضاء لنا برق وكف رشاشها
فلا غيمها يصحوق فيؤيس طامع * ولا ماؤها يأتي فتروى عطاشها
وقال رجل في الحجاج :

كأن فؤادي بين أظفار طائر * من الخوف في جوف السماء محلق
حذار أمرئ قد كنت أعلم أنه * متى ما يعد من نفسه الشر يصدق

قال عمرو بن الحارث : كنت متى شئت أجد من يعد ويخجز ، فقد أعياني
من يعد ولا يخجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون ، فقد صاروا يقولون ويفعلون ،
ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :

وعديني ثم لم توفي بموعدي * فكنت كالزمن لم يبطر وقد رعدا
هذا مثل قول العرب لمن يعد ولا يفي : « برق حطب » .

وقال آخر :

قد بلوناك بحمد الله إن أغنى البلاء *
فإذا جُل مواعيد * ليك والمجد سوء

وقال آخر :

لما كل عام موعدا غير ناجز * ووقت اذا مارأس حول تجرما^(١)
فإن أوعدت شرا أتى دون وقته * وإن وعدت خيرا أراث وأعتما^(٢)

(١) تجزم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتما كلاهما بمعنى أبطل .

وعد عبد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوجه أخته ؛ فلما كان عند موته أرسل اليه فزوجه إياها ، وقال : كَرِهْتُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِثُلُثِ آتِفَاقٍ .
وقال الطائي :

تَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ * خُلُقًا وَتُحْزِنُ إِنْجَازَ الَّذِي حَلَفًا
وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيه إسماعيل صلى الله عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشار يمدح :

إِذَا قَالَ تَمَّ عَلَى قَوْلِهِ * وَمَاتَ الْعَنَاءُ بِلَا أَوْ نَعَمْ
وبعض الرجال يَمُوعُودُهُ * قَرِيبٌ وَبِالْفِعْلِ تَحْتَ الرَّجَمِ
بِكَارِي السَّرَابِ تَرَى لَمْعَهُ * وَلَسْتَ بِوَاكِدِهِ عِنْدَ كَرَمِ
وقال العباس بن الأحنف :

مَاضِرٌ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ يَبْخُلُهُ * لَوْ كَانَ عَلَّانِي بِوَعْدِهِ كَاذِبٌ

وقال آخر :

عَسَى مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ نَعَمْ أَلْفَ مَرَّةٍ * مِنْ آخَرِ غَالِ الصَّدَقِ مِنْهُ غَوَائِلُهُ
وقال نَصِيبٌ :

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ أَبْنُ لَيْلَى * وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ

وقال زياد الأعجم :

لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ فَتَى * لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ

لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجُحَا * دِحْبَدًا صِدْقُ الْبَخِيلِ

(١) الرحم (التحريك) : القبر والحجارة التي توضع عليه ، وبضمين أو بضم ففتح : الحجارة التي توضع على القبر ، يريد أنه في تحقيق وعده كالميت .

والعرب تضرب المثل في الخلف بعُرقوب . قال ابن الكلبي عن أبيه : كان عُرقوب رجلاً من المالقي ، فأتاه أخ له فسأله شيئاً ، فقال له عُرقوب : إذا أطلع نخلي . فلما أطلع أناه ، قال : إذا أبلح . فلما أبلح أناه ، فقال : إذا أزهى . فلما أزهى أناه ، قال : إذا أرطب . فلما أرطب أناه ، قال : إذا صار تمرًا . فلما صار تمرًا جدّه من الليل ولم يعط أخاه شيئاً .

قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً * وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وقال الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عُرقوب أخاه يترّب^(٣)

هكذا قرأته على البصريين في كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقول يوماً لطالب حاجة * نعم ، أقضها قُدمًا وذلك من شكلي
وإن قلت لا ، بيتها من مكانها * ولم أؤذِه منها يجر ولا مطيل
وللبخلة الأولى أقل ملامة * من الجود بدءًا ثم يتبع بالبخل

وقال أبو نؤاس لامرأة :

أنضيت أحرف لا مما لمجت بها * فحولي رحلها عنها الى نعم
أو حوليها الى «لا» فهي تعدلها^(٤) * إن كنت حاولت في ذا قلة الكلم
قسّم علينا فعارضنا قياسكم * يا من تناهى اليه غاية الكرم

(١) أطلع النخل : خرج طلمه . (٢) أزهى : تلون تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترّب

بالتاء لمنانة : موضع قريب من الإمامة . (٤) كذا في الأصول ، وفي ديوانه «أر حولوها اليها فهي تعدلها» .
والظاهر أنه يريد أن يقول : أر حولوها الى «ها» التي بمعنى «خذ» فكنت موصولة ليدل ظاهرها على غير
باطنها ، و«ها» تعدل «لا» في قياسها لفظاً . وبين ما في الأصل وما في الديوان تغيير طفيف في هذه الأبيات .

وفي هذا معنى لطيف .

كتب رجل الى صديق له : قد أفردتك برجائي بعد الله ، وتعمّلت راحة اليأس من يهود بالوعد ويضمن بالإنجاز ، ويحسد أن يفضل ، ويזהد أن يفضل ، ويعيب الكذب ولا يصدق .

وقال آخر :

وذى ثقة تبدّل حين أترى * ومن شيمى مراقبة الثقات
فقلت له عتبت على إثمها * فراراً من مؤونات العدايات
فعد لمودتي وعلى نذر^(١) * سألتك حاجة حتى الممات

وقال آخر في أصحاب النبذ :

مواعيدهم ربح لمن يعدونه * بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا

وقال مسلم :

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً * وكفك بالمعروف أضيق من قفل
ثمى الذى يأتيك حتى اذا انتهى * الى أجل ناولته طرف الجبل
وسال خلف بن خليفة أبان بن الوليد أن يهب له جارية ، فوعده وأبطأ عليه ،

فكتب اليه :

أرى حاجتي عند الأمير كأنما * تهّم زماناً عنده بمقام
وأخضر من إذكاره إن لقيته * وصدق الحياء ملجئ بلجام
أراها اذا كان النهار تسيئة * وبالليل تقضى عند كل منام
فيارب أخرجها فإنك تخرج * من المبيت حياً مفصّحاً بكلام

(١) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فَعَلَمَ مَا شُكِرِي إِذَا مَا قَضَيْتَهَا ^(١) * وَكَيْفَ صَلَاتِي عِنْدَهَا وَصِيَامِي
وَلَمَّا حَاجَتِي مِنْ بَعْدِ هَذَا تَأْتُرْتُ * خَشِيتُ لِمَا بِي أَنْ أَزُورَ غُلَامِي
وَالْعَرَبُ يَقُولُ : «أَنْجَزُ حُرْمًا وَعَدَّ» .

وقال أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جُدعان :

أَ أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنِّ شَيْمَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَتَيْتُكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

وقال الطائي :

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ * تَقَاضَيْتُهُ بَتَرَكَ التَّقَاضِي
وقال الزهري : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أَوْرَقَ بوعيدٍ، أَنْ يُفْرَغَ بَعْدَهُ .

وقال المُنِيرُ : مَنْ أَنْجَزَ حَاجَةَ رَجُلٍ فَقَدْ تَضَمَّنَ قَضَاءَهَا .

وقال الشاعر :

كَفَاكَ مَدَّكَرًا وَجْهِي بِأَمْرِي * وَحَسْبِي أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي
وَكَيْفَ أَحْتَمِنَ مِنْ يُعْتَقَى بَشَانِي * وَيَعْرِفُ حَاجَتِي وَيَرَى مَكَانِي

وقال الشاعر :

يَا صَاحِبَ قُلُوبٍ فِي حَاجَتِي * أَذْكَرْتُهَا فِيمَا ذَكَرْتَنَا
إِنَّ السَّرَاحَ مِنَ النِّجَا ^(٣) * إِذَا شَقِيتُ ^(٤) بِمَا طَلَبْتَا

(١) في الشعر والشعراء (ص ٤٤٩ طبعه أذربا) : «قبضتها» ، وورد فيه بعد ذكر الأبيات :
«فضحك أبان وبعث إليه بجارية» . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق)
وفي الأصل : «خصه من أزهر الخ...» وظاهر أنه تحريف . (٣) قال في اللسان مادة
(مرح) : «وفي المثل : السراح من النجاة ، أى إذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فأيسه ، فإن ذلك عنده
بمنزلة الإسعاف» . وقال الميداني بعد ذكر هذا المثل : «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة ، أى ينبغي أن
تؤيسه منها إذا لم تقض حاجته» . (٤) في الأصل : «شفيت» بالقاء .

وقال آخر :

فِي تَصَدِّيكَ لِلطَّالِبِ إِذْكَ * رُبَّوَعْدٍ جَرَى بِهِ الْمِقْدَارُ
وَكُتِبَ بِمَعْضِ الْكِتَابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : إِنْ مِنْ الْعَجَبِ إِذْكَ أَرَمَعْنِي ، وَحَثَّ
مُتَبَقِّظًا ، وَأَسْتَبْطَاءَ ذَاكِرٍ ؛ إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ ، حَلَّ بِذَلِكَ
مِنْهَا أَوْ عَقَلَ . وَكَتَابِي تَذِكْرَةٌ وَالسَّلَامُ .

وقال الطَّيْرِمَاحُ :

أَلْحُسَيْنَ مَسْتَرْزِلِي تُؤْخَّرُ حَاجَتِي * أَمْ لَيْسَ عِنْدَكَ لِي بِخَيْرٍ مَطْمَعُ
وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ لِمُخَلَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :
أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَأَقِضْهَا * وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ
وَلَا تَكَلَّنَا إِلَى مَعْشَرٍ * مَتَى يَعِيدُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

حَوَائِجُ النَّاسِ كُلُّهَا قُضِيَتْ * وَحَاجَتِي لَا أَرَاكَ تَقْضِيهَا
أَنَاقَةً^(١) اللَّهُ حَاجَتِي عُقِرَتْ * أَمْ تَبَتْ^(٢) الْحُرْفُ فِي نَوَاحِيهَا
وَقَالَ جَرِيرٌ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَذْكُرُ الضَّرَّ وَالْبَلَوَى الَّتِي نَزَلَتْ * أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بُلَّغْتَ مِنْ خَبَرِي

وقال آخر :

أَرْوَحُ لَتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَسِدِي * وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مَتَى تَقَاضِيَا
كَفَى بِطَلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ * عَنَاءٌ وَبِالْيَاسِ الْمَصْرَحِ نَاهِيَا^(٣)

(١) يعني بِنَاقَةِ اللَّهِ هُنَا نَاقَةُ صَالِحٍ الَّتِي عَقَرَهَا ثَمُودُ . (٢) الحُرْفُ : حُبُّ الرِّشَادِ أَوْ الْخُرْدُلِ .
وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ : أَمْ أَهَمَّتْ ، فَكُنِيَ بِنَاتِ الْحُرْفِ فِي نَوَاحِيهَا عَنِ الْإِهْمَالِ ، كَمَا يَهْمِلُ كَرِيمُ النَّبَاتِ فَيَنْبِتُ حَوْلَهُ
أَرْدَلَهُ . (٣) الْيَاسُ الْمَصْرَحُ : الْخَالِصُ الَّذِي لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَعَهُ أَمَلٌ فِي شَيْءٍ ، يُقَالُ : صَرَحَ الشَّيْءُ ،
تَصْرِيحًا إِذَا صَارَ خَالِصًا .

وقال آخر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما * تُنَجِّحُ الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا اليك وإنما * يُدْعَى الطبيب لكثرة الأوصاب^(١)

كتب بعض الكتاب الى بعض السلطان : أنا أتزهك عن التجمُّل لي
بوعدي يطول به المدي ويعتزله الوفاء، وأحب أن يتقرر عندك أن أملي فيك أبعد من
أن أختلس الأمور منك آخلاس من يرى في عاجلك عوضاً من آجلك، وفي الراهن
من يومك بدلا من المأمول في غدك، وألا تكون منزلتي في نفسك منزلة من يُصرف^(٢)
الطرف عنه وتُسكَّره النفس عليه ويتكأف ما فوق العفوله، وأن تختار بين العذر
والشكر؛ فالله يعلم أن أثر الحظين عندى أحقهما عليك، وأصوبهما لحالي عندك .

- وفي كتاب : ذو الحرمة مَلُومٌ على قَرِطِ الدَّالَّةِ، كما أن المتحرِّم به مذمومٌ على
التناسي والإزالة . ومن مذهبي الوقوف بنفسى دون الغاية التي يُقَدِّمُ إليها حق،
لأمرين : أحدهما ألا أرضى بدون الحق أزيد في الحق . والثاني أن أرى النفيس
من الحظ زهيدا إذا أتى من جهة الإرهاق . ولي ذمام المودة الصادقة التي كل حُرمة
تَبَعُ لها، وحق الشكر الذي جعله الله وفاءً بالنعم وإن جَلَّ قدرها؛ وأنت مُرَاعِي
المعالي وحافظُ بقية الكرم؛ فأى سبيل للعذر، بل أى موضع للإكداء بين حُرمتي^(٣)
ورعايتك، وذِمَّامِي وكرمك !

قال أحمد بن يوسف : أوَّلُ المعروف مُسْتَخَفٌّ، وآخره مُسْتَنْقَلٌ؛ يكاد
أَوَّلُهُ يكون للهوى دون الرأى، وآخره للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : رب
الصَّنِيعَةِ أَشَدُّ مِنْ آبَتِهَا .

٢٠ (١) في الأصل : « اليه » وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) في الأصل : « يختار » بالياء .
المثناة من تحت . (٣) رب الصنعة رباً : تعهدا ونماها .

قال أبو عطاء السَّندى في يزيد بن عمر [بن هُبيرة] :

ثَلَاثٌ حُكْمُنَّ لِقَوْمٍ قَيْسٍ * رَجَعْنَ إِلَى صِفْرٍ خَائِبَاتٍ^(١)
أَقَامَ عَلَى الْفَرَاتِ يَزِيدُ شَهْرًا * فَقَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْفَرَاتُ^(٢)
فِيَا عَجَبًا لِبَحْرِ فَاظٍ يَسْقِي * جَمِيعَ النَّاسِ لَمْ يَتَلَّ لَهَا قِي^(٣)

حال المستول عند السؤال

قال الشاعر^(٤) :

سَأَلَنَاهُ الْحَزِيلَ فَمَا تَلَكَّا * وَأَعْطَى فَوْقَ مُنْتَبِنَا وَزَادَا^(٥)
مِرَارًا مَا أَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا * تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثَنَى الْوَسَادَا^(٦)

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بَدَارَهُمْ * تَرَكَوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانٍ^(٧)
وَإِذَا دَعَوْهُمْ لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لَا يَنْقُرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ * لِتَلْمِيسِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ
بَلْ يَسْطُونَ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا * عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وقال آخر :

يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَالْبَرَّ ذُنُورًا * وَيَعُدُّ الْحَمْدَ خَيْرَ التِّجَارَةِ

(١) يعني ثلاث قصائد . (٢) كذا في الشعر والشعراء للؤلؤ . وفي الأصل : « لقوم » .

(٣) في هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروي ، وقد تقدم هذا الشعر قريباً برواية أخرى يمدح

به أباه في ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : الهمة المشرقة على الحق في أقصى سقف

القم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) في الأغاني (ج) ١٤ ص ١٠٢

طبع بولاق « تاتى » . (٧) في الأغاني : « ما دنوت » . (٨) كذا في العقد الفريد .

والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعر الذى يحيط برجله ويده الأرض ولا يرغب ، وفي الأصل :

« صياهل » ولم نجد في كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جتته تَجْتَدِيهِ * خَلَّتْهُ بَشْرَتُهُ بِشَارَهُ
فترى في الطَّرْفِ مِنْهُ حَيَاءً * وترى في الوجه مِنْهُ آسِتَارَهُ

وقال آخر:

إذا غدا المهديُّ في جنده * أوراخ في آل الرسول الغضابُ
بدا لك المعروف في وجهه * كالضوء يجرى في ثنایا الكعاب^(١)

وأشدني العنبي:

له في دُرَى المعروف نُعمى كأنها * مواقع ماءِ المزن في البلد القفر
إذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيحُ الطلاقِ والبشر

والمشهور في هذا قول زهير:

تراه إذا ما جتته مُتَهَلِّلًا * كأنك تُعْطِيهِ الذي أنت سائِلُهُ

وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعْطِهِ] شيئا؛ فقال:

كَدَحْتُ بِأُظْفَارِي وَأَتَمَلْتُ مِعْوَلِي * فصَادَقْتُ جُؤْمُودًا مِنَ الصَّخْرِ أَمْلَسَا
تَسَاوَلْتُ لَمَّا جِئْتُ فِي وَجْهِ حَاجَتِي * وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلْتُ قَدَمَاتِ أَوْعَسِي
وَأَجَمَعْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حِينَ رَأَيْتُهُ * يَفُوقُ فُوقَ [الموت] ^(٢) ثُمَّ تَنَفَّسَا
فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ ، لَسْتُ بِعَائِدٍ ^(٣) * فَأَفْرَحُ ^(٤) تَعْلُوهُ الْعُكَّابَةُ مُبْلِسَا

وقال مسلم:

أَطْرَقَ لَمَّا أَتَيْتُ مُتَسِدِحًا * فلم يَقُلْ "لا"، فضلا على "نعم"

(١) الكعاب: جمع كعب، والكعب: الجارية الناهد. والثنایا: أربع أسنان في مقدم

الفم: ثنان في الفك الأعلى وثنان في الأسفل. (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن.

(٣) العائد: المتنجس. وفي الأصل: «بعائد» بالبدال المهملة. (٤) فأفرح: ذهب روعه،

وفي الأصل: «فأفرح» بالجم. ومبلسا: حزينا مفكرا.

نَخَفْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ أَقَادَ بِهِ * فَقَمْتُ أَبْنَى النَّجَاءِ مِنْ أُمِّ^(١)
لَوْ أَنَّ كَثَرَ الْبِلَادِ فِي يَدِهِ * لَمْ يَدْعِ الْإِعْتِلَالَ بِالْعَدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِيُّ :

فَلَمَّا أَنْ أَتَيْنَاهُ وَقَلْنَا * بِحَاجَتِنَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرِسَ^(٢)
وَأَصَّ بِكَفِهِ يَحْتَكُ ضَرْمًا * يُرِينَا أَنَّهُ وَجَعٌ يَضْرِسُ^(٣)
فَقَلْتُ لَصَاحِبِي أَبَاهُ كِرَازُ^(٤) * وَقَلْتُ أُسْرُهُ أَتْرَاهُ يُمْسِي
وَقَنَا هَارِيْنٌ مَعًا جَمِيعًا * تُحَازِرُ أَنْ تُزْنَ^(٥) بِقَتْلِ نَفْسِ

قال الأصمعي :

دخل أعرابي على المساور الضبي وهو بُذَارُ الرَّيِّ ، فسأله فلم يُعِطْهُ شَيْئًا ،

فانشأ يقول :

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَةٍ * فَمَا زَالَ يَسْعُلُ حَتَّى ضَرَطُ^(٦)
وَحَكَّ قَفَاهُ بِكَرْسُوْعِهِ * وَمَسَّحَ عُثْنُونَهُ وَأَمْتَحَطُ^(٧)
فَأَمْسَكْتُ عَنْ حَاجَتِي خِيفَةً * لِأُخْرَى تُقَطِّعُ شَرْجَ السَّقَطِ^(٨)
فَأَقْسِمُ لَوْ عُدْتُ فِي حَاجَتِي * لِلطَّخِخِ بِالسَّلَاحِ وَشَى النَّمَطِ^(٩)
وَقَالَ غَلِطْنَا حِسَابَ الْخِرَاجِ * فَقَلْتُ مِنَ الضَّرْطِ جَاءَ الْغَلَطُ^(١٠)

قال : فكان العاملُ كلما ركب صاحبه الصبيانُ : « من الضرط جاء الغلط »

فهرب من غير عزل الى بلاد أصمهان .

- (١) من أم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) آص :
صار وعاد . (٤) الكراز : داء يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) زن : تهم .
(٦) البندار : الحافظ . (٧) الكر سوع : طرف الزند الذي يلي الخنصر . (٨) الشرج
ياتحريك : العرى ، وسكن للضرورة . والسفط : وعاء كالقفة ، وشرح السفط هنا كناية عن الأمت .
(٩) السلق : النجوم . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهار بن تَوْسَعَةَ في قُتَيْبَةَ بن مسلم :

كَانَتْ تُحْرَسَانُ أَرْضًا إِذْ يَزِيدُ بِهَا * وَكُلُّ بَابٍ مِنَ الْخِيَرَاتِ مَفْتُوحُ
فَبَدَّلْتُ بَعْدَهُ قِرْدًا نُطِيفُ بِهِ * كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْحَلِّ مَنْصُوحُ

وقال جرير^(١):

يَزِيدُ يُغْضِ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا * زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَى الْحَاجِمِ^(٢)
فَلَا يَنْهَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَنْزَوَى * وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

وقال آخر :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خِلَاقِهِ * فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي^(٣) عن الأعمش قال قال محمد بن واسع :

إنك لتعرف بفور الفاجر في وجهه .

قال أبو العتاهية :

مَالِي أَرَى النَّاسَ قَدْ أَبْرَقُوا * بَلُؤْمِ الْفِعَالِ وَقَدْ أَرْعَدُوا^(٤)
إِذَا جِثَّتْ أَفْضَلُهُمْ لِلْسَّلَا * مِ رَدٍّ وَأَحْشَاءُهُ تُرْعَدُ
كَأَنَّكَ، مِنْ خَشْيَةِ السُّؤَا * لَ، فِي عَيْنِهِ الْحَيَّةُ الْأَسْوَدُ^(٥)

- ١٥ (١) نسب المبرد في الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوربا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيباني ، وورد في الأغاني في ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادة « زوى » ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الجمام . (٣) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا « الأعمش » بالياء المثناة من تحت ، ولم نثر في الرواة على من نسي هذا الاسم . وقد ورد في تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأعمش ، فلهذا محرف عنه . (٤) دخل هذا البيت النظم وهو حذف الحرف الأول من « فصول » وفي هذه الحالة يسمى « أنثم » . وقد ورد في ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... الخ .
- ٢٠ (٥) كذا في ديوانه ، وفي الأصل : « الأسد الأسود » .

وقال آخر:

إذا ما التزق أحجم عن كريم * فالجأه الزمان إلى زياد
تلقاه بوجهه مكفور * كأن عليه أرزاق العباد

وقال آخر:

ولى خليل ما مسنى عدم * مذ نظرت عينه الى عدى
بشرى بالننى تهله * وقبل هذا تهلل الخدم
ويحنه الزايرين بينة * تعرف قبل اللقاء فى الحشم

العادة من المعروف تُقطع

كان يقال : ارتاع العادة ذنب محسوب .

وقال أبو الأسود [الدولى] :

ليت شعري عن أميرى ما الذى * غاله فى الود حتى ودعه^(١)
لا تهنى بعد إذ أكرمته * وشديد عادة منترعة
أذكرى البلوى التى ألبتني * وكلاماً قلته فى المجمع^(٢)
لا يكن برقاً خلّباً * إن خير البرق ما الفيت معه

والمشهور فى هذا قول الأعشى :

عودت كندة عادة فأصبر لها * وأغفر لجاهلها ورو سبأها

(١) وردت هذه الأبيات فى حاسة البحرى (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس

ابن أبى أنس اللبى وهى :

سل أميرى ما الذى غيرلى * وده والنفع حتى ودعه
ما الذى أنكر منى فأننى * وهو يبدى لى أموراً شتته
لا تهنى بعد إذ كرامك لى * وشديد عادة منترعه
واذكر العهد الذى عاهدتنى * وحديثاً قلته فى المجمع
ليت من يسعى بسوء بيننا * جنة الليل بأرض مسبه

(٢) المجمع : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شرراً ويرفع * لكم فى كل جمعة لواء

سأل أعرابي قوماً، فرَّق له رجلٌ منهم فضمَّه إليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابي :

تَسْرَى فلماً حاسبَ المرءُ نفسه * رأى أنه لا يستقيم له السُّرُورُ^(١)
وقدِم أبو زيادِ الكِلَابيُّ مع أعرابِ سَنَةِ القَحْمَةِ^(٢) ، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفاً لكل رجلٍ ثم قَطَعَهُ ؛ فقال أبو زياد :

إن يقطع العباسُ عنا رَغِيفَهُ * فما يَأْتِنِي من نِعْمَةِ الله أَكْثَرُ^(٣)
والحكماء تقول : « العادة طبيعةٌ ثانيةٌ » .

وفي الحديث : « الخيرُ عادةٌ والشرُّ لحاجةٌ » .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحداً سِوَاكَ الى المكارم يُنْسَبُ
فأَصْبِرْ لعادتِكَ التي عَوَّدْتَنَا * أوْلا فَارْشِدُنَا الى مَنْ نَذْهَبُ
وتقولُ العربُ فيمن أَصْطَنَعَ معروفاً ثم أَفسدَهُ بالمتن أو قطعهُ حين كاد يتم :
« شَوَى أخوكَ حتى إذا أنْضَجَ رَمْدٌ »^(٤) .

قال أبو كعب القاص : كان رجلٌ يُجْرِي على رَغِيفٍ في كلِّ يومٍ ، وكان يقول إذا أتاَه الرَغِيفُ : لعنكَ الله ولعن من بعث بك ، ولعنني إن تركَّكَ حتى أُصِيبَ خيراً منك .
والعربُ تقولُ في مثل هذا : « خُذْ من الرَضْفَةِ ما عليها »^(٥) .

(١) تَسْرَى : تكلف السُّرُورَ ، والسُّرُورُ : السُّخاءُ . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على

هذا البيت الخرم وقد تقدَّم شرحه في صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا في مجمع الأمثال للبدائي .

ورمد : ألقى الشيء في الرماد . وفي الأصل : « رمل » باللام وهو يصح به المعنى أيضاً .

(٥) هذا المثل يضرب في اغتنام الشيء من البخل وإن كان نزرًا ، والرضفة : الحجارة المحمأة يُوغَرَ (يُسَخَّنُ) بها اللبن ، وهي إذا أُلْقِيَتْ في اللبن لَزِقَ بها شيء منه .

وقال الشاعر :

وَحُذِّ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّيْمِ وَذُمَّهُ * إِنَّ اللَّيْمَ بِمَا أَتَى مَعذُورٌ

ومعذور : موسوم في موضع العذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

حدثني شيخ لنا عن وكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف قال قال ^(١)
صلى الله عليه وسلم : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُذِّنْ عَلَيْهِ مِنْ مِسْتَرِبَّتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ » .

وحدثني أيضا عن وكيع عن سعيد عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن
الصَّامِتِ قال قال أبو ذر : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ
وَيَجِبُهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ » . وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ فَانظُرُوا مَاذَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الثَّنَاءِ » .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كَانَ يُقَالُ : الثَّنَاءُ يُضَاعَفُ كَمَا تُضَاعَفُ
الْحَسَنَاتُ ؛ يَكُونُ الرَّجُلُ سَخِيًّا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي سَخَايِهِ ، وَيَكُونُ شُجَاعًا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي شَجَاعَتِهِ .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن العُمَرَى قال : قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ فَلَانًا رَجُلٌ صَدِيقٌ ، قَالَ : سَافَرْتَ مَعَهُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ :
فَكَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خُصُومَةٌ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَهَلْ أَتَمَّتْهُ عَلَى شَيْءٍ ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، أَرَأَيْكَ رَأَيْتَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيُخَفِّضُهُ فِي الْمَسْجِدِ ! .

(١) ترجم له في الخلاصة ، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن أساف بإيالة المثناة وقال في التهذيب :

« وَيُقَالُ ابْنُ أَسَافٍ » . (٢) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير هكذا : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ

فَلْيُصَلِّ إِلَى سِتْرَةٍ وَلْيَدْنِ مِنْ سِتْرَتِهِ لَا يَقْطَعِ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ » .

قال بعض الحكماء : إذا قُضِرَتْ يَدُكَ عن المكافأة فليَظِلْ لسانَكَ بالشكر .
وقال آخر : حقُّ النِّعمة أن تُحَسِّنَ لباسَهَا ، وتَنَسِّبَهَا إلى وليِّهَا ، وتَذَكَّرَ مَا تَنَاسَى
عندَكَ مِنْهَا .

وقال بعضُ الحارثيين :

• عثمانُ يَعْلَمُ أن الحمدَ ذو مَن * لَكِنَّهُ يَشْتَبِي حَمْدًا بِمَحَانِ
والنَّاسُ أَكْيَسُ من أن يَمْحَدُوا أَحَدًا * حتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ آثارَ إِحْسَانِ
وقال حمادُ عَجْرَد :

قد يَنْقِضِي كُلُّ ما أُؤْلِيَتْ مِنْ حَسَنِ * إِذَا أتَى دُونَ ما أُؤْلِيَتْ يَوْمَانِ
تَنَاسَى بُوْدَكَ ما اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَحَدٍ * وَإِنْ طَمِعَتْ فَانْتَ الْوَاصِلُ الدَّانِي
الشَّهْدُ أَنْتَ إِذَا ما حَاجَةٌ عَرَضَتْ * وَحَنَظْلٌ كَلِمَا اسْتَغْنَيْتَ خُطْبَانُ^(١)

وقال عمرانُ بنُ حِطَّان :

وقد عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ وَأَطْنَنِي * بَأَنِّي إِذَا أَنْزَلْتُهَا بِكَ مُنْجِحُ
فَإِنْ أَلَكُ فِي أَخْذِ الْعَطِيَّةِ مُرَبِّحًا * فَإِنَّكَ فِي بَذْلِ الْعَطِيَّةِ أَرْبِحُ
لَأَنَّ لَكَ الْعُقْبَى مِنَ الْأَجْرِ خَالِصًا * وَشُكْرِي فِي الدُّنْيَا ، لِحَظِّكَ أَرْبِحُ

وقال معاويةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ يَعْتَابُ قُرَيْشًا :

• إِذَا أَنَا أُعْطِيتُ الْقَلِيلَ شَكَوْتُمْ * وَإِنْ أَنَا أُعْطِيتُ الْكَثِيرَ فَلَا شُكْرُ
وَمَا لِمْتُ نَفْسِي فِي قَضَاءِ حَقِّكُمْ * وَقَدْ كَانَ لِي فِيما أَعْتَذَرْتُ بِهِ عُذْرُ
وَأَمْنَحُكُمْ مَالِي وَتُكْفَرُ نِعْمَتِي * وَتَشْتَمُّ عِرْضِي فِي مَجَالِسِهَا فِهْرُ

(١) أخطب الحنظل : أصفر وصار خطبانا وهو أن يصفر وتصير فيه خطوط خضر ، وفي الأصل :

« حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

إذا العذر لم يُقبل ولم ينفع الأسي * وضاعت قلوب منهم حشوها الغمر^(١)
فكيف أداوى داءكم ودواؤكم * يزيدكم غياً ! فقد عظم الأمر
ساحرهم حتى يذل صعايبكم ، * وأبلغ شئ في صلاحكم الفقر
وقال طريح الثقى :

سعت ابتغاء الشكر فيما صنعت بي * فقصرت مغلوباً ولانى لشاكر
ومثله قول الحرثي :

لأنك تعطيني الجزيل بدهاة * وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر
ومثله قوله أيضاً :

زاد معروفك عندي عظماً * أنه عندك محقور صغير
تناساه كأن لم تأته * وهو عند الناس مشهور كبير

قال رجل لبعض السطان : المواجهة بالشكر ضرب من الملق ، منسوب
من عرف بها الى التخلق^(٢) ، وأنت تمنعني من ذلك وترفع الحال بيننا عنه ، ولذلك
تركك لقاءك به . غير أني من الاعتراف بمعرفتك ونشر ما تطوى منه والإشادة
بذكره عند إخوانك والانتساب إلى التقصير مع الإطناب في وصفه ، على ما أرجو
أن أكون قد بلغت به حال المحتمل للصنيعة ، الناهض بحق النعمة .

قال ابن عتقاء الفزاري :

رأيت على ما بي عميلة فاشتكتي * الى ماله حالي أسرت كما جهز
دعاني فأساني ولو صد لم ألم^(٣) * على حين لا بد ويرجى ولا حضر
فقلت له خيراً وأثيت فعله^(٤) * وأوفاك ما أسديت من دم أو شكر

٢٠ (١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تحلق الرجل : أظهر في خلقه خلاف ما في نفسه .
(٣) في ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : « ضن » . (٤) أثيت فعله أي
على فعله ، فحذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون عدى آتى لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للتبريزي) .

وقال آخر^(١):

سأشكر عمراً إن تراخت مني * أيادي لم تمنّ وإن هي جلت
فتى غير محبوب الفنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قدى عينه حتى تجلت^(٢)

وقرأت في كتاب للهند : أربعة ليست لأعمالهم ثمرة : مسار الأَصم ، والباذر
في السبحة ، والمُسرج في الشمس ، وواضع المعروف عند من لا شكر له .

وقال بعض الشعراء المُحدثين ، وقيل : إنه للبحرّي ، فبعثت إليه أسأله عنه
فأعلمني أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخصٌ يبين * إذا ما تأمله الناظرُ
ليشيه لك حتى تراه * فعلم أنّي أمرؤٌ شاكرُ
ولكنه ساكنٌ في الضمير * يحزّكه الكلمُ السائرُ

وقال آخر :

فلو كان يستغنى عن الشكر سيّد * لِمِزة مُلكٍ أو علو مكان
لما أمر الله الجليلُ بشكره * فقال أشكروني أيها الثقلان

وقال آخر :

فاثبوا علينا لا أباً لأبيكم * بإحساننا إن الثناء هو الخلدُ

وقال رجل من غني :

فإذا بلغت أهلك فتحدثوا * ومن الثناء مهالكٌ وخلودُ

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٧ طبع أوروبا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تَمَثَّلُ بقول الشاعر :

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ * أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

وقال الحارث بن شذاد في علي بن الربيع الحارثي :

النَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدَامُ وَأَنْتَ لَمْ * رَأْسٌ وَكَيْفَ يُسَوِّى الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
فَحَسْبُنَا مَنْ ثَنَاءَ الْمَادِحِينَ إِذَا * أَثْنَوْا عَلَيْكَ بَأَن يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقال آخر :

بَايَ الْخَصْلَتَيْنِ عَلَيْكَ أَثْنَى * فَإِنِ عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَسْئُولُ
أَبِ الْحُسَيْنِ وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءُ * عَلَى مَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
أَمْ الْآخَرَى وَلَسَتْ لَهَا بِأَهْلٍ * وَأَنْتَ الْبَحْرُ مِنْ ذَهَبٍ يَسِيلُ

وقال بشار :

أُثْنِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكْذِّبُنِي * فَمَا أَقُولُ فَاسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
قَدْ قُلْتُ إِنَّ أَبَا حَفِصٍ لَا كَرَمَ مِنْ * يَمْشِي نَخَاصِمِي فِي ذَاكَ إِفْلَاسِي

وكتب بعض الكتاب إلى وزير : لست تُشَبِّه حَالَنَا فِي الْحُرْمَةِ ، وَلَا تُشَبِّه
حَالَكَ فِي الْجَاهِ وَالْقُدْرَةِ ، وَلَا ظَاهِرَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ الْبَاطِنُ . وَلَيْسَ بَعْدُ حُرْمَتِي حُرْمَةً ،
وَلَا فَوْقَ سَبَبِي سَبَبٌ ، وَلَا بَعْدَ حَالِكِ حَالٌ يُرْتَجَى ، وَلَا بَعْدَ مَنَزَلَتِكَ مَنَزَلَةٌ تُتَمَنَّى ،
وَلَا تَنْتَظِرُ شَيْئًا وَلَا أَنْتَظِرُهُ ؛ وَلَا أَتَوَقَّعُ حَقًّا أَزِيدُهُ فِي حَقُوقِي ، وَلَا أَتَوَقَّعُ فَائِدَةً تَزِيدُهَا
فِي ذَاتِ يَدِكَ . وَكَمْ تَحْتَالُ بِالْأَلْفَاظِ ، وَتُمَوِّهُ بِالْمَعَانِي ، وَالنَّاسُ يَحْتَجُّونَ بِالْعَمَلِ
وَيَقْضُونَ بِالْعِيَانِ .

وقال بعض الشعراء :

وَزَهَّدَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ * إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قَلَّةِ الشُّكْرِ

وقال أبو الهول في أبي المراء عتبة بن عاصم :

إذا فاحرَّتْنا من معدِّ عِصَابَةٍ * نخرنا عليها بأبن عُبَّةِ عاصم

يَحْزُرِياط الحميد في دار قومهِ * ويختال في عِرْضِ من الذمِّ سالم

وقال رجل لبعض السطان : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ، وسمح بحق

- يحب له ، وقيل واضح العذر ، وأستكثر قليل الشكر . لا زالت أيديك فوق شكر
أولائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غاية من شكرك ، إلا وجدت وراءها غاية من معروفك يحسرنى^(١)

بلوغها . وما عجز الناس عنه فالله من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودة بين أمل [لك]

- تبلغه ، وأمل فيك تُحقِّقه ، حتى تَمَلَّ من الأعمار أطولها ، وتَنال من الهبات أفضلها .

ونحو هذا قول آخر :

كان لى فيك أملان : أحدهما لك ، والآخر بك . فأما الأمل لك فقد بَلَغته ،

وأما الأمل بك فأرجو أن يُحقِّقه الله ويؤشِّكه .

وفى كتاب آخر :

- أيامُ القدرة وإن طالَّت قصيرة ، والمتعة بها وإن كثُرَتْ قليلة ، والمعروف وإن

أُسْدِيَ الى من يكفره مشكور بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكتاب :

وما ذكرت — أعزك الله — من ذلك قديماً ولا جَدَدَت منه حديثاً ، إلا

وأصغرُ أَمَلِي فيك فوقه وإن كان أستحقاقى دونه . فإن أفض واجب حق الله على

(١) يحسرنى (من باب نصر ، ويجوز فيه أحسر أيضاً) : يعينى ويعينى .

في شكر نعمك فتوفيقه وعونه، وإن أقصر عن كُنْهه فعن غير تقصير في بلوغ الجهد فيه .

وفي هذا الكتاب :

أما ما بذل الأمير من ماله ، فذلك ما قد سبق الرجاء بل اليقين اليه ، معرفة منى بطوله وكرمه ، وليس يُنكر أياديهِ ولا يدعُ صنائِعِهِ . وما يُرشِدُنِي أُمِّي بعد الله إلّا اليه ، ولا أفزعُ لحادثة الى غيره ، ولا أنضأ لُنَابَةِ معه . ولو عجزتُ عن النُهْضَةِ لما حاولتُ الاستقلالَ والاعتِشَاءَ إلّا به . ومالُ الأمير الكثيرُ المذخورُ عند انقطاع الحِيلِ ، لا مُعَنَّفٌ طالِبُهُ ، ولا مُخَوِّفٌ على الرَّدْعِ عنه واهِبُهُ ، ولا عائقٌ مَنعُ دُونَهُ ، ولا تنغيصٌ من ورائه ؛ ولا كثرَ أُولَى بالصون وأن يُجَمَلَ وَقَفًا على النوايب والعواقبِ مِنْ كَثَرٍ مِنْ هَذِهِ حَالُهُ .

قالت بنو تميم لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ ^(١) : مَجْدُنَا بِشَعْرِكَ ؛ فَقَالَ : افْعَلُوا حَتَّى أَتِيَّ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرَبٍ :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ * نَطَقْتُ وَلَكِنِ الرِّمَاحَ أَجَرَتِ ^(٢)

قال رجل من قريش لأشعب : والله ما شكرت معروف عندك ؛ فقال : إن معروفك كان من غير مُحْتَسِبٍ ، فوقع عند غير شاكر .

وقال أبو نُوَّاس :

أنت أمرؤ أوليتني نعماً * أوهت قوَى شكري فقد ضَعُفَا

(١) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) ونزاة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢)

وفي الأصل : « جندب » بالياء وهو تحريف . (٢) أجزت : قطعت ، يقول : لو قاتل

قوى أو أبلوا لذكرت ذلك ونفرت بهم ، ولكن رماحهم أجزتني أى قطعت لساني عن الكلام بفراهم .

فإليك بعد اليوم تَقْدِمة * ^(١)وَأَتَيْكَ بِالتَّصْرِيحِ مُكْشِفًا
لَا تُحْدِثَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ * حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وقال أبو نُحَيْلَةَ :

شَكَرْتُكَ إِنْ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى * وَمَا كُلُّ مَنْ أَفْرَضَتْهُ نِعْمَةٌ يَقْضِي
فَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ مَيْتًا ^(٢) * وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ

آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ * إِنْ أَهْتَمَّكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُمِضْهِ قَدَرٌ * فَالْشَيْءُ بِالْقَدَرِ الْمَحْتَوِي مَصْرُوفُ
وقال رجل لسعيد بن جبير : المجوسى يؤلبنى خيراً فأشكره ، ويسلم على فارد

عليه ، فقال سعيد : سألت ابن عباس عن نحو هذا ، فقال لى : لو قال لى فرعونُ
خيراً لَرَدَدْتُ عليه مثله .

أنشد ابن الأعرابى :

أَهْلَكَنِي بِفُلَانٍ ثِقَتِي * وَظُنُونُ بِفُلَانٍ حَسَنَةٍ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ * نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَةٍ

وقال بعضهم : لَا تَتَّقِ بِشُكْرٍ مَنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ ؛ فَإِنَّ الصَّابِرَ هُوَ الشَّاكِرُ ،
وَالْجَاذِعُ هُوَ الْكَافِرُ .

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ :

سَاجِدِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُتَوِّبٌ ^(٣) * وَقَصْدُكَ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي

(١) والذك : تابعتك ، وفي ديوانه المطبوع : وإليك قبل اليوم تَقْدِمة * لاقتك بالتصريح منكشفا

(٢) في نهاية الأرب : * ونهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا في ديوانه طبع أوربا
والأغانى (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفي الأصل :

.... منى متوب * وحسبك منى أن أودَّ واحدٌ وروى القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ "أشكرُ من البروق" وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب
إذا نشأ وبأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طبتَ نفسًا عن تنائي فإني * لأطيبُ نفسًا عن نَدَاكَ على عُسْرى
فلستُ الى جَدْوَالِكَ أعظمَ حاجةً * على شِدَّةِ الإِيسَارِ منك إلى سُكْرِى

وقال آخر :

حَسْبُ أَمْرِي إِنْ فَانَيْ غُرُصٌ * مِنْ بَرِّهِ أَنْ فَاتَهُ سُكْرِي
إِنِّي إِذَا ضَاقَ أَمْرُؤُ ^(١) يَجِدَا * عَنِّي أَتَسَعْتُ عَلَيْهِ بِالْعُدْرِ

وقال الطائي لإسحاق بن إبراهيم :

وَمَحَجَّبٌ حَاوَلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ * نَهَجًا عَنِ الرِّكْبِ الْعُفَاةِ شَسُوعًا
أَعْدَمْتُهُ لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ * سُكْرِي فَرَحْنَا مُعْدِمَيْنِ جَمِيعًا

وقال :

فَإِنْ يَكُ أَرْبَى عَفْوُ سُكْرِي عَلَى نَدَى * أَنَايَسُ فَقَدْ أَرْبَى نَدَاهُ عَلَى جُهْدِي

وقال :

وَكَيْفَ يَجُورُ عَنْ قَصْدٍ لِسَانِي * وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادِي ^(٣)
وَمَا كَانَتْ الْعِلْمَاءُ قَالَتْ * لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْقُؤَادِ

وقال :

أَبَا سَعِيدٍ وَمَا وَصَفِي بِمَتَمِّمٍ * عَلَى الثَّنَاءِ وَمَا سُكْرِي بِمُخْتَرَمٍ ^(٤)

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل : « أدنى » وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان أبي تمام وهو الذي يناسب البيت الذي بعده ، وفي الأصل : « بذاك » .

(٤) في الديوان : « على المعالي » .

لئن بَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعِيمٍ * إِنِّي لَفِي الشُّكْرِ أَحْطَى مِنْكَ فِي النَّعِيمِ^(١)
 أَنَسَى أَبْتِسَامُكَ وَالْأُلُوْنَ كَاسِفَةً * تَبَسَّمَ الصَّبِيحُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ
 رَدَدَتْ رَوْتَقَ وَجْهِهِ فِي صَفِيحَتِهِ * رَدَّ الصَّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْخَدِيمِ
 وَمَا أَبَالِي، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ، * حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِهِ أَمْ حَقَنْتَ دَمِي

وقال :

فَلَا تَكْذُرْ حَيَاضُكَ لِي فَإِنِّي * أَمُتُّ إِلَيْكَ آمَالًا طَوَالًا
 وَفِرْ جَاهِي عَلَى قَاتٍ جَاهِي * إِذَا مَا غَبَّ يَوْمٌ كَانَ مَالًا^(٢)

وقال :

يَا مِنَّةً لَكَ لَوْلَا مَا أَخَفَّفَهَا * بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِّ
 بَآلَهُ أَدْفَعُ عَنِّي ثِقَلَ فَادِحَهَا * فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهُ عَلَى عُذْقِي^(٣)

وقال بشارُ في عمر بن العلاء :

دَعَانِي إِلَى عُمَيْرٍ جُودُهُ * وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بِمَجْرٍ خَضَمْتُ
 وَلَوْلَا الَّذِي زَعَمُوا لَمْ أَكُنْ * لِأَمْدَحَ رَيْحَانَةً قَبْلَ شَمِّ

ويقال : الشكر ثلاثُ منازل : لمن فوقك بالطاعة ، ولِنَظِيرِكَ بالمكافأة ، ولِمَنْ

دونك بالإفضال عليه .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت في الديوان هكذا :

لئن بَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ * إِنِّي لَفِي اللَّزْمِ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ

(٢) فِرْ : فعل أمر من قولهم : وفّر عَرْضَهُ ووفّره له لم يشتمه كأنه أجابه له طيباً لم ينقصه بشتم

قال الشاعر :

أَلَكْنِي وَفِرْ لَابِنَ الْفَرِيرَةِ عَرْضَهُ * إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سُلَيْمِ بْنِ جَنْدَلٍ

(٣) ق الديوان «منا» .

قال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون^(١) :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تُنَنْ عَلَيَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي^(٢)
فَأَبْتُ مِنْكَ وَقَدْ جَلَّاتْنِي نِعْمًا * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْيِي رِضَاكَ بِهِ * وَالْمَالُ حَتَّى أَسْلُ النُّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعْتُ * إِلَيْكَ لَوْلَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تُلَمْ
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي * مَقَامَ شَاهِدٍ عَدِيلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

وقال آخر، وبلغني أنه الخثعمي :

فَأَذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِكَا عَقْدٍ * رَأَى جَنْبَ قَبْرِهِ فَأَعْقِرَانِي
وَأَنْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا * نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ

وفد رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال :
ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت
الينا وفاضت في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا ، وأما الرهبة فقد أمتنا بعدل
أمير المؤمنين علينا وحسن سيرته فينا من الظلم ، فتحن وقد الشكر .

وقال الفرزدق في عمرو بن عبدة :

لَوْلَا أَبْنُ عُبْدَةَ عَمْرُوُ وَالرَّجَاءُ لَهُ * مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الْحَمْقَاءُ لِي وَطَنًا
أَعْطَانِي الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي * أَوْ قُلْتُ أُوْدِعَ لِي مَالًا رَأَاهُ لَنَا

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدي وشكره للمأمون وعفوه عنه ورد ما له وضياعه إليه في أمالي القالي

(ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) في أمالي القالي : « ولم تجل » . (٣) كذا

في أمالي القالي والعقد الفرید (ج ٢ ص ٢٣٩) وفي الأصل : « ما حقنت دمي » . وهي هنا مصدرية .

بِفُؤْدِهِ مُتَعَبٌ شَكْرِي وَمِثُّهُ * وَكَلَّمَا زِدْتُ شَكَرًا زَادَنِي مِثْنًا
يَرِي بِهَيْئَتِهِ أَقْصَى مَسَاقِفِهَا * وَلَا يُرِيدُ عَلَى مَعْرُوفِهِ ثَمْنًا
هذا مثل قول الأعرابي : ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودعني
ماله . وما ضاع مالٌ أورث المحامد .

- ويقال : خمسة أشياء ضائعة : سراجٌ يُوقَدُ في شمسٍ ، ومَطَرٌ جَوْدٌ في سَبَاحَةٍ ،
وحَسَناءُ تُزْفُّ إلى عَيْنَيْنِ ، وطعامٌ أَسْتَجِيدَ وقُدِّمَ إلى سَكَرَانَ ، ومَعْرُوفٌ صُنِعَ إلى
مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ في النعم وأمانٌ من الغير .

وقال أسماءُ بنتُ خارجةَ : إذا قَدِّمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التَّعْزِيَةُ ، وإذا قَدِّمَ الإخاءُ
قَبِّحَ الثَّنَاءُ .

١٠

بَعَثَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ إِلَى كَاتِبٍ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ : قَدْ بَعَثْتُ
بِهَا إِلَيْكَ ، وَلَا أَقَلِّلُهَا تَكْبَرًا ، وَلَا أَكْثَرُهَا تَمَنًّا ، وَلَا أَسْتَشِيكَ عَلَيْهَا شَاءَ ، وَلَا أَقْطَعُ عَنْكَ
بِهَا رَجَاءً .

١٥

وَفِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : لِأَثْنَاءٍ مَعَ كِبَرٍ . وَفِيهِ : سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَا تَبَاتَ لَهَا : ظِلُّ الْغَامِ ،
وَحُلَّةُ الْأَشْرَارِ ، وَعِشْقُ النِّسَاءِ ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ ، وَالثَّنَاءُ الْكَاذِبُ .
وَالْعَرَبُ يَقُولُ : « لَا تَهْرِفْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ » أَيْ لَا تُطَيِّنَ فِي الثَّنَاءِ قَبْلَ
الِاخْتِبَارِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَكُتِبَ إِلَيْهِ » . (٢) هَذِهِ الرِّوَايَةُ أَشَارَ إِلَيْهَا صَاحِبُ اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ

« هَرَفَ » وَفِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلدَّانِي : « لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ » وَهِيَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ .

وكتب أبو نُوَاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يد في الناس واحدة * كيد أبو العباس مولاها

نام الثقات على مضاجعهم * وسرى الى نفسى فأحيأها

قد كنت خفتك ثم آمنى * من أن أخافك خوفك الله

فعفوت عني عفو مقتدير * وجبت له نعم فالغأها

والبيت المشهور في هذا قول النجاشي :

لا تمدت أمراً حتى تجربه * ولا تدمن من لم يئله الخبر

وقال آخر في الاختبار :

إن الرجال إذا اختبرت طباعهم * ألفتهم شئ على الأخبار

لا تعجلن الى شريعة موريد * حتى تبين خطة الإصدار

وقال الراسبي : أنشدني أبو العالية :

إذا أنا لم أشكر^(١) على الخير أهله * ولم أذم^(٢) الحبس اللئيم المذمم

فقيم عرفت الخير والشر بآءيه * وشق لي الله المسامع والفما

قال ابن التوام : كل من كان، جوده يرجع اليه، ولولا رجوعه اليه لما جاد

عليك، ولو تها له ذلك المعنى في سواك لما قصد اليك، فليس يجب له عليك شكر.

ولما يوصف بالحدود في الحقيقة ويشكر على النفع في حجة العقل، الذي إن جاد عليك

فلك جاد، ونفعك أراد، من غير أن يرجع اليه جوده بشيء من المنافع على جهة

من الجهات، وهو الله وحده لا شريك له . فإن شكرنا الناس على بعض ما جرى لنا على

(١) في زهر الآداب للحمري (ج ١ ص ٢٥٠) : « إذا أنا لم أمدح » . (٢) الحبس :

- أيديهم، فَلَا مَرَيْنَ : أحدهما التَّعَبُّدُ ، وقد أمرَ الله تعالى بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين وتعظيم مَنْ هو أَسْنُّ مِنَّا وإن كنا أَفْضَلُ منه . والآخِرُ : لأن النفس مالا تُحْصِلُ الأمورَ وتُمَيِّزُ المعاني ، فالسابقُ إليها حُبٌّ مِنْ جَرَى لها على يديه الخير وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقْصِدْ إليها . ألا ترى أن عطية الرجل صاحبَه لا تَحُلُو أن تكونَ لله أو لغير الله ؟ فإن كانت لله فتواهبه على الله ؛ وكيف يجبُ في حجة العقل شكره وهو لو صادف ابنَ سبيلٍ غريبٍ لما أعطاني ؛ وإما أن يكونَ إعطاؤه إياي للذكر ؛ فإن كان كذلك فإنما جعلني سُلْماً إلى حاجته وسبباً إلى بُغْيَتِهِ ؛ أو يكونَ إعطاؤه إياي طلباً للكفاة ؛ فإنما ذلك تجارة ؛ أو يكونَ إعطاؤه لخوف يدي أو لِسَانِي أو أَجْتِرَارِ مَعُونَتِي ونصرتي ، وسبيلُ هذا معروف ؛ أو يكونَ إعطاؤه للرحمة والرفقة ولما يجدُ في فؤاده من العصر والألم ، فإنما داوَى بتلك العطية من دائه ورفقه من خناقه .

١٠

وكان محمد بن الجهم يقول : نحو هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَتَوْا عَلَيْكَ * وَلَا عَظْمُوكَ وَلَا عَظْمُوا^(٢)
وَلَا شَايَعُوكَ عَلَى مَا بَلَغَ * تَ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَلَا قَدَمُوا
وَلَوْ وَجَدُوا لَهْمُ مَطْعَمًا * إِلَى أَنْ يَعْبُوكَ مَا جَمَعُوا
وَلَكِنْ صَبَرْتَ لِمَا أَلْزَمَكَ * وَجَدْتَ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَلْزِمُ
وَكُلَّ قِرَاكَ إِذَا مَا لَقُوكَ * لِسَانًا بِمَا سَرَّهُمْ يُنْعِمُ
وَحَفْضَ الْجَنَاحِ وَوَشَكَ النَّجَاحِ * وَتَصَغِيرَ مَا عَظَّمَ الْمُنْعِمُ
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ * إِلَى أَنْ يُجَلُّوا وَأَنْ يُنْعَمُوا

وقال خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ الْأَقْطَعِ :

- وَفِي الْيَأْسِ مَنْ أَنْ تَسَالَ النَّاسَ رَاحَةً * تُمِيتُ بِهَا عُسْرًا وَتُخَيِّ بِهَا يُسْرًا ٢٠

(١) في الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفاً من الناسخ في الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلاً ، أو في الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نفلوا » أي أكثروا من نظم المدائح فبك .

وليس يد أوليتها بغنيمة * اذا كنت تبني أن يعد لها شكراً
غنى النفس يكفى النفس ما سد فاقة * فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً
قال ابن عائشة : باغى أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم
يقضها له ، فسألها آخر فقضاها له ، فقال : ^(١)

ذُمت ولم تُحمد وأدركت حاجتي * تولى سواكم أجرها وأضطاعها
أبى لك كسب الحميد رأى مقصراً * ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حشته على الخير مرة * عصاها وإن همت بشر أطاعها
وقال ابن عائشة : قال رجل يوماً لابن عيينة : ما شئ تُحمدونه يا أبا محمد؟
قال : ما هو؟ قال : يقولون إن الله تعالى يقول : أئماً عبد كانت له إلى حاجة
فشغله الثناء على سؤال حاجته ، أعطيته فوق أميته ، فقال له : يابن أنى ،
وما تُكرمن هذا ! أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت في عبد الله بن جُدعان :
إذا أثنى عليه المرء يوماً * كفاه من تعرضه الثناء
فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : في طلب الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة : إن هو أعطاه حمد غير
الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذى منعه .

حدثنا الربيعي قال : أنشدنا كيسان لدكين الرابض :

إذا المرء لم يذس من اللوم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل ^(٢)
إذا المرء لم يصرع عن اللوم نفسه * فليس إلى حسن الثناء سبيل

(١) كذا في أمالي القالي (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر ، وفي الأصل :
« فشغ رجل قضيت حاجته » . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموه بن عاديا .
اليهودي ، كما في أمالي القالي وديوان الحماسة لأبي تمام وغيرهما ، والبيت الثاني يروى في الحماسة هكذا :
وإن هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس إلى حسن الثناء سبيل
ويروى في أمالي القالي هكذا : إذا المرء لم يحمل على النفس ضيها * فليس إلى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أول منازل الحمد السلامة من الذم .

قال عروة بن أذينة^(١) اللبني :

لا تتركن ، إن صنيعة سلفت * منك وإن كنت لا تُصفرها
إلى أمرئ ، أن تقول إن ذكرت * عندك في الحد لست أذكرها
فإن إحياءها إمامتها * وإن منّا بها يُكدرها
وإن تولى أمرؤ بشكر يد * فالله يجزي بها ويشكرها

ويقال : أحيوا المعروف بإماتته .

أبو سفيان الخيري قال : كان مسعدة الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مولى
لخالد القسري ، وكان في ديوان الرسائل بواسط ، وكان موجزا في كتبه ، فكتب
إلى صديق له : أما بعد ، فإنه لن يعدمك من معروفك عندنا أمران : أجر من الله
وشكر منا . وخير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض العمال : وما أأمل في وقت من الأوقات ولا يوم
من الأيام أن أثار أياديك لدى ، ومواقع معروفك عندي ، إلا نبهني التأمل على ما يحسّر
الشكر ويثقل الظهر ، لأنك أنعشت من عثرة ، وأنهضت من سقطة ، وتلقيت
نعمة كانت على شفا زوال ودروس ، وتلقيت ما ألقى عليك من الكل بوجه
طليق وباع رحيب^(٢) . والسلام .

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث اللبني . وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء
أهل المدينة وثقة ثباتا ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضي الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبي علي
في أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته في كتاب الأغاني (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أو ربا) .

(٢) في الأصل : «وبال» .

الترغيب في قضاء الحاجة وأصطناع المعروف

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا داود بن المحبر عن محمد بن الحسن الهمداني عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالسَّعَى مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ كُلُّهُ أَنْ يَسْعَى فِي حَاجَةٍ مَنْ لَا يُؤْجَرُ فِي حَاجَتِهِ . وَمَنْ تَرَكَ الْجُلُوحَ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ حَتَّى يَرَى رِءُوسَ الْمُحَلِّقِينَ " .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اشفعوا إلىَّ ويقضي الله على لسان نبيكم ما شاء " .

بلغني عن جعفر بن أبي جعفر المازني عن ابن أبي السري عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ فَأَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُحِبَّكَ النَّاسُ فَلَا يَقَعْ فِي يَدِكَ مِنْ حُطَامِهَا شَيْءٌ إِلَّا نَبَذَتْهُ إِلَيْهِمْ " .

حدثني محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ابن عيينة : ليس أقول لكم إِلَّا مَا سَمِعْتُ : قِيلَ لِابْنِ الْمُنْكَدَرِ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِدْخَالُ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ . وَقِيلَ : أَيُّ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا زهير العطاردی قال : صلى بنا أبو رجاء العطاردی العتمة ثم أوى إلى فراشه ، فأنته أمرأة فقالت : أبا رجاء ، إن

(١) ورد هذا الاسم بالأصل هكذا : « زريك » بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء في القاموس وشرحه مادة زور : « سلم بن زريق تحرير من تابعي التابعين عطاردی بصرى سمع أبا رجاء العطاردی » .

لطارق الليل حقاً، وإنا بنى فلان خرجوا الى سفوان^(١) وتركوا كتبهم وشيئا من متاعهم؛
فانتعل أبو رجاء وأخذ الكتب وأداها وصلى بنا الفجر، وهو مسيرة ليلة للإبل،
والناس يقولون : إنها أربعة فرائخ .

حدثني أحمد بن الحليل عن محمد بن سعيد قال حدثنا ابن المبارك عن حميد
عن الحسن قال : لَأَنْ أَقْضِيَ حَاجَةً لِأَخٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ سَنَةً .

قال ابن عائشة : كان عمرو بن معاوية العقيلي يقول : اللهم بلغني عثرات
الكرام .

قال المأمون لمحمد بن عباد المهلبى : أنت متلاف؛ فقال : يا أمير المؤمنين ،
منع الموجود سوء ظن بالله، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخَافُهُ وَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

وكان ابن عباس يقول : صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكأ. هذا
نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم : "المعروف يقي مصارع السوء" .

وكان ابن عباس يقول أيضا : ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلا أضاع ما بيني
وبينه، ولا رأيت رجلا أوليته سوءا إلا أظلم ما بيني وبينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تعرض للرجل قبل فابادر بقضاها مخافة أن
يستغنى عنها أو تأتية وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادر بسلطان إذا كنت قادرا * زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير الساقى (التراب) .

وقال آخر في مثله :

بدا حين أثرى بإخوانه * ففكك^(٢) عنهم شبة^(٣) العدم
وذكره الحزم غب^(١) الأمور * فبادر قبل انتقال النعم
وقرأت في كتاب للهند: من صنع المعروف لعاجل الجزاء، فهو ككفي الحب ليصيده
به الطير لا لينتفعه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بدأني بالسلام ، ورجل وسع لي
في المجلس ، ورجل أغبرت قدماه في المشي إلى إرادة التسليم عليّ ؛ فأما الرابع فلا
يكافئه عني إلا الله جل وعزّ ، قيل : ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمر فبات ليلته
يفكر بمن ينزله ، ثم رأى أهلاً لحاجته فأنزلها بي .

وقال سلم بن قتيبة^(٤) : رب^(٥) المعروف أشد من ابتدائه .

ويقال : الإبتداء بالمعروف نافلة ، وربّه فريضة .

قيل لبزرجهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرزأ شيئاً ؟
قال : نعم ، من أحببت له الخير وبذلت له الودّ ، فقد أصاب نصيباً من معروفك .
قال جعفر بن محمد : ما توسل إلى أحد بوسيلة هي أقرب به إلى ما يُحب من
يد سلفت مني إليه ، أتبعته أختها لأحسن ربّها وحفظها ؛ لأن منع الأواخير يقطع
شكر الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسريّ ؛ فقال خالد : إني لأبغض هذا
الرجل وماله إلى ذنب^(٦) ، فقال رجل من القوم : أوله أيها الأمير معروفاً ففعل ، فما ليث
أن خف على قلبه وصار أحد جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : « قتل » . (٣) الشبة :
طرف السيف وحده ، وشبة المقرب : لإبرتها ، والظاهر أن المراد هنا أذى العدم وشدة وحدته .
(٤) في الأصل « سالم » وما أثبتناه هو الصواب . (٥) رب الشيء : يربّه رباً : تمهده وأتماه .
(٦) في الأصل : « ومالي إليه ذنب » وهي لا تنفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يَتَمَّ المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وسره ، فإنه إذا عجله هنأه ، وإذا صغره عظمه ، وإذا سره تممه .

وقال الحرَّيمي في نحو هذا :

زاد معروفك عندي عِظًا * أنه عندك محقورٌ صغير
تَنَسَّاهُ كأن لم تأتِه * وهو عند الناس مشهورٌ كبير

وقال الطائي :

جودٌ مشيت به الضراء^(١) تواضعا * وعظمت عن ذكراه وهو عظيم^(٣)
أخفيته^(٢) خفيته وطويته * فنشرته والشخص منه عميم
وكان يقال : سَرَّ رجلٌ ما أُولَى ، ونَشَرَّ رجلٌ ما أُولَى .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدا فأنسوها . وقالوا : المنة تهديم الصنعة . قال الشاعر :

أفسدت بالمتى ما أسديت من حسن * ليس الكريم إذا أسدى بمتان
قال رجل لأبن شبرمة : فعلت بفلان كذا وفعلت به كذا ، فقال : لا خير في المعروف إذا أحصى .

وفي بعض الحديث : ”كُلُّ معروفٍ صدقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهله ونفسه وولده صدقةٌ وما وقى المرء به عرضه فهو صدقة وكلُّ نفقة أنفقها فعلى الله خَلْفُها مثلها إلا في معصية أو بَيَانٍ“ . وفي الحديث المرفوع ”فَضْلُ جَاهِكْ تَعُودُ به“^(٤)

(١) هكذا ورد هذا الشعر في ديوان أبي تمام الطائي (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (فتح الضاد وتخفيف

الراء) : ما وارك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمشي فيا يواريك عن تكبده وتخفله ، يقال :

لا أمشي له الضراء ولا أخرج رأى أجاهره ولا أخاتله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم :

الطويل التام . (٤) قال العزيزي في شرحه لهذا الحديث : إنه البَيَان الذي لم يقصده وجه الله تعالى .

على أخيك صدقة منك عليه ولسانك تُعبر به عن أخيك صدقة منك عليه وإما طئتك
الأذى عن الطريق صدقة منك على أهله .

وكان يقال : بذل الجاه زكاة الشرف .

وقال بعض الشعراء :

وليس قتي الفتيان من راح وأغتدى * لشرب صَبُوحٍ أو لشرب غَبُوقٍ
ولكن قتي الفتيان من راح وأغتدى * لِضَرِّ عَدُوٍّ أو لنفع صديق
قال ابن عباس : لا يُزهدنك في المعروف كفر من كفره، فإنه يشركك عليه من
لم تصطنعه إليه .

وقال حماد بن عمار :

إن الكريم ليخفي عنك عُسرته * حتى تراه غنياً وهو مجهود
إذا تكزمت أن تُعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
وللبخيل على أمواله علل * زُرُقُ العيون عليها أوجه سود
أورق بخير تُرجى للنوال فما * تُرجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلة * فكل ما سد فقرا فهو محمود

والعرب تقول : ” من حقر حرم “ .

حدثني عبد الرحمن عن عمه قال : قال سلم بن قتيبة : أحدهم يحقر الشيء فيأتي
ما هو شر منه ، يعني المنع .

وقال الشاعر :

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداة فا دون القائلة ، والغبوق : ما شرب بالعشي . (٢) هذا
مثل ذكره الميداني وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحتقرته إذا عدته حقيراً أي من حقير سيرا ما يقدر
عليه ولم يقدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفي الحديث : « لا تردوا السائل ولو بظلف محرق » .

وما أبالي إذا ضيِّفَ تضيِّفني * ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودى
جُهدُ المِقل إذا أعطاك مُضطرباً * ومُكثِرٌ من غنى سِيانٍ فى الجودِ
وفى الحديث المرفوع "أفضلُ الصَّدقةِ جُهدُ المِقل"
وقال البريقُ أهدلنى :

أبو مالكٍ قاصِرُ فقره * على نفسه ومُشيعِ غناه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف ، فإن فاعل
المعروف لا يَعدَم جَوازِيه ، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوَى اللهُ على جَوازِيه ، والبيت
المشهور فى هذا قول الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعدَمُ جَوازِيه ^(١) * لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ويقال : إنه فى بعض كتب الله عز وجل .

قال وهبُ بن مُنبه : إن أحسنَ الناسَ عيشاً من حَسَنَ عِيشِ النَّاسِ فى عِيشِهِ ،
وإن من أَلَدَ اللَّدَّةِ الإِفْضَالَ على الإِخْوان . وفى الحديث المرفوع "إِنَّمَا لَكَ مِنْ
مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَنْتِ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ
فَهُوَ مِلْكُ الْوَارِثِ" .

وقال بشار :

أَنْفِقِ الْمَالَ وَلَا تَشْقَ بِهِ * خَيْرُ دِينَارِكَ دِينَارٌ نَفَقَ ^(٢)

قال بُزْرَجِمُهر : إذا أَقْبَلْتَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَنْفِقِ فَإِنَّهَا لَا تَقْفَى وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْكَ
فَأَنْفِقِ فَإِنَّهَا لَا تَتَّبِعُ . أَخَذَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

(١) قال ابن جنى : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أى لا يعدم جزاء عليه ، جزاء على جواز
لمشابهة اسم الفاعل للصدر ، فكما جمع سيل على سوائل ، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر
اللسان مادة جرى) . (٢) يروى : « ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ » . (٣) نفقت
الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها) : فנית وزهبت .

فَانْفِقْ إِذَا أَنْفَقْتَ إِنْ كُنْتَ مُوسِرًا * وَأَنْفِقْ عَلَى مَا خِلْتَ حِينَ تُعْسِرُ^(١)
فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَقِيلٌ * وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدِيرٌ
وَفِي "كِتَابِ كَلِيلَةِ" : لَا يُعَدَّ عَائِشًا مَنْ لَا يُشَارِكُ فِي غِنَاهُ .

مَرَّ الْحَسَنُ بِرَجُلٍ يَقْلِبُ دِرْهَمًا ، فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ دِرْهَمَكَ هَذَا؟ قَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ : أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ يَدِكَ .

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ لِأَخِيهِ : كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ وَلَا تَجْعَلْ أَوْصِيَاءَكَ الرِّجَالَ .
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

سَأَحْبِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي * وَأَوْثِرُ نَفْسِي عَلَى الْوَارِثِ
أَعَاذِلُ عَاجِلٌ مَا أَشْتَهِي * أَحَبُّ مِنِّي الْمُبِطِيُّ الرَّائِثُ

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِكْرَاشٍ : زَمَنُ خَوْنٍ ، وَوَارِثُ شَفْوَنٍ^(٢) ، فَلَا تَأْمِنِ الْخَوْنُونَ
وَكُنْ وَارِثَ الشَّفْوَنِ .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يُؤْمِرْكَ : الْحَدَثَانِ
وَالْقَدَرُ ، كِلَاهُمَا يَتَزَعَلُ عَلَى الْغَتِّ وَالسَّمِينِ ، وَالْوَرِثَةُ يَنْتَظِرُونَ مَتَى تَمُوتَ فَيَأْخُذُونَ مَا تَحْتَ
يَدَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ تَقْدَمْ لِنَفْسِكَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَحْسَنَ الثَّلَاثَةِ نَصِيبًا فَافْعَلْ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ : مِنْ رَزَقِهِ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَسْعَدَ^(٣)
النَّاسِ بِهِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتْرُكُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا مُصْلِحٍ فَلَا يَقْلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا مُفْسِدٍ
فَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : جَمَعَ أَبُو عَثْمَانَ طَرَفِي الْكَلَامِ .

(١) عَلَى مَا خِلْتَ أَيَّ شَيْءٍ وَلَوْنَتْ ، وَمَعْنَاهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ . (٢) الشَّفْوَنُ : الَّذِي يَنْظُرُ
إِلَيْكَ كَالْكَارِهِ أَوِ الْمُبْغِضِ . (٣) فِي نَهَايَةِ الْأَوْب (ج ٣ ص ٢٠٦) وَالْعَقْدُ الْقَرِيدُ (ج ١ ص ٨٤) :

«فَلْيَنْفِقْ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ» .

وقال حُطَّائِطُ بْنُ يَعْفَرٍ :

ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ * لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا
أَرِينِي جَوَادَا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي * أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مَخْلُودًا
وَقُلْتَ وَلَمْ أَعْنَى الْجَوَابَ تَبَيَّنِي * أَكَانَ الْهَزْلُ حَتْفَ زَيْدٍ وَأَرْبَدَا

- قال أعرابي : الدراهم ميسمٌ ميسمٌ حمداً أو ذمّاً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، وما كل من أعطى مالا أعطى حمداً ، ولا كل عديم ذمياً .

وقال بعضُ المُحدِّثين :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ * فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

حدثني يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدثنا النعمان بن هلال عن عبد الله

- ١٠ ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ “ .

قال معاوية لورددان مولى عمرو بن العاص : ما بقي من الدنيا تلذه ؟ قال :

العريض الطويل ؛ قال : وما هو ؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه
الدهر فأجبره ؛ قال : نحن أحق بهما منك ؛ قال : إن أحق بهما منك من سبقك
اليهما .

١٥

وقال أعرابي :

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ * فَمَا أَسْطَعَتْ مِنْ مَعْرِفِهَا فَتَرَوُدِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَيِّهِ بِلَدَةٍ * تَمُوتُ وَلَا مَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي غَدِ
يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ ، وَمَنْ يَكُ بَعْدَهُ * ذِرَاعَيْنِ مِنْ قُرْبِ الْأَحْبَةِ يَبْعُدِ

وقال آخر :

٢٠

إِنْ كُنْتَ لَا تَبْدُلُ أَوْ تَسْأَلُ * أَفْسَدْتَ مَا تُعْطَى بِمَا تَفْعَلُ

قال بعضهم : مضى لنا سلف أهل تواصلٍ، اعتقدوا مِنَّا، واتَّخذوا أيادي ذخيرةً لمن بعدهم : كانوا يرون أصطناع المعروف عليهم فرضاً، وإظهار البرِّ حقاً واجبا ، ثم حال الزمان بنشءٍ اتَّخذوا مِنَّهم صناعةً، وبرَّهم مراجعةً، وأيديهم تجارةً وأصطناع المعروف مقارضةً كتقد السوق خذ مني وهات .

قال العُتبي : وقع ميراثٌ بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان، فتشاحوا فيه ، فلما أنصرفوا أقبل عمرو بن عُتبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال، وأفعالا تخشع لها رقابُ الأموال، وألسنا تكلُّ معها الشِّفار المشحوزة، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المنسوبة ؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو احتفلت ما تزيّنت إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلَّقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم ونُحرق في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها؛ إن خافوا مكروها تعجلوا له الفقر، وإن عَجَّت لهم نعمة أنحروا عليها الشكر، أولئك أنضاء فكر الفقر وعجزة حملة الشكر^(١) .

قال بعض المجازيين :

فلو كنتَ تطلب شأوا الكرام * فعلتَ كفعيلِ أبي البَحْتري
تُبَّع إخوانه في البلاد * فأغنى المِقْلُ عن المُكثَرِ

القناعة والاستعفاف

حدثني شيخٌ لنا عن وكيع عن ابن أبي ذئب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ثوبان قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ” من يتقبل لي بواحدة^(٢) ”

(١) في العقد الفريد : « فكرة الفقر » . (٢) في تهذيب التهذيب للعسقلاني في الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هذا الحديث بإطامش هكذا : ” من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة “ قلت : ما هي ؟ قال ” لا تسأل الناس شيئا “ .

وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ“ فَقَالَ ثَوْبَانُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : ”لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا“
فَكَانَ ثَوْبَانُ إِذَا سَقَطَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ نَزَلَ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْأَلِ أَحَدًا أَنْ يَنَاولَهُ إِيَّاهُ .
وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيِّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ مِنْ عِبْدٍ إِلَّا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رِزْقِهِ حِجَابٌ، فَإِنْ أَقْتَصَدَ أَنَاهُ رِزْقُهُ
وَإِنْ أَقْتَحَمَ هَتَكَ الْحِجَابَ وَلَمْ يُزِدْ فِي رِزْقِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي مَعْنٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيِّ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”إِنَّ الصِّفَا^(١) الزَّلَّالَ الَّذِي لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ
أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمْعُ“ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ”إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ
نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِلُوا فِي الطَّلَبِ“ .

قال ابن حازم :

لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالَانِ مَا لَهَا * إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ الْمَالِ أَحْرَاسُ
مَالِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحَتْ أَمْلِكُهُ * وَمَالِي الْيَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ
أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَازِمٍ الْمَدَنِيِّ ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ :
الرِّضَا عَنْ اللَّهِ ، وَالْيَقْنَى عَنِ النَّاسِ .

وقال بشر بن بشر^(٣) :

وإني لعَفٌّ عَنْ فَكَاةٍ جَارِقِي * وإني لمَشْنُوءٌ إِلَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا * زُءُورًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَى كَلَابِهَا

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) في الجامع الصغير « حتى تستكمل

أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا في الأصل ولم نجد في كتب الأدب التي بين أيدينا شاعرا

هذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات « إذا سَدَّ ... الخ » في حاشية البحري (ص ٣٤٢) ٢٠
طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمي .

ولم أكْ طَلَابًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا * وَلَا عَلِيمًا مِنْ أَى حَوَكِ ثِيَابِهَا
وإن قِرَابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ * وَيَكْفِيكَ سَوَاءِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
إِذَا سُدَّ بَابُ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ * فَذَرَهَا لِأُخْرَى لَتَنَزِلْ لَكَ بِهَا
وقال ابن أبي حازم :^(١)

أَوْجَعُ مِنْ وَخْرَةِ السِّنَانِ * لِذِي الْجِمَا وَخْرَةُ اللَّسَانِ
فَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعْنِهِ * فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
وإن نَبَا مَتَرْلُ بَحْرٍ * فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
لَا يَثْبُتُ الْحَزَنُ فِي مَكَانٍ * يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى الْهَوَانِ
الْحَرْ حُرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ * عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمَانِ

حدثني محمد بن داود عن جابر بن عثمان الحنفى عن يوسف بن عطية قال حدثني
المعلّى بن زياد القردوسى : أن عامر بن عبد قيس العنبرى كان يقول : أربع آيات^(٢)
من كتاب الله إذا قرأتهن مساءً لم أبال على ما أُميى ، وإذا تلوتهن صباحاً لم أبال على
ما أصبح : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإِنْ يُرْذَكَ تَحْيِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ
عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

حدثني عبد الرحمن عن بشر بن مصلح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك
وبين الله مُنْعِمًا عَلَيْكَ ، وَعَدَّ النِّعَمَ مِنْهُ عَلَيْكَ مَغْرَمًا .^(٣)

(١) تقدم هذا الشاعر في الصفحة السابقة باسم « ابن حازم » ولم ندرهل هما لشخصين أم لشخص واحد ، وقد بحثنا عن هذه الأبيات لتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للجزرجى بضم القاف . وفي الأصل : « الفردوسى » بالفاء . وهو تحريف . (٣) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل : « وأعدد النعم منهم مغنا » .

حدثني الرباشي عن الأصمعي قال : أبرح بيت قالته العرب بيت أبي ذؤيب
المُدلي :

والنفس رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصقار عن الحجاج بن الأسود
قال : احتاجت عجوز من العُجُزِ القُدُم، قال : فجزعت إلى المسألة ، ولو صبرت لكان
خيرا لها . ولقد بلغني أن الإنسان يسأل فيمنع ، ويسأل فيمنع ، والصبر مُتَبَدِّلٌ نَاحِيَةٌ
يقول : لو صرت إلى لكفيتك .

وكان يقال : أنت أخو العز ما ألتحفت القناعة ، ويقال : اليأس حرُّ والرَّجاء عبْدٌ .

وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال :

١٠ بالقناعة .

وقال سعد بن أبي وقاص لأبنة عمر : يا بني إذا طلبت الغنى فأطلبه بالقناعة ،
فإن لم تكن لك قناعة فليس يُغْنِيكَ مَالٌ .

وقال عروة بن أذينة :

(١) لقد علمت - وما الإسراف في طمع - * أن الذي هو رزق سوف يأتيني

١٥ أَسْمَى له فَيُعْنِي تَطَلُّبُهُ * ولو قعدت أُنَانِي لا يُعْنِي

وقال أبو العتاهية :

(٢) إن كان لا يُغْنِيكَ ما يَكْفِيكَ * فكل ما في الأرض لا يُغْنِيكَ

(١) ورد هذا البيت في المقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزق وإن لم يأت يأتيني

٢٠ (٢) أورد الجاحظ في البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبي العتاهية وهي : « إن كان يغنيك

من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك » .

وقال بعضهم : الغنى والفقْرُ يحولان في طلب القناعة فإذا وجداها قطّناها .
 حجت أعرابية على ناقة لها ، فقيل لها : أين زادك ؟ قالت : ما معي إلا
 ما في ضرعها . وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قَناعَتُهُ * سَبَبَ المَطامِعِ مَنْ غَدِ غَدٍ وَغَدِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مُتَمِّمًا * لَمْ يُمَسِّحْ مُتَسَاجًا إِلَى أَحَدٍ

وقال أَرْدَشِيرُ : خَيْرُ الشِّمِّ القَناعَةُ ، ونَماءُ العَقْلِ بالتَعَلُّمِ .

وقال التَّمْرُ بْنُ تَوَلِّبٍ :

وَمَتَى تُصَبِّكَ خِصَاصَةً فَأَرْجُ الْغِنَى * وَالَّذِي يَهَبُ الرِّغَابَ فَأَرْغَبُ
 لَا تَغْضِبَنَّ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ * وَعَلَى كِرَامِ صَلْبٍ مَالِكَ فَأَغْضِبُ

وقال أبو الأسود :

وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالٍ جَارٍ لِقُرْبِهِ * فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بَعِيدُ

وقال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ :

قَدْ يَمُوزُ الْحَازِمُ الْمُحَمَّدُ نَيْتُهُ * بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرَى الْعَاجِزُ الْحَقِيقُ
 فَلَا تَخَافِي عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَانْتَظِرِي * فَضْلَ الَّذِي بِالْغِنَى مِنْ فَضْلِهِ نَتَّقُ

وشكا رجلٌ إلى قومٍ ضيقًا فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ

لَا يَرْحَمُكَ .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سَأْنِي حَاجَتَكَ ، قال :

أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ . ورأى رجلاً يسأل في الموقِفِ فقال : أفي مثل

هذا الموضع تسأل غير الله عز وجل ! .

وقال ابن المعدل :

تَكَلَّفْنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا * وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتَكْرُمَا
تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ * فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ
وقال ابن عباس : المساكين لا يعودون مريضاً ولا يشهدون جنازةً، وإذا
سَأَلَ النَّاسُ اللَّهَ سَأَلُوا النَّاسَ .

وكان الحسن يطرد السؤال يوم الجمعة، ولا يرى لهم الجمعة .

وقال بعض الشعراء :

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ * وَقَلَّ مَا تَجِدُ الرَّاغِبِينَ بِالْقَسَمِ

وقال محمود الزقاق :

شَادَ الْمُلُوكُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا * عَنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
غَالَوْا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ لِعِزِّهَا * وَتَتَوَقَّوْا^(١) فِي قُبُجِ وَجْهِ الْحَاجِبِ
وَإِذَا تَلَطَّفَ لِلدَّخُولِ إِلَيْهِمْ * رَاجِ تَلَقُّوهُ بَوَعْدٍ كَاذِبٍ
فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ * إِذَا الضَّرَاعِيَّةُ طَالِبًا مِنْ طَالِبٍ
وَجِدْ عَلَى مِيلٍ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ^(٢) :

أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا * دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِهَا^(٣)
إِلَى كَيْفِ تَطْلُبُ الدُّنْيَا * وَظِلُّ الْمِيلِ يَكْفِيكَ^(٤)

قال مطرف بن عبد الله لابن أخيه : إذا كانت لك إلى حاجة فاكْتُبْ بها رُقْعَةً
فَأَيُّ أَضْنِ بَوَجْهِكَ عَنْ ذَلِكَ السُّؤَالِ .

(١) تتوقوا : تأقروا ، يقال : تتوق في مطعمه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالع فيها .

(٢) الميل : مناريني للسافر في أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان نسبة في الأغاني

(ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبي العتاهية . (٤) في الأغاني : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا * بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْوَجْهَ وَإِفْرُ

وكان معاوية يُتمثل بهذين البيتين :

وَفَتَى خَلَا مِنْ مَالِهِ * وَمِنَ الْمَرْوَةِ غَيْرُ خَالِي

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ * فَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

وقال آخر :

أَبَا مَالِكٍ لَا تُسْأَلِ النَّاسَ وَالْتَمَسْ * بِكَفَيْكَ سَبَبَ اللَّهِ فَاللَّهُ أَوْسَعُ

فَلَوْ تُسْأَلِ النَّاسَ التَّرَابَ لَا وَشَكُّوا * إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمِيلُوا فَيَمْنَعُوا^(١)

والمشهور في هذا قول عبيد :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَنْجِبُ

قال سليمان لأبي حازم : سَلْ حَوَائِجَكَ ؛ فَقَالَ : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ لَا تُخَذَلُ^(٢)

الحوائج دونه .

قال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوق
يَرْزُقُ فَإِذَا سَخَطَ قَطَعَ رِزْقَهُ ، والله عز وجل يَسْخَطُ وَلَا يَقْطَعُ .

وقال الشاعر :

لَا تَضْرَعَنَّ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى طَمَعٍ * فَإِنَّ ذَلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ بِالَّذِينَ

وَأَسْتَرْزِقُ اللَّهَ رِزْقًا مِنْ خَزَائِنِهِ * فَإِنَّمَا بَيْنَ الْكَافِ وَالنَّوِنِ

(١) روى هذا البيت في لسان العرب مادة « وشك » وشرح الأشموني ج ١ ص ٣١٥ طبع بولاق :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا * إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) كذا في كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفي الأصل : « تحترل » .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة * وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحاً بنفسى ، إني لا أرى أحداً * يموت هزلاً ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا الضعف يمنعه * ولا يزيدك فيه حول محتال

وقال المعلوط :

متى ما ير الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن حظوظ قسمت وجدود

وقال آخر :

يخبى الفتى من حيث يرزق غيره * ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

وقال أبو الأسود :

ليتك آذنتني بواحدة * تجعلها منك سائر الأبد
تحلف ألا تبرئ أبداً * فإن فيها برداً على كبدى
إن كان رزقي إليك فأرم به * فى ناظرى حية على رصدي

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حرفة يقال فيها خير من مسألة الناس .

١٥ (١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والى فارس والأهواز ، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكان له راتب على سليمان المذكور ، فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل :

ان الذى شق فى ضامن * للرزق حتى يتوفانى

حرمتنى مالا قليلا فـ * زادك فى مالك حرمانى

٢٠ فلبث سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيد بن العاص : مَوْطِنَانِ لَا أَسْتَحْيِي مِنَ الْعِيِّ فِيهِمَا : عند مُحَاظَلَتِي
جاهلاً ، وعند مَسْأَلَتِي حاجةً لِنَفْسِي .

حدثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال :
جاء رجلٌ إلى شُرَيْحٍ يَسْتَقْرِضُ دَرَاهِمَ ؛ فقال له شُرَيْحٌ : حاجتُكَ عندنا فأَتِ
مَنْزَلَكَ فإنها ستأتيك ، إني لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّهَا .

حدثني الرَّبَاسِيُّ عن الأصمعيّ عن حَكِيمِ بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه
أوصى بنيه عند موته فقال : إِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ ، فإنها أَتْرَكْسِبُ الرجل .

وقال بعضُ المحدثين :

عَوَدْتُ نَفْسِي الضَّيْقَ حَتَّى أَلْفَنُ * وَأُحَرِّجِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ قَلْبِي لِلْأَذَى الْإِنْسُ بِالْأَذَى * وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا * لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

وقال آخر :

حَسْبِي يَعْلَمِي لَوْ نَفَعُ * مَا أَلْذُلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ تَزَعُ * عَنْ قُبْحِ مَا كَانَ صَنَعُ
مَا طَارَ شَيْءٌ فَأَرْتَفَعُ * إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعُ

(١) هكذا ورد هذا البيت في الأصل وقد دخله الخرم ، وورد في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٢ طبع

بولاقي) :

تَعَوَّدْتُ مَرَّةً الصَّبْرَ حَتَّى أَلْفَنُ * وَأَسْلَمَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ

(٢) في الأغاني : «لحسن صنيع الله ...» .

الحِرْصُ والإِلْهَاحُ

لَمَّا قَتَلَ كِسْرَى بُزْرَجْمَهَرَ وَجَدَ فِي مِثْقَلِهِ كِتَابًا : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْقَدَرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ لِكُلِّ أَحَدٍ رَاصِدًا فَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا خُمُقٌ .

وقال بعض الشعراء :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ * وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ تَمْلُولُ
وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لَا يَكْثُرُ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ الْحَوَائِجِ ؛ فَإِنَّ الْعِجَلَ إِذَا أَفْرَطَ
فِي مَصِّ أُمِّهِ نَطَحَتْهُ وَنَحَتْهُ .

وقال عدي بن زيد :

قَدْ يَدْرِكُ الْمُبْطِئُ مَنْ حَظَّهُ * وَالرَّزْقُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيسِ
وقال ابن المقفع : الْحِرْصُ مُحَرَّمَةٌ ، وَالْجُبْنَ مَقْتَلَةٌ ، فَأَنْظُرْ فِيهَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ
أَمَّنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدْبِرًا ، وَأَنْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ
وَالْتَكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخَوْنَ نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ بِالشَّرِّ وَالْحِرْصِ .

وقال الشاعر :

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ عَلَى شَيْءٍ لِيُدْرِكَهُ * وَعَلَّ إِدْرَاكَهُ يُدْنِيهِ إِلَى عَطِيَّةٍ

وقال آخر :

وَرُبَّ مُلِحٍّ عَلَى بُغْيَةٍ * وَفِيهَا مَنِيَّتُهُ لَوْ شَعَرَ
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الْمُلِحِّ فِي الْحَوَائِجِ الَّذِي لَا تَقْضِي لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا سَأَلَ
أُخْرَى :

* لَا يُرْسَلُ السَّاقُ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا *

وأصلُ المثل في الحِرْبَاءِ، إذا اشتدَّ عليه حرُّ الشمسِ لجأ إلى شجرة ثم تَوَقَّى في أغصانها،
فلا يُرسل عُصنا حتى يَقْبِضَ على آخر .

وقال الشاعر :

أَنْى أُتَيْسَحَ لَهُ حِرْبَاءٌ تَنْضُبِيَّةٌ * لَا يُرْسَلُ السَّاقُ إِلَّا مُسَكَّاسَاقًا

وفي كتاب كيلة: لا فقر ولا بلاء كالحرص والشره، ولا غنى كالرضا والقناعة،
ولا عقل كالتيدير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق .

قال ابن المقفع : الحرص والحسد يكرأ الذنوب وأصل المهالك، أما الحسد
فأهلك إبليس، وأما الحرص فأخرج آدم من الجنة .

وفي كتاب كيلة : خمسة حُرُصَاء، المال أحب إليهم من أنفسهم : المقاتل
بالأجرة، وحقارُ الفنى^(٢) والأسراب، والتأجير يركب البحر، والحاوى يوسع يده
الحية، والمخاطر على شرب السم .

دخل مالك بن دينار على رجل محبوب قد أخذ بمال عليه وقيد، فقال له : يا أبا
يحيى، أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود ! فرفع مالك رأسه فرأى سلة، فقال : لمن
هذه ؟ قال : لى، قال : فأمر بها أن تنزل، فأنزلت فوضعت بين يديه، فإذا دجاج^(٣)
وأخيسة، فقال مالك : هذه وضعت القيود في رجلك .

كان أشعب يقول : أنا أطمع وأنى تيقنُ فقل ما يفوتنا .

(١) فاعله أبو دؤاد الإباضى . قال ابن برى : هكذا أنشد الجوهري وصواب إنشاده : « أنى أتيسح لها » لأنه وصف ظمناً ساقها وأزعجها سائق مجد (انظر اللسان مادة حرب) والتنضبة : واحدة التنضب وهو شجر عيدانه بيض ضخمة وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبر . (٢) جمع قناة وهي الآبار التي تحفر في الأرض . (٣) أخيسة : جمع خبيص، والخبيص : ضرب من الحلواء .

وقال النابغة :

والياسُ عما فات يُعقب راحةً * ولربَّ مَطْعَمَةٍ تعودُ ذُباحاً^(١)
^(٢) و^(٣)

وقال أبو علي الضمير :

فلأني قد بلوتكم جميعاً * فما منكم على شكري حريص
وأرخصتُ الثناءَ فعفتموه * ورُبَّما غلا الشيءُ الرخيصُ
فَعَفْتُ نوالكم ورَغِبْتُ عنه * وشَرُّ الزادِ ما عاف الخَصيصُ^(٤)

وقال أعرابي :

أيها الدائبُ الحريصُ المعنى * لك رزقٌ وسوف تستوفيهِ
فَبِحَ الله نائلاً ترتجيه * من يَدِي مَنْ تُريدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
إنما الجنودُ والسامحُ لمن يُع * طيك عفواً وماءً وجهك فيه
لا ينالُ الحريصُ شيئاً فيكفيه * وإن كان فوق ما يكفيه
فَسَلِ الله وحده ودع الناسَ * وأَسْخِطْهُمْ بما يُرضيه
لا تَرَى مُعْطِياً لِمَا مَنَعَ الله * ولا مانعاً لِمَا يُعْطيه

(١) كذا في لسان العرب مادة «ذبح» وفي الأصل : «مطعمة» . (٢) في لسان العرب :

«تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخصيص هو الفقير ، اشتقاقاً من الخصاصة وهي الفقر ، ولم نعر عليه في كتب اللغة التي بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتي] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لأبن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفق للصواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النساخ —] :

في الاستعفاف :

عليك بالياس من الناس * إن غني نفسك في الياس
كم صاحب قد كان لي وامقاً * إذ كان في حالة إفلاس
أقول لو قد نال هذا الغنى * صيرني منه على الزاس
حتى إذا صار فيما أشتى * وعدة الناس من الناس
قطع بالصد حبال الصفا * مني ولما يرخص بالقاسي

آخر وقد أحسن :

إن للمعروف أهلاً * وقليل فاعلوه
أهناً للمعروف ما لم * تبذل فيه الوجوه
أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه
فإذا أحتجت إليه * ساعة تجك فوه

لِنَمَّا يَعْرِفُ الْفَضْلَ * لَمِنْ النَّاسِ ذَوُوهُ

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا * سَائِلًا مَا وَصَّلُوهُ

وكتب أبو العيناء إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان رُقعة يقول فيها : أنا
— أعزك الله — وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك، إن سَقَبْتَهُ رَاعٌ وزكَا، وإن
جَفَوْتَهُ ذَبُلَ وَذَوَى . وقد مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ رِيٍّ وَإِغْفَالٍ بَعْدَ تَعَهُّدٍ، فَشَمَتَ
عَدُوٌّ، وَتَكَلَّمَ حَاسِدٌ، وَلَعِبَتْ بِي ظَنُونٌ، وَأَتْرَاعُ الْعَادَةِ شَدِيدٌ. ثم كتب في آخرها:
لَا تُنِنِّي بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِي * فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَرَعَةٌ

آخر:

مَالِي مَعَاشٌ سِوَى ضِدِّ الْمَعَاشِ فَلَا * أَغْدُو إِلَى عَمَلٍ إِلَّا بِلَا أَمَلٍ
وَلَيْسَ لِي شُغْلٌ يُجِيدِي عَلَى إِذَا * فَكَرْتُ فِيهِ وَمَا أَنْفَكُ مِنْ شُغْلٍ
كُلُّ أَمْرِي رَائِحٌ غَادٍ إِلَى عَمَلٍ * وَمَا أَرْوَحُ وَلَا أَغْدُو إِلَى عَمَلٍ
وَلَسْتُ فِي النَّاسِ مَوْجُودًا كَبَعْضِهِمْ * وَلِنَمَّا أَنَا بَعْضُ النَّاسِ فِي الْمَثَلِ

آخر:

الْمَرَّةُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَحْدَوْنَةُ * يَفْنَى وَتَبَقَى مِنْهُ آثَارُهُ
يَطْوِيهِ مِنْ أَيَّامِهِ مَا طَوَى * لَكِنَّهُ تُنَشِّرُ أَسْرَارُهُ
وَأَحْسَنُ الْحَالَاتِ حَالُ أَمْرِي * تَطِيبُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَخْبَارُهُ
يَفْنَى وَتَبَقَى ذِكْرُهُ بَعْدَهُ * إِذَا خَلَّتْ مِنْ شَخْصِهِ دَارُهُ

وقال حبيب الطائي :

وَمَا ابْنُ آدَمَ إِلَّا ذِكْرٌ صَالِحٍ * أَوْ ذِكْرٌ سَيِّئٌ يَسِيرُ بِهَا الْكَلَمُ
أَمَّا سَمِعْتَ بِدَهْرٍ بَادٍ أَمْتُهُ * جَاءَتْ بِأَخْبَارِهَا مِنْ بَعْدِهَا أَمُّ

في البخل :

طَرَقْتُ أَنَسًا عَلَى غِرَّةٍ * فَذُقْتُ مِنَ الْعَيْشِ جَهْدَ الْبَلَاءِ
فَأَمَّا الْقَدِيدُ^(١) وَأَشْبَاهُهُ * فَذَاكَ مَفَاتِيحُهُ فِي السَّمَاءِ
وَأَمَّا السَّوِيقُ فَنَفَى عَيْنِي * يُنْتَمُ وَيُدْعَى لَهُ بِالْبَقَاءِ
وَمَنْ حَاوَلَ الْخَبْزَ قَالُوا لَهُ * أَتَذْكُرُ شَيْئًا خُسِي لِلدَّوَاءِ

(١) القديد: اللحم المجفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف : أي الطعام أحب إليك ؟ قال : الزبد والكأه^(١)؛ فقال عمر : ما هما بأحب الأطعمة إليه، ولكنه يحب الخصب للمسلمين .

قال الأصمعي : قال رجل في مجلس الأحنف : ليس شيء أبغض إلى من التمر والزبد؛ فقال الأحنف : رب ملوم لا ذنب له .

عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال المجاج جلسائه : ليكتب كل رجل في رقة أحب الطعام إليه ويجعلها تحت مصلاي؛ فإذا في الرفاع كلها الزبد والتمر .

عن الأصمعي قال قال مدني : الكبكادات أربع : العصيدة والمهريسة والحيسة^(٢) والسبيضة^(٣) .

عن الأصمعي عن حزم قال : قال مالك بن حنبل لحسان بن الفريفة : ما تزودت إلينا ؟ قال : الحيس؛ قال : ثلاثة أسقية في وعاء .

(١) الكأه اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض ، مستدير كالقلفاس ، لاساق له ولا غرق

لونه إلى الغبرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٢) : « مائي .

أبغض إلى من الزيت والكأه » . (٣) الحيسة : الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السبيضة

(بالدال المهملة والذال المعجمة) : الخواري ، وهي لباب الدقيق .

قال الأصمعي: قال بعض الأعراب: أشتى ثريدة ^(١) دكّاء من الفلفل، رقطاء ^(٢) من الحمص، ذات جفافين ^(٣) من اللحم، لها جناحان من العراق ^(٤)، أضرب فيها ^(٥) ضرب وليّ السوء في مال اليتيم.

وقال ابن الأعرابي: يقال: أطيب اللحم عودُهُ، أى أطيبه ما وليّ العظم، كانه عاذ به.

عن أبي عبيدة قال: مرّ الفرزدقُ يحمي بن الحُصَيْن بن المنذر الرقاشي، [ف]قال له: هل لك يا أبا فراسٍ في جدي سمين ونبيذ زبيب جيد؟ فقال الفرزدق: وهل يابى هذا إلا ابنُ المَرَاغَةِ! يعنى جريرا.

وقال الأحوص لجرير: ما تُحبُّ أن يُعدَّ لك؟ قال: شواءٌ وطلاءٌ وغشاءٌ؛ قال: قد أعدتُ لك.

وقال مدني لصديق له: والله أشتى كشكية ^(٦)، ومد بها صوتَه فخرجت منه ريح؛ فقال له: ما أسرع ما لفحتك يابن عم.

(١) ثريدة دكّاء: كثيرة الأباذير، والأباذير: التابل وهو ما يطيب الطعام. (٢) كذا في كتاب البخله للمحافظ (ص ١٩٤) وفي الأصل: «ومن». (٣) الرقطاء: السوداء تشوبها نقط بيضاء. (٤) كذا في البخله، والحفاف: الجانب. وفي الأصل: «خفافين» بالخاء المعجمة وهو منحرف. (٥) العراق (بضم العين): العظام إذا لم يكن عليها شيء من اللحم. (٦) الطلاء: الخمر. (٧) في كتب اللغة الكشكية: ماء الشعير، وفي القواميس الفارسية: الكشك: ضرب من الحساء الزجة مصنوع من القمح والشعير وزبد لبن الشاء، وربما أضيف إليه شيء من اللحم.

وعن الأصمعي قال: قال شيخ من أهل المدينة: أتيت فلانا فأتاني بمَرَقَةٍ كان فيها مُسَقًّى، فلم أر فيها إلا كَيْدًا طافيةً، فَنَمَسْتُ يَدِي فوجدت مُضَغَةً، فَدَدْتُهَا فامتدت حتى كَانِي أَرْصُرِي نَائِي.

أَدْخِلْ أَعْرَابِي عَلَى كَسْرِي لِيَتَعَجَّبَ مِنْ جَفَائِهِ وَجَهْلِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: أَيْ شَيْءٍ أَطِيبُ لَحْمًا؟ قَالَ: الْجَمْلُ. قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ أَبْعَدُ صَوْتًا؟ قَالَ: الْجَمْلُ. قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ أَنَهَضَ بِالْجَمْلِ الثَّقِيلِ؟ قَالَ: الْجَمْلُ. قَالَ كَسْرِي: كَيْفَ يَكُونُ لَحْمُ الْجَمْلِ أَطِيبَ مِنَ الْبَطِّ وَالذَّجَاجِ وَالْفِرَاحِ وَالذَّرَاجِ وَالْجَدَاءِ؟ قَالَ: يُطْبَخُ لَحْمُ الْجَمْلِ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، وَيُطْبَخُ مَا ذَكَرْتَ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ حَتَّى يُعْرَفَ فَضْلُ مَا بَيْنَ الطَّعْمَيْنِ. قَالَ: كَيْفَ يَكُونُ الْجَمْلُ أَبْعَدَ صَوْتًا وَنَحْنُ نَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنَ الْكُرْكِيِّ^(٢) مِنْ كَذَا وَكَذَا مِيلًا؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: ضَعِ الْكُرْكِيَّ فِي مَكَانِ الْجَمْلِ وَضَعِ الْجَمْلَ فِي مَكَانِ الْكُرْكِيِّ حَتَّى تَعْرِفَ أَيُّهُمَا أَبْعَدُ صَوْتًا. قَالَ كَسْرِي: كَيْفَ تَزْعُمُ أَنَّ الْجَمْلَ أَحْمَلُ لِلْجَمْلِ الثَّقِيلِ وَالْفِيلُ يَحْمِلُ كَذَا وَكَذَا رِطْلًا؟ قَالَ: لِيُبْرِكَ الْفِيلُ وَيُبْرِكَ الْجَمْلُ وَلِيُحْمَلَ عَلَى الْفِيلِ حِمْلُ الْجَمْلِ، فَإِنْ نَهَضَ بِهِ فَهُوَ أَحْمَلُ لِلْأَنْقَالِ.

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: شَيْئَانِ لَا يَزِيدُهُمَا كَثْرَةُ النِّفْقَةِ طَيِّبًا: الطَّيِّبُ وَالْقَدَرُ، وَلَكِنْ تُطَيَّبُهُمَا إِصَابَةُ الْقَدَرِ.

وَفِيمَا أَجَازَ لَنَا عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْحَاحِظُ مِنْ كِتَابِهِ قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيُّ يُعْجَبُ بِالرَّؤُوسِ وَيَصِفُهَا وَيُسَمِّي الرُّؤُوسَ عُرْسًا لِمَا تَجْمَعُ فِيهِ مِنَ الْأَلْوَانِ الطَّيِّبَةِ،

(١) المضغة: قطعة اللحم. (٢) الذراج (وزان رتان): طائر يطلق على الذكور والأنثى

جمل المنظر ملقون الريش. (٣) الكركي: طائر يقرب من الإوز أبرد الذنب رمادي اللون في خذه

لمعات سود قليل اللحم صلب العظم يأوى إلى الماء أحياناً. (٤) قد أورد عمرو بن بحر الحاحظ

هذه القصة في كتابه البهلاء. (ص ١١٥ طبع أوروبا).

وكان يسميه مرةً الجامع ومرةً الكامل، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجبية وطعوم مختلفة؛ وكل قدير وكل شواء فإنما هو شيء واحد، والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد، والعينان وطعمهما مفرد [وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمها على حدة]، على أن هذه الشحمة [خاصة] ^(١) أطيب من المخ وأنهم من الزبد وأدسم من السلاء، ثم يُعَدُّ أسقاطه كلها. ويقول: الرأس سيد البدن، وفيه الدماغ وهو معبد العقل، ومنه يتفرق العصب الذي فيه الحس، وبه قوام البدن، وإنما القلب باب العقل، كما أن النفس هي المدركة والعين هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأذن بابان. ولولا أن العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفي الرأس الحواس الخمس. وكان يُنشد:

هُمُ صَرَبُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي * وَغَوَدَ عِنْدَ الْمُتَّقَى تَمَّ سَائِرِي ^(٢)

وكان لا يشتري الرأس إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرؤوس يوم السبت أكسَد، للفضلات التي تبقى في منازل التجار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غدائه يوم الرأس، عَمَدَ إِلَى الْقِحْفِ ^(٣) وإلى التَّحِينِ ^(٤) فوضعه قُرْبَ بَيْوتِ النمل والنذر، فإذا اجتمعن عليه أخذه ونفضه في طست فيه ماء، ولا يزال يُعِيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقْلِع النمل والنذر من داره، فإذا فرغ من ذلك ألقاه مع الخطب فاستوقده في التنور.

الأصمعي قال: قال أبو صَوَّارَة أو ابن دُقَّة: الأرز الأبيض بالسمن المسلى بالسكر الطبرزد، ليس من طعام أهل الدنيا.

(١) الزيادة عن البخلاء. (٢) في البخلاء: «إذا». (٣) القحف: العظام الذي فوق الدماغ، أو هو ما انطلق من الجمجمة فانفصل، ولا يدعى قحفاً حتى يتكسره شيء. (٤) الحيان: عظام الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان، وفي البخلاء: «الجين». (٥) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب، فارسي.

قال: وقال أبو صَوَّارة أو ابن دُقَّة : أطول الليالي ثلاث : ليلةُ العقرب، وليلة الهريسة، وليلة جُدة إلى مكة .

الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى علي رضي الله عنه :
أطعموني حَفَنَةً زُيْدَ ثم اختموا سراويل ثلاثا .

وقال رجل للثوري في الحديث : "إن الله يُغِيضُ البيتَ اللحم"؛ فقال : ليس هو الذي يؤكل فيه اللحم ، وإنما هو الذي يؤكل فيه لحومُ الناس .

عن أبي الصَّدِّيقِ النَّاجِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خيرُ تمراتكم البرني يذهب بالداء ولا داءَ فيه" .^(١)

وعن ابن عمر عن عمر أنه قال : يا غلام أنضج العصيدة تذهب حرارة الزيت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بيت ليس فيه تمرٌ جِباعٌ أهله" .

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بحِمْطَةٍ كأنها مناقيرُ الغربان، وتمير كأنه أعناقُ الوز يوحل فيه الضرس .^(٢)

الأصمعي قال : قال أعرابي : ثمرنا جرد فطس يغيب فيه الضرس ، كأن نواه السن الطير، تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كميكَ .^(٣)

الأصمعي عن أبيه قال : أسر رجل رجلين في الجاهلية فغيرهما بم يعشيهما ، فأختار أحدهما اللحم وأختار الآخر التمر، فعشيا وألقيا في الفناء وذلك في شتاء شديد، فأصبح صاحب اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر ترر عيناه .^(٤)

(١) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس ، كما في تهذيب التهذيب والخلاصة . (٢) البرني : ضرب من التمر

أصفر مدور ، وهو أجود التمر . (٣) في الأصل هكذا : «الوزلان» والظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صغار الحب لاطئة الأفاع . (٦) ترر عيناه : توقدان .

وقال غير الأصمعي : قيل لأعرابي : ما رأيك في أكل الجُرِّي ؟ قال : ثمرة
نَرْسِيَانَةٍ غَرَاءُ الطَّرَفِ صفراءُ السائر عليها مثلها زُبْدًا أَحَبُّ إلى منها ، ثم أدركه
الْوَرَعُ فقال : وما أَحَرَّمهما .

وقال بعض الأعراب :

أَلَا لَيْتَ لِي خُبْرًا تَسْرِبَلُ رَائِبًا * وَخِيَلًا مِنَ الْبَرَنِ فُوسَانُهَا الزُّبْدُ^(٢)

قال : ورأى أعرابي دقيقًا وتمرًا فأشترى التمر؛ قيل له : كيف وسعرُ الدقيق
والتمر واحد ! قال : إن في التمر أَدَمَهُ وزيادة حلاوة .

عن زياد الثُمَيْرِي قال : قالت عائشة : من أكل التمر وترًا لم يضره .

الأصمعي قال : حدثني شيخ عالم قال : أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيَّةٌ مُصَلَّبَةٌ^(٣) .

الأصمعي قال : حدثني رجلٌ من آل حَزِيم قال : كان يقال : مَنْ خلا على التمر^(٤)
فَالْعَجْوَةُ ، ومن أكله على ثِقَلٍ فَالصَّيْحَانِيَّةُ .

الأصمعي قال : قال أعرابي يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل : أَتَجْعَلُ عَسَلَةً في أَخْتَاءِ
الْبَقَرِ كَعَسَلَةٍ في جَوِّ السَّمَاءِ لها مَحَارِسُ من جَرِيدٍ وَذِرَائِبُ من زُمُرْدٍ !

وقال الأصمعي : قيل لابن القَدَّاح : أى التمرِ أطيبُ ؟ فدعا بأنواع التمر، فلما
أكلوا قال : آنظروا أى النوى أَكْثَرُ ؟ قالوا : نوى الصيْحَانِيَّةِ ، قال : هو أطيبُ .

(١) الجزِّي : ضرب من السمك . والتمر النسيان : نوع من التمر جيد ، واحده نرسِيانة ،
وفي الأصل «ثمرة برسنانية» وهو تحريف . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع
بولاق) . ورواية الأصل : * أَلَا لَيْتَ خُبْرًا قد تسربل رائبًا *

(٣) الصيْحَانِيَّةُ : ضرب من التمر أسود صلب المضغفة نسب الى صيْحَان وهو كبش كان يربط الى نخلة
بالمدينة فأثمرت تمرًا فنسب اليه ، ويقال : صلبت التمرة اذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادة صلب) .

(٤) يقال : خلا على بعض الطعام اذا اقتصر عليه . قال اللحياني : تميم تقول : خلا فلان على اللبن وعلى
الحلم اذا لم يأكل معه شيئًا ولا خلطه به . قال : وكثانة وقيس يقولون : أحلى فلان على اللبن والحلم .

وقال الأصمعي : العرب تقول للبخیل الأکول : «أَبْرَمًا قَرُونًا» أى لا يُخْرِج

مع أصحابه شيئاً ويا كل تَمَرَتَيْنِ تمرتين .

وقال النابغة يصف تمراً :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائر

- سَمِعَ الحَسَنُ رجلاً يَعيبُ الفالوذجَ فقال : فُتاتُ البرِّ بلعابِ النحلِ بخالِصِ السَّمَنِ ! ما عاب هذا مسلماً . وقال لِفِرْقَدِ السَّبِيحِي : يا أبا يعقوبَ ، بلغنى أنك لا تأكلُ الفالوذجَ ، فقال : يا أبا سعيدٍ ، أخافُ ألا أُؤدِّيَ شكرَهُ ، فقال : يا أُنْجُ ! وهل تُؤدِّي شكرَ الماءِ الباردِ [فى الصَّيفِ والحارِّ فى الشتاء ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

- ١٠ (١) كذا ورد هذا المثل فى مجمع الأمثال للبدائى ولسان العرب مادة « برم » والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبعظه . والقرون : الذى يقرن بين الشبيين أى هو برم ويا كل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلاً لمن يجمع بين خصليتين مكروهتين ، وفى الأصل : « أبرما أكو لا قروما » وهو تحريف .
- (٢) الفالوذج : حلواء يسوى من لب الحنطة . فارسي معرب . وفى الصحاح : الفالوذ والفالوذق معربة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن عبد الله بن جدعان ، وكان سيداً شريفاً فى قريش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فمجب منه ١٥ ومأل عن حقيقة ، فقيل : هى لباب البرِّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاماً يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فكان من حضرة أمية بن أبى الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلة رأس وهادى * وأنت الرأس تقدم كل هادى

- ٢٠ له راع بمكة مشمعل * وآثر فوق دارته ينادى
الى رُوح من الشيزى ملاء * لباب البرِّ يلبك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨١) .

الأصمعيّ قال: اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام، فحكما بينهما شيئا قد أكلَ طعامَ الخلفاء، فقال: أما الروميّ فذهب بالحشويّ والأحشاء، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحلواء.

وعن الأصمعيّ قال: كنا عند الرشيد فقدمت إليه فالودجة، فقال: يا أصمعيّ حدثنا بحديث مُرَرِّدٍ، فقلت: إن مُرَرِّدا أبا الشماخ كان غلاما جشعا وكانت أمّه تُؤثِّرُ عيالها بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُهُ^(١)، فخرجت أمّه ذات يوم تزور بعض أهلها، فدخل مُرَرِّدُ الخيمة وعمد إلى صاعيّ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول:

ولما غَدْتُ أُمِّي تَمِيرُ بَنَاتِهَا * أَغْرَتُ عَلَى الْعِمِّ الَّذِي كَانَ يُنْعَى^(٢)
لَبَكْتُ^(٣) بِصَاعِي حِنْطَةٍ صَاعَ عَجْوَةٍ * إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ^(٤) يَتَرِيعُ
وَذِلْتُ^(٥) أَمْثَالَ الْأَثْنَانِ كَأَنَّهَا * رُءُوسُ نِقَادٍ قُطِعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ^(٦)
وَقُلْتُ لِبَطْنِي أُنْشِرِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * يَحْيَى أَمْنَا مِمَّا تَحْجُوزُ وَتَرْفَعُ^(٧)
فَإِنْ كُنْتُ مَصْفُورًا فَهَذَا دَوَاؤُهُ * وَإِنْ كُنْتُ غَرَنَانًا فَذَا يَوْمُ تَسْبَعُ^(٨)
فَضِيحَكَ الرَّشِيدَ حَتَّى أَسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ، هَذَا يَوْمُ تَسْبَعُ^(٩)
[يا أصمعيّ].

- (١) يحفظه: يفضيه. (٢) العمّ: النمط يجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها. (٣) لبكت: خلطت، والليكة: أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط ويصب عليه السمن. (٤) يتريع: يجمع ما هنا وما هنا لا يستقر له وجه لكثرة. وفي الأصل: «يتريع» بالبا الموحدة. (٥) ذلت الشيء: جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكثرة. وفي الأصل «وذلت» بالذال المعجمة والياء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ريع ودبل). (٦) نقاد: جمع نقدة وهي الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى في ذلك سواء. (٧) المصفور: من به الصفر وهو داء في البطن يصنّز منه الوجه. (٨) غرنان: جاعع؛ وقد وردت هذه الأبيات في الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل في بعض ألقاها عما هو مثبت هنا. (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥).

قال : وكتب الحجاج الى عامله بفارس : ابعث الى عسلا من عسل خلار^(١)، من النحل الأبقار، من الدستفشار، الذي لم تمسه النار .

وقال الأصمعي : كتب بعض الخلفاء الى عامله بالطائف : أن أرسل الى بعسل أخضر في سقاء، أبيض في الإناء ، من عسل الندغ^(٣) والسحاء^(٤)، من حداب^(٥) بنى شبابة .

والعرب تصف العسل بالبرودة .

وفي حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الشراب قال : «الحلواء البارد» يعنى العسل . وقال الأعشى :

كما شيب بماء با * ريد من عسل النحل

- ويقال : أجود العسل الذهبي الذي اذا قطرت منه قطرة على وجه [الأرض] ١٠
استدار كما يستدير الزئبق ولم ينفس ولم يختلط بالأرض والتراب .
والروم تقول : أجوده ما يطلع على قتيلة ثم تسعل فيه النار فيعلق .
وسئل ديمقراطيس العالم عما يزيد في العمر فقال : من أدام أكل العسل ودهن جسمه به زاد الله بذلك في عمره .

- ١٥ (١) خلاركرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها ما عصرته الأيدي وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده في المخصص (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدستفشار : العسل الذي لم تمسه النار . وقال : ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا في الأصل ، وفي اللسان مادة «ندغ» أن الذي كتب الحجاج ، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذکور هنا . (٣) الندغ : الصمغ البري وهو مما ترعاه النحل وتمسل عليه وعسله أطيب العسل ، وفي الأصل «الذع» . ٢٠ (٤) السحاء : نبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفي الأصل «الماء» . وحداب بنى شبابة : جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما في اللسان وشرح القاموس مادة (حدب) . وفي الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) في ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه للحي ، وفي لطائف المعارف للتحالي ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصيات» ، وأن في أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبي أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل .

والعسل إن جعل فيه اللحم الطرى بقي كهيئته حتى لا يتن . ويقال : من كان به داء قديم فليأخذ درهمًا حلالًا وليشتر به عسلًا ثم يشربه بماء سواء فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسن يعجبه إذا استمشى الرجل أن يشرب اللبن والعسل .

ويزعم أصحاب الطبائع أن العسل إذا ديف بالماء وخلط معه زيت أو دهن سميم نافع لمن شرب السموم والأدوية القاتلة يتقيًا به .

ميمون بن مهران عن ابن عباس قال - ولا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "أكرموا الخبز فإن الله سخر له السموات والأرض" .

الأصمعي قال : كانت امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة وكانت قد أدركت بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان العباد يغشونها في منزلها ، فعاب عائب عندها السويق ، فقالت : لا تفعل ! إنه طعام المسافر ، وطعام العجlan ، وغذاء المبكر ، وبلغسة المريض ، ويشد فؤاد الحزين ، ويرد من نفس الضعيف ، وهو جيد في التسمين وتقوية الباقم ، ومسمنونه يصفى الدم ، إن شئت كان ثريدا ، وإن شئت كان خبيصا ، وإن شئت كان خبرا .

وكان غسان بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علي يقول لجاريته : خوضي لنا سويقا فأخثره ، فإن الرجل لا يستحي أن يزداد ماء فيرققه ، ويستحي أن يزداد سويقا فيخثره به .

(١) استمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط . (٣) في الأصل : « كان في الطفاوية امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة ... الخ » . (٤) الطفاوة : حتى من قيس عيلان ، وموضع بالبصرة سمي بالقبيلة التي نزلت . (٥) كذا بالأصل ، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق ، وفي المقد الفريد : « طعام المسافر والعجlan » . (٦) سمن الطعام يسمنه سمن فهو مسمون : عمله بالسمن وله به . (٧) خوض الشراب وخاضه : خلطه وحركه . والخفورة : صد الرقة ، يقال : أخثر الشيء وخثره إذا خلطه بمد الرقة .

مرة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علي وهو في مَزْرَعَتِهِ وقد عَطِشَ، فاستسقاءه نَخَاضَ له سَوِيْقٌ لَوِزٍ فسقاه إياه؛ فقال عبد الله :

شَرِبْتُ طَبْرَزْدًا بِفَرِيضٍ مُزْنٍ * وَلَكِنَّ الْمِلَاحَ بِكُمْ عِذَابُ

وما [هو] بالطَّبْرَزْدِ طَابَ لَكِنْ * بِمَسِّكَ إِنَّهُ طَابَ الشَّرَابُ

وَأَنْتَ إِذَا وَطِئْتَ تَرَابَ أَرْضٍ * يَطِيبُ إِذَا مَشَيْتَ بِهِ التَّرَابُ

لِأَنَّ نَدَاكَ يَنْفِي الْحَمْلَ عَنْهَا * وَتُحْيِيهَا أَيْادِيكَ الرُّطَابُ

وقال الحسنُ : لَا تَسْقُوا نِسَاءَ كَمْ السَّوِيْقُ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بَدَ فَاعِلِينَ فَاحْفَظُوهُمْ.

وقال الزَّهَّاقِيُّ : السَّمْنَةُ لِلنِّسَاءِ غُلْمَةٌ وَهِيَ لِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ : اللَّبَنُ وَالسَّوَالِكُ^(١) وَالذَّهْنُ» .

الرياشي قال : سمعتُ أبا يزيد يقول : رأيتُ رجلاً كَأَنَّ أَسْنَانَهُ الذَّهَبُ لشربه اللَّبَنَ حَارًّا .

الأصمعي عن ذِي الرِّمَّةِ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا قَلَّتْ لِلزَّجَلِ : أَيُّ اللَّبَنِ أَطْيَبُ ؟ فَإِنْ قَالَ : قَارِصٌ، فَقُلْ : عَبْدٌ مَنْ أَنْتَ ؟ وَإِنْ قَالَ : الْحَلِيبُ، فَقُلْ : ابْنُ مَنْ أَنْتَ ؟

مرة رجل من قريش بامرأة من العرب في بادية، فقال : هل من لبن يُبَاعُ؟ فقالت : إِنَّكَ لَتَيْمٌ أَوْ قَرِيبٌ عَهْدٍ بِقَوْمٍ لَتَامَ .

(١) الطبرزد : السكر فارسي معرب ، ويقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس وشرحه مادة طبرزد ومفردات ابن اليطار طبع بولاق في اسم الطبرزد) . (٢) الفريض من اللحم والماء واللبن والتمر: الجديد الطازج . (٣) في الأصل : «وتجنينا» بالميم والنون وهو تحريف .

(٤) في الأصل هكذا : «الوساك» وهو تحريف . (٥) القارص : الحامض . (٦) أي هو عبد ، لأنه باستطاعته الحامض دل على أنه لم ير خيرا منه ، اذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه فلا يصل اليه الحليب إلا حامضا .

وكان يقال : اللبنُ أحدُ اللَّحْمَيْنِ .

وقال بعضُ المَدِينِيَّينَ : مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ مَوْزَاتٍ (١) وَبَقْدَجٍ مِنْ لَبَنٍ إِبِلٍ أَوْ أَرَاكٍ (٢) تَجَشَّأَ بِخَوَرِ الْكُمْبَةِ .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل مِنْ قِرَى؟ فقالت : نعم ، قال : وما هو؟ قالت : خُبْرٌ نَحْمِيرٌ وَلَبَنٌ فَطِيرٌ وَمَاءٌ نَمِيرٌ ، والعرب تقول : «إِنَّ الرِّثْيَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبَ» (٣) .
وَالرِّثْيَةُ : اللبنُ الحامضُ يُحَلَّبُ عَلَيْهِ الْحَلِيبُ ، وهو أَطْيَبُ اللَّبَنِ . قال بعضُ الأعرابِ :

وَإِذَا خَشِيتَ عَلَى الْفُؤَادِ لِحَاجَةً * فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِمِجْرَةٍ مِنْ رَائِبٍ

وعن مطر الوزاق : أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ شَكَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الضَّعْفَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ

إِلَيْهِ : أَنْ أَطْبِخَ اللَّبَنَ بِاللَّحْمِ ، فَإِنَّ الْقُوَّةَ فِيهِمَا .

وصف أعرابيٌ خَضَبَ الْبَادِيَةِ فَقَالَ : كُنْتُ أَشْرَبُ رِثْيَةً تَجْرُهَا الشَّفْتَانِ جَرًّا ، وَقَارِصًا إِذَا تَجَشَّأْتُ جَدَعَ أَنْفِي ، وَرَأَيْتُ الْكَمَاةَ تَدُوسُهَا الْإِبِلُ بِمَنَاسِمِهَا ، وَخُلَاصَةً يَسْمُهَا الْكَلْبُ فَيُعْطِسُ .

وتقول الأطباءُ : إِنَّ اللَّبَنَ إِذَا سُخِّنَ بِالنَّارِ وَسِيطَ بِعُودٍ مِنْ عِيدَانِ شَجَرِ التَّيْنِ رَابٍ مِنْ سَاعَتِهِ . وَقَالُوا : وَإِنْ أَرَادَ صَاحِبُهُ الْإِيْرُوبَ (٨) وَإِنْ كَانَ فِيهِ رُبُوبَةٌ جَمَلَ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْحَبَقِ ، وَهُوَ الْفُؤَذُجُّ النَّهْرِيُّ (٩) ، فَإِنَّهُ يَبْقَى كَهَيْئَتِهِ .

(١) تصبح : أكل شيئًا قليلًا يتعل به . (٢) كذا في الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .

(٣) الإبل الأراك : التي تأكل الأراك . (٤) الماء النمر : الناجع في الرى ، وقيل :

الماء النمر : الكثير . واللبن الفطير : الطرى القريب العهد من الحلب . (٥) هذا مثل ذكره

الميداني وقال : الرثية : اللبن الحامض يخلط بالحلو ، وتفتأ الغضب أى تكسره وتذهب . وأصله أن رجلا

زل به يوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الرثية فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : النمر

والسويق يلقي في السمن . (٧) سيط : حرك . (٨) في الأصل : «فان» .

(٩) الفوذجج : نبت ، معرب عن يوذيه .

أخبار من أخبار العرب في ما كلهم ومشاربهم

المعلل الربيعي قال : مكثت ثلاثاً لا أذوق طعاماً ولا أشرب فيه شراباً ، فدعوت الله تعالى ، وإذا دعا العبد الله بقلب صادق كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ، فدفعْتُ إلى ذئبين في جَفْرِ^(١) ، فرميتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جَفراً فيه ماء فاستقيت ، ثم أتيتُهما وإذا هما على مهيدتيهما^(٢) ، وإذا لها نخفةٌ — يعني شبه الزفير — فاشتويتُ وأخذتُ وآذنتُ^(٣) .

قال ابن قرفة (شيخ من سليم) : أضافني رجل من الأعراب بخافني يقدر^(٤) جماع ضخمة ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحم ، فإذا بضعة تمنت في فمي ، وبضعة كأنها يضع ساق ، وبضعة كأنها شحم زخم^(٥) ، فقلت : ما هذا؟ فقال : إني رجل صياد ، جمعت بين ذئب وظبي وضئع .

قال مدني لأعرابي : ما تأكلون وما تدعون ؟ قال : نأكل ما دب ودرج^(٦) إلا أم حنين ، فقال المدني : ليهني أم حنين العافية^(٧) .

- (١) الجفر : البئر الواسعة التي لم تطو ، وقيل : هي التي طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على مهيدتيهما : على حالهما التي كانا عليها ، يقال : هو على مهيدته ومهيدته ، بالهمز وعدده ، حكاة نعلب وقال : لا مكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس في مادتي (هدى) و(هدأ) . (٣) احتذيت : اتخذت نعلاً . (٤) قدر جماع وجامعة : عظيمة ، وقيل : هي التي تجمع الجزور . (٥) تمنت : فتتد وتمشط . (٦) زخم : كربة حيث الراحة . (٧) بجاء مهملة مضمومة وباء موحدة مخففة : دويصة قيل : هي ضرب من العطاء ، وقيل : هي أعرض من العطاء ، وقيل : هي أنفى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهي مثنة الریح تخامها الأعراب فلا ياكلونها لنتنها ، ويقال لها : حينئذ معرفة بلا ألف ولا واء وإنما سميت بذلك لكبر بطئها ، من الحين الذي هو السقي في البطن . يقول : فلان به حين فهو أحسن أي مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) في الأصل : «لين» قال شارح القاموس في مادة هنا : تقول العرب في الدعاء : ليهتك الفارس بجزم الهمة ولهيك الفارس بيا . ساكنة ، ولا يجوز ليهتك كما تقول العامة ، أي لأن الياء بدل من الهمة ، ثم قال : وقد ورد في صحيح البخاري في حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهتك توبة الله عليك . راجع شرح القاموس (مادة هنا) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجل من بني هلال بن عامر، فذكروا الضَّبَّ
ومن يأكله، فأفرط الفضل في ذمّه وتابعه القوم، فعاظ الهلالي ما سمع منهم،
ولم يكن على المائدة عروبي غيره، ثم لم يلبث أن أتى الفضل بصحفة فيها فراخ^(١)
الزناير، فلم يشك الأعروبي أنها ذبان البيوت، فقال حين خرج :

وعليج يعاف الضب^(٢) لؤما ويطنّة * وبعض إدام العليج هام ذباب
ولوأت ملكا في الملا ناك أمه * لقالوا لقد أوتيت فصل خطاب

وقال أبو الهندي (رجل من العرب) :

أكلت الضباب فما عفتها * ولمنى لأشهى قديد^(٤) الغنم
ولحم الخروف حيندا^(٥) وقد أثبت به فاترا^(٦) في السقم
فأما البهط^(٧) وحيثانكم * فما زلت منها كثير السقم
وقد نلت منها كما نلت^(٨) * فلم أر فيها كضب هريم

(١) قال الديمري في حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) في الكلام على الزنبر : « وفراخ الزناير

تؤخذ من أوكارها وتغلى في الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) ، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهي لا تختلف

في المعنى عما ورد في الأصل . وفي الأصل : « وعلج يعاف الضب واللوم بطنه » . (٣) كذا

ورد في اللسان (أدق عرب وبهط) منسوباً إليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة

في كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفي الأصل : « أبو هند » . (٤) القديد : اللحم

الملوح المحفف في الشمس . (٥) حيند : مشوى . (٦) كذا في الديمري (ج ٢ ص ٩٣)

والحيوان للجاحظ ، وقد فسره الديمري بماء الأسنان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه

الغوى . وفي الأصل : « السم » وهو تحريف . (٧) قال في اللسان : « البهط : كلمة سندية وهي

الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلاماء ، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة » .

ولا في اليُوض كَيْبُض الدَّجَاج * وَبَيْض الدَّجَاجِ شِفَاء الْقَرَمِ^(١)
وَمَكْنُ الضَّبَابِ طَعَامُ الْعَرِيبِ * وَلَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُ الْعَجَمِ^(٢)

وقال بعض الأعراب :

وَأَنْتَ لَوْ دُوتَ الْكَثَى بِالْأَكْبَادِ * لَمَا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَعْدُو بِالْوَادِ^(٣)

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدم إليه جرادا؛ فقال :

لَحَى اللَّهُ بَيْتًا ضَمَّنِي بَعْدَ هَجْمَةٍ * إِلَيْهِ دَجُوجِي مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمٌ

فأبصرتُ شيخاً قاعداً بِفَنَائِهِ * هُوَ الْعِزُّ إِلَّا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ

أَنَا نَا بَرَقَانِ الدَّبِّي فِي إِمَانِهِ * وَلَمْ يَكْ بَرَقَانِ الدَّبِّي لِي مَطْعَمٌ^(٤)

فقلت له غَيْبُ إِيْنَاءِكَ وَاعْتَرَلِ^(٥) * فَهَلْ ذَاقَ هَذَا، لَا أَبَالَكَ، مُسْلِمٌ

وقال بعض العباسيين :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحُبُّ بِي النَّا * قَةُ نَحْوِ الْعُذَيْبِ فَالْصَّنِينِ^(٦)

مُحَقِّبًا زُكْرَةً وَخُبْرَ رُقَاقٍ * وَجِينًا وَقِطْعَةً مِنْ نَوِي^(٧)

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري وكتاب الحيوان للمحافظ . وفي الأصل : « ويبض الجراد » .

(٢) كذا في حياة الحيوان للدميري وكتاب الحيوان للمحافظ . والقرم (فتح القاف والراء) : شدة الشهوة إلى

الحم . وفي الأصل « الشقم » وهو تحريف . (٣) المكن (يفتح الميم وإسكان الكاف) وبالنون

في آخره) : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب ؛ قال في اللسان مادة عرب : صغروهم

تعظيما كما قال : أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب . وفي الأصل « العريب » بالعين المعجمة

وهو تحريف . (٥) الكشي : جمع كشية (بضم الكاف وإسكان الشين) وهي أصل ذنب الضب .

(٦) البرقان : جمع برقانة وهي الجرادة المتلونة . والدبي : الجراد ، أي أنانا بالمتلون من الجراد .

(٧) في الأصل : « فناك » . (٨) ذكر هذا الشعر بالجزء الثاني من كتاب الأغاني

(طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوباً إلى حنين بن بلوع الحيري ، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة

العباسية . (٩) العذيب : ماء ، ليني تميم ، وهو أول ماء يلقى الإنسان بالبادية إذا سار من قادية

الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر وبه نهر ومزارع .

ورواية الأغاني في هذا الشطر : « بين السديروالصنين » وفي اللسان : « بين العذيب فالصنين » بفاء العطف وهو

ما اخترناه . وفي الأصل : « في الصنين » . وفي هذا الشعر السناد وهو ، كما فسره ابن سيده ، المخالفة بين الحركات

التي تلي الأرداف في الروي . (١١) يقال : أحقبت الزكرة واحتقبتها إذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة

بالزاي : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يوماً وقد راح ضُحيتي * تَرَى أبتغى من صَيْدِهِ وَأَخَاتِلُهُ^(١)
 فلما التَقْتُ كَفَى عَلَى فَضْلِ ذَيْلِهِ * وشالت شمالي زَايِلَ الضَّبِّ بَاطِلُهُ^(٢)
 فأصبح محنوداً نَضِيجاً وأصبحت * تَمْشِي عَلَى الْقِيزَانِ حَوْلًا حَلَالُهُ^(٣)
 شديدٌ أصفرار الكُشَيْتَيْنِ كَأَنَّمَا * تَطْلَى بَوْرِسَ بَطْنِهِ وَشَوَا كِلَهُ^(٤)
 فذلك أَشْبَى عِنْدَنَا مِنْ نِتَاجِكُمْ * لِحَى اللَّهِ شَارِيهِ وَقُبْحِ آكِكُهُ^(٥)^(٦)^(٧)^(٨)^(٩)

وبنو أسيدٍ تُعَيِّرُ بِأَكْلِ الْكِلَابِ؛ قال الفرزدق :

إِذَا أَسِيدِي جَاعَ يَوْمًا بِلْدَةٍ * وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكِكُهُ

وَتُعَيِّرُ أَيْضًا بِأَكْلِ لَحُومِ النَّاسِ، كما قال الشاعر :

إِذَا مَا ضِغْتْ لَيْلًا فَتَعَسِيًّا * فَلَا تَأْكُلْ لَهُ أَبَدًا طَعَامًا

فَإِنَّ اللَّهَ لَأَنْسَانَ فِدَعُهُ * وَخَيْرُ الزَّادِ مَا مَنَعَ الْحَرَامَ

(١) في الأصل : « وأخاطره » والقافية في الشعر اللام، وقد ورد هذا الشطر في كتاب الحيوان للجاحظ

(ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر) :

* وبالله أبغى صيده وأخاتله *

(٢) كذا في كتاب الحيوان، وشالت : ارتفعت . وفي الأصل : « نالت » . (٣) الشوا .

المحنود الذي قد ألقيت فوقه الحجارة الموضوعة بالنار حتى ينشوى أنشواء شديد فيتهرب تحتها .

(٤) القيزان : جمع قوز (بالفتح) وهو الكتيب الصغير من الرمل تشبه به أرداف النساء . (٥) كذا

في كتاب الحيوان . والكشية : شحمة جلن الضب أو أصل ذنبه ، وفي الأساس أنها شحمة مستطيلة في جنبه .

وفي الأصل : « الكليتين » . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل :

جمع شاكلة وهي الخاصرة . (٨) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصل : « كذلك » بالكاف .

(٩) في الأصل « نياحكم » (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والنصوب عن كتاب الحيوان للجاحظ .

(١٠) نسب هذا الشعر في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوربا) إلى معروف الديري .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناساً حول نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا
حيات فهم يَشْتَوْنَهَا وَيَأْكُلُونَهَا، فَأَتَيْتُهُمْ فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حيةً من الجحر
لِأَكْلِهَا فامْتَنَمَتْ عَلَيْهِ، فجعل يمدّها كما يُمَدُّ عَصِيبٌ لَمْ يَنْضَجْ، فما صرفتُ بصرى عنه
حَتَّى لُبِجَ^(١) بِهِ فمات، فسألت عن شأنه فقيل لى : عَجَلَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَنْضَجَ وتعمل
فِي سُمِّهَا النَّارُ .

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحماً ، فَاشْتَرَوْهُ فطبخه حتى
تَهْرَى ، وأكل منه حتى انتهت نفسه، وَشَرَعَتْ إِلَيْهِ عَيُونُ وَلَدِهِ فَقَالَ : مَا أَنَا
بِمُطْعِمِهِ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ أَحْسَنَ وَصَفَ أَكْلَهُ؛ فقال الأكبرُ منهم : أَكَلَهُ يَا أَبْتَ
حَتَّى لَا أَدْعَ لِلذِّبَةِ فِيهِ مَقِيلًا؛ قال : لَسْتَ بِصَاحِبِهِ . فقال الآخر : أَكَلَهُ حَتَّى
لَا يُدْرَى أَلِعَامِيَهُ هُوَ أَمْ لِعَامٍ أَوَّلُ؛ قال : لَسْتَ بِصَاحِبِهِ . فقال الأصغر : أَدَقَّهُ
يَا أَبْتَ دَقًّا وَأَجْعَلْ إِدَامَهُ الْمَخْ؛ قال : أَنْتَ صَاحِبُهُ، هُوَ لَكَ .

بيننا أعرابى يسير وهو يُوضَعُ بَعِيرُهُ^(٢) إِذْ سَقَطَ بَعِيرُهُ فَنَحَرَهُ وَأَكَلَهُ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :
إِنْ السَّعِيدُ مِنْ يَمُوتَ جَمَلُهُ * يَشْبَعُ لَحْمًا وَيَقِلَّ عَمَلُهُ

ومرَّ رجلٌ من سُلُولِ بَيْتَيْنِ يَشْرَبُونَ فَشَرِبَ مَعَهُمْ؛ فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابَ قَامَ
إِلَى بَعِيرِهِ فَنَحَرَهُ، وَقَالَ :

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عِلَّلٌ * وَدَعَانِي مِنْ مَلَامٍ وَعَدَلٌ
وَأُنْشِلَا مَا أَغْبَرَ مِنْ قَدْرِيكَمَا * وَأَسْقِيَانِي أَبْعَدَ اللَّهِ الْجَمَلُ^(٣)

(١) يقال : لبج بالرجل ولبط به إذا صرع . (٢) يوضع بعيده : يبعده ويحمّله على

العدو الحديث . (٣) نسل اللحم (من بابي ضرب ونصر) وأنشله : أخرجه من القدر بيده من

غير المفرقة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الأَكْلُ في السُّوقِ ذَنَاءَةٌ". وعن عبد الرحمن بن عِرَاقٍ قال : بلغني أنه مَنْ غَسَلَ يَدَهُ قَبْلَ الطَّعَامِ كَانَ فِي سَعَةِ مِنَ الرِّزْقِ حَتَّى يَمُوتَ .

عن الحسن أنه قال : الوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي الْاَلَمَ^(١) .

وعنه قال : قيل لِسُمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ : إِنَّ أَبَاكَ أَكَلَ طَعَامًا كَادَ يَقْتُلُهُ ؛ قَالَ : لَوْ مَاتَ مَا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ .

وعن شُرَحْبِيلِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : يَأْسُ الْعَوْنُ عَلَى الدِّينِ قَلْبٌ نَحِيبٌ ، وَبَطْنٌ رَغِيبٌ^(٢) ، وَنَعَظٌ شَدِيدٌ^(٣) .

أَكَلَ الْحَارُودُ مَعَ عَمْرِ طَعَامًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَةُ هَاتِ الدَّسْتُورَ^(٤) ؛ فَقَالَ عَمْرٌ : امْسَحِي بِأَسْتِكَ أَوْ ذَرِي .

قال جعفر : كُنَّا نَاتِي فَرَقْدَا السَّبِيخِيَّ وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ فَيَعْلَمُنَا : إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانًا شَدِيدًا ، فَشُدُّوا الْأَزْرَ عَلَى أَنْصَافِ الْبُطُونِ ، وَصَغَّرُوا اللَّقْمَ ، وَشَدَّدُوا الْمَضْغَ ،

(١) اللم : ما دون الكجائر من الذنوب ، وفي التنزيل العزيز : (الذين يجنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللم) يعني الذنوب الصغائر . (٢) نحيب : جبان كأنه متزعج الفؤاد .

(٣) بطن رغب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر

ابن عمرو بن حنش بن المولى من بني عبد القيس العبدي الصحابي ، والحارود لقبه ومعناه المشغوم ، لأنه فر بابل الجرد (التي أصابها الجرد) إلى أخواله من بني شيبان ، فقتل ذلك الداء في إياهم فأهلكها . وقد

على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة إحدى وعشرين .

(٥) الدستور : ثوب أحمر يضرب إلى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى

بمعنى أحمر ضارب إلى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادتي دست وورد) ، ولعله يقصد هنا المذشفة .

(٦) شبية : جمع شاب .

وَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا . وَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَحْلَنْ لِإِزَارِهِ فَتَشِعَّ أَمْعَاؤُهُ . وَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ لِيَأْكُلَ فَلْيَقْعُدْ عَلَى أَلْتَيْهِ، وَلْيَلْزِقْ بَطْنَهُ بِفَخْذَيْهِ ، وَإِذَا فَرَّغَ فَلَا يَقْعُدْ وَلْيَجِئْ وَلْيَذْهَبْ ، وَأَحْتَمُوا فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانًا شَدِيدًا .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا “ .

وعن الجارود بن أبي سبرة قال : قال لي بلال بن أبي بريدة : أَنَحْضُرُ طَعَامَ هَذَا الشَّيْخِ — يَعْنِي عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ — ؛ فَقُلْتُ : إِيَّاهُ وَاللَّهِ ؛ فَقَالَ : حَدَّثَنِي عَنْهُ . فَقُلْتُ : نَاتِيهِ وَكَانَ سَكِينًا ، إِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ، وَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، فَإِذَا حَضَرَ الْغَدَاءُ جَاءَ خَبَّازُهُ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَيَقُولُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : بَطَّةٌ بَكْذَا ، وَدَجَاجَةٌ بَكْذَا وَكَذَا . قَالَ : وَمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ ؟ قُلْتُ : كَيْ يَحْبِسُ كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْسَهُ إِلَى مَا يَشْتَهِي ، فَإِذَا وَضَعَ الْخَوَانُ خَوْىَ تَحْوِيَةِ الظِّلِيمِ فَمَالَهُ إِلَّا مَوْضِعٌ مُتَكَئِهِ فَيَجِدُ وَيَهْزُلُ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْهُمْ قَدْ فَرَّوْا وَكَلَّوْا أَكَلَ مَعَهُمْ أَكْلَ الْجَائِعِ الْمَقْرُورِ حَتَّى يَنْشَطَّهُمْ بِأَكْلِهِ .

وكان يقال : إِذَا اجْتَمَعَ لِلطَّعَامِ أَرْبَعُ كَلَلٍ : أَنْ يَكُونَ حَلَالًا ، وَأَنْ تَكْتَفِرَ عَلَيْهِ الْأَيْدِي ، وَأَنْ يُفْتَحَ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَيُخْتَمَ بِحَمْدِ اللَّهِ .

- (١) فِي الْأَصْلِ : « فَتَشِعَّ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) احْتَمُوا : امْتَنَعُوا عَنِ الطَّعَامِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « احْتَفُوا » . (٣) إِيَّاهُ (بِالنَّصْبِ) : مَعْنَاهُ الْكَفِّ ، وَقَدْ يَرِدُ لِلتَّصَدِيقِ وَالرِّضَا كَمَا هُنَا ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ الزَّيْرِ لَمَّا قِيلَ لَهُ : يَا بْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ؛ فَقَالَ : إِيَّاهُ وَالْإِلَهَ ، أَيْ صَدَقْتَ وَرَضِيتُ بِذَلِكَ . (٤) سَكِينًا : كَثِيرُ السَّكُوتِ قَلِيلُ الْكَلَامِ . (٥) فِي الْأَصْلِ « يَخْتَنِي » وَالتَّصَوُّبُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خَوْىَ الرَّجُلُ : فَرَجَ مَا بَيْنَ عِضْدَيْهِ وَجَنْبَيْهِ . (٧) كَذَا فِي كِتَابِ النَّاجِ لِلْجَاهِظِ (ص ٢٠ طَبْعُ بُولَاق) وَكِتَابِ الْبَحْلَاءِ لَهُ أَيْضًا (ص ١٩٤ طَبْعُ أَوْرَبَا) . وَالظَّالِمُ : ذَكَرَ النَّعَامَ ، وَفِي الْأَصْلِ : « تَحْوِيَةُ الظِّلِيمِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٨) الْمَقْرُورُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْقَرْ وَهُوَ الْبَرْدُ .

وكان يُقَالُ : سَمُوا إِذَا أَكَلْتُمْ وَدَنُوا وَسَمْتُوا ^(١) .

قال أُرْوِزُ لَصَاحِبِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ : إِنِّي سَلَطْتُكَ عَلَى الْمَعِيشَةِ ، وَأَشْرَكْتُكَ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُكَ أَمِينًا عَلَى نَفْسِي ، وَوَلَّيْتُكَ مِنْ طَعَامِي وَشَرَابِي مَا التَّوَسَّعَ فِيهِ مُرُوءَةً وَالتَّضَيَّقَ فِيهِ دَنَاءَةً ؛ فَأَجْعَلُهُ فِي فَضْلِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ كَفَضْلِي عَلَى مَنْ سِوَايَ ، وَفِي كَثْرَتِهِ ككَثْرَةِ مَنْ مَعِيَ عَلَى مَنْ مَعَ غَيْرِي . وَلَا يَسْهَدَنَّ طَعَامِي الَّذِي أَكُلُ عَيْنٌ تَرَاهُ وَلَا نَفْسٌ تُحِسُّهُ وَلَا يَدٌ تَدَاوُلُهُ خِلَا نَفْسًا وَاحِدَةً ؛ وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُهُ بِذَلِكَ لِتَسْتَحْكِمَ الْحِجَّةَ فِيهِ عَلَى مَنْ أَضَاعَ ، وَتَقْطَعَ الشُّبُهَةَ فِيهِ عَمَّنْ غَفَلَ ، وَلَا أَجْعَلَ صَاحِبَ ذَاكَ رَهْنًا بِدَمِ نَفْسِهِ إِنْ هُوَ قَصَرَ فِي صُنْعِهِ أَوْ وَقَعَ بِغَائِلَةٍ .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ : أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَآمٌ مِنْ حَبِّ رُمَّانٍ مَدْقُوقٍ يَسْفُفُ مِنْهُ بَيْنَ كُلِّ لَوْنَيْنِ مِلْعَقَةً حَتَّى يَعْرِفَ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ .

وَفِيهَا أَجَازَ لَنَا عُمَرُو بْنُ بَحْرٍ مِنْ كُتُبِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيُّ يَقْعُدُ ^(٢) أَبْنَتَهُ مَعَهُ عَلَى خِوَانِهِ يَوْمَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِيَّاكَ وَنَهْمُ الصَّبِيَّانِ وَأَخْلَاقُ النِّوَانِ ، وَ[دَعِ عَنْكَ] ^(٣) خَبْطُ الْمَلَّاحِينَ وَالْفَعْلَةِ ، وَنَهَشُ الْأَعْرَابِ وَالْمَهْمَةِ ، وَكُلُّ مَنْ بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ فَإِنَّ حَفْظَكَ الَّذِي وَقَعَ وَصَارَ إِلَيْكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ شَيْءٌ طَرِيفٌ أَوْ لُقْمَةٌ كَرِيمَةٌ أَوْ بَضْعَةٌ شَبِيهَةٌ ^(٤) ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلشَّيْخِ الْمُعْظَمِ وَالصَّبِيِّ الْمَدْلَلِ ، وَلَسْتَ

(١) دَنُوا : كَلُوا مِمَّا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا يَلِيكُمْ وَمَا دَنَا وَقَرَّبَ مِنْكُمْ . وَسَمْتُوا : أَمْرٌ مِنَ التَّسْمِيَةِ وَهُوَ الدَّعَاءُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ . (انظر اللسان ما دَقِيَ سَمِتَ وَدَنَا) . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَكُتَابُ الْبُخْلَاءِ لِلْبَاحِظِ (ص ١١٥) ؛ وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ « أَبُو عَمَّانُ الثَّوْرِيُّ » . (٣) وَرَدَ فِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ : أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا كَانَ يَعْجَبُ بِالرُّمُوسِ وَيُحَمِّدُهَا وَيُصَفِّهَا وَكَانَ يَمْسِي الرَّأْسَ عَرَسًا . فَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ « يَوْمَ الرَّأْسِ » ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَجْتَمِعُ لَهُ فِيهِ هَذَا النُّوعُ مِنَ الطَّعَامِ . (٤) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ، وَفِي الْأَصْلِ « وَنَهْمُ السُّلْطَانِ » . (٥) الزِّيَادَةُ عَنْ كِتَابِ الْبُخْلَاءِ (ص ١١٧) (٦) الْبَضْعَةُ (بَفَتْحِ الْبَاءِ وَتَكْسِيرِ) : الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ .

واحدا منهما. وأنت قد تأتى الدعوات، وتُجيب الولائم، وتدخل منازل الإخوان، وعهدك باللحم قريب، وإخوانك أشدَّ قرماً^(١) إليه منك، وإنما هو رأس واحد، فلا عليك أن تتجافى عن بعض وتُصيب بعضاً. وأنا بعد أكره لك الموالاة بين اللحم؛ فإن الله يُغضُّ أهل البيت^(٣) للحمين.

وكان يقال: مُدْمِنُ اللحم كدمن الخمر.

ورأى رجل رجلاً يأكل لحماً، فقال: لحم يأكل لحماً، أف لهذا عملاً!

وكان عمر يقول: إياكم وهذه المجازر، فإن لها ضراوة^(٤) كضراوة الخمر.

يا بُنَيَّ عَوِّدْ نَفْسَكَ الْأَثَرَةَ^(٥) ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين، ولا تُدْمِنِ الْأَكْلَ إدمان النعاج، ولا تَلْقَمْ لَقْمَ الْجَمَالِ؛ فإن الله تعالى جعلك إنساناً وفضلك، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا. وأحذر سرعة الكظة وسرف البطنة^(٦).

قال بعض الحكماء: إذا كنت بطينا فعُدَّ نفسك من الزمنى. وقال الأعشى:

... .. وَالْبَطْنَةُ مِمَّا تُسْفَهُ الْأَحْلَامُ^(٧)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّعَّ دَاعِيَةُ الْبَشَمِ، وَأَنَّ الْبَشَمَ دَاعِيَةُ السَّقَمِ، وَأَنَّ السَّقَمَ دَاعِيَةُ الْمَوْتِ، فَمَنْ مَاتَ بِهَذِهِ الْمَيِّتَةِ فَقَدْ مَاتَ مَيِّتَةً لَيْثَةً، وَهُوَ مَعَ هَذَا قَاتِلُ نَفْسِهِ، وَقَاتِلُ نَفْسِهِ الْأُمُّ مِنْ قَاتِلِ غَيْرِهِ.

(١) قرم الرجل إلى اللحم قرماً: اشتدت شهوته إليه. (٢) كذا في كتاب البخلاء لم يحفظ (ص ١١٧) طبع أوربا، وفي الأصل «بعده» وهو تحريف. (٣) اللحمين: جمع لحم ككتف وهو الأكل للحم القرم إليه. (٤) الضراوة بالشئ: الولوج به. (٥) الأثرة (بالضم): المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويأثرها قرن عن قرن. (٦) الكظة: الامتلاء من الطعام. (٧) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة «بطن» والبيت:

يا بُنَيَّ الْمُنْذَرِينَ عِدَانِ وَالْبَطْنَةُ مِمَّا تُسْفَهُ الْأَحْلَامُ

وفي الأصل «والبطنة يوماً تسفه الأحلام».

يا بُنَيَّ، والله ما أدى حقَّ الركوع والسجود ذوكِظَةً، ولا خشع لله ذوبِظَةً،
والصومُ مَصَّعَةً، والوَجَبَاتُ عِيشُ الصالحين ^(١).

أنى بُنَيَّ، لأمرٍ ما طالت أعمار الهند، وصحَّت أبدان الأعراب. فله دَرُّ الحارث
ابن كَلْدَةَ حيث يزعم أن الدواء هو الأَزم ^(٢)، وأن الداء إدخال الطعام إثر الطعام.

أنى بُنَيَّ، لِمَ صَفَّتْ أذهان الأعراب، وصحَّت أبدان الرهبان، مع طول
الإقامة في الصوامع حتى لم تعرف النَّقْرُس ^(٣) ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لَقَلَّةَ
الرَّزْءِ وخَفَّةَ الزاد. وكيف لا ترغب في تدييرٍ يجمع لك صحَّةَ البدن، وذكَاءَ الذهن،
وصلاحَ المَعَى ^(٤)، وكثرة المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة ! ^(٥)

أى بُنَيَّ، لم صار الضَّبُّ أطولَ شَيْءٍ دَمَاءً ^(٦) إلا لأنه يتبلَّغ بالنسيم ؛ ولم قال
الرسول صلى الله عليه وسلم إن الصومَ وِجَاءٌ ^(٧) إلَّا ليُجعله حِجَازًا دون الشهوات. إفهم
تأديب الله، فإنه لم يقصِدْ به إلَّا الى مثلك.

أى بُنَيَّ، قد بلغتُ تسعينَ عاما ما نَفَضَ لى سَنَ، ولا أَنتَشَر لى عَصَبٍ ^(٨)،
ولا عرفتُ ذنينَ أنفٍ ^(٩)، ولا سَيَّلانَ عينٍ، ولا سَلَسَ بولٍ؛ ما لذلك عِلَّةٌ إلَّا التخفيف

(١) الوجبات : جمع وجبة وهي الأكلة في اليوم واليلة . (٢) الأزم : ألا تدخل طعاما على

طعام . (٣) النقرس كزبرج : داء يأخذ في الرجل . (٤) الرزء : ما يصيبه الإنسان من الطعام .

(٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر) : المصارين . وفي الأصل « المعاد » وهو تحريف .

(٦) الدماء : بقية النفس والحركة، والمراد : أطول شئ حياة . وفي العقد الفريد " أطول عمرا " .

(٧) كذا بالعقد الفريد . وفي الأصل : « زعم » . (٨) نص الحديث كما في الجامع

الصغير : « عليكم بالباة فن لم يستطع فعله بالصوم فانه له وِجاء » والوجاء : كما في النهاية لابن الأثير :

أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ويتزل في قطعه منزلة الخصى . (٩) حجازا :

مانعا وحائلا . وفي العقد الفريد : « حجابا » . (١٠) نفص قلق وتحرك . وانتشر العصب :

انتفخ . (١١) كذا في العقد الفريد، والذنين والذنان : الحائط الرقيق يسيل من الأنف،
وفي الأصل : « ذنين أذن » .

١٥

٢٠

من الزاد . فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تريد الموت فلا يُبعد الله إلا مَنْ ظلم نفسه .

وقال أبو نَهْشَل^(١) : كانت لي ابنة تجلسُ معي على المائدة فتُبرز كُفًّا كأنها طُلعة ، في ذراع كأنه جُمارة ، فلا تقع عنها على أكلة نفيسة . إلا خَصَّصْتُ بها ، فزوجْتُها وصرت أُجْلِسُ معي على المائدة أبنا لي فيُبرز كُفًّا كأنها كِرْنافة^(٢) ، في ذراع كأنه كَرَّبة ، فوالله ما إن تسبق عيني إلى لُقْمة طَيِّبة إلا سبقت يدهُ إليها .
وقال بعضهم : غَلَبَتْ يَطْنِي فِطْنِي .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكَّم الحَكَمَان : أكلثوا الطعام ، فوالله ما يَطْنُ قومٌ قط إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَةٌ رجل بات بطينا .
وكان يقال : أقلل طعاماً تَمَحَّدْ مناماً .

الأصمعي قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفِزها .

دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلاً فقال : ما في فضل ؟ فقال عبد الملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي مسترَد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي آستقبِحها أمير المؤمنين .
وقال لشيخ : ما أحسن أكلك ؟ قال : عملي منذ ستين سنة .

وقال الحسن : إن ابن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال : هل آتَمَحَّتْ قط ؟ قال لا ؛ قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأننا إذا طَبَخْنَا أنضَجْنَا ، وإذا مَضَغْنَا دَقَقْنَا ، ولا نَكْطُ المعدة ولا نُخْلِجُها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبي الحسن . (٢) الكِرْنافة : واحدة الكِرْناف (بالكسر وضم) وهو أصول الكرب التي تبق في جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة : الكلمة وهي امتلاء البطن من الطعام ، ومن أمثالهم : « البطنة تذهب الفطنة » . (٤) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « أبا المنور » وقد ورد هذا الاسم في الطبري (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثاني طبع أوربا) هكذا : « أبا الزعيرة » وفي ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا : « أبا الزعيرة » . (٥) كذا في العقد الفريد ، ولا نكط المعدة : لا نملؤها . وفي الأصل : « لا نكب » .

وقال الأحنف : جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإنى أبغض الرجل أن يكون وصافا لبطنه وفرجه، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي .

الأصمعي قال : بلغني أن أقواما لبسوا المطارف العتاق، والعائم الرقاق، وأوسعوا دورهم، وضيقوا قبورهم، وأسمنوا دوابهم، وهزلوا دينهم؛ طعام أحدهم غصب، وخادمه سُخْرَة، يتكئ على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكفلة قال : يا جارية هاتى حاطوما؛ وبلك ! وهل تحطم إلا دينك ! أين مساكنك ! أين يتاماك ! أين ما أمرك الله به ! أين أين ! .

قال بعض الحكماء : مدار صلاح الأمور في أربع : الطعام لا يؤكل إلا على شهوة، والمرأة لا تنتظر إلا إلى زوجها، والملك لا يوصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يوصلحها إلا العدل .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أَكَلَ مِنْ سَقَطِ المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد ولده من الحق" .

وقيل لأعرابي : أتحسن أن تأكل الرأس؟ قال : نعم، أتحص عيني، وأصحى، خذيه ، وأفك لحني ، وأرعى بالدماع إلى من هو أحوج مني إليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة ثبقي المخ في الجماجم .

دعبل قال : يا بُحَيَّ، لا تأكل ألية الشاة لأنها طبق الأست وقريب من الجواهر .

قال بعض الشعراء :

إذا لم أرى إلا لا أكل أكلة * فلا رفعت يميني طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة * ولا جوعة إن جعتمها بغرام

(١) الحاطوم : الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام . (٢) يحص عينه : أغارها . (٣) يقال : سحيت أحماء إذا قشرته . (٤) ومه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا تنفق المخ الذي بالجماجم

وفسر صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من النعال إلا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما في الجماجم لأن العرب تعبر بأكل الدماغ كأنه عندهم شره ونهم .

(٥) الجواهر : جمع جاعرة وهي الدبر .

عبد الملك بن عمير عن عمه عن الأصمعي قال : لا تخرج يا بُنَيَّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمَكَ ^(١) . يعني حتى تُتَغَدَّى . وقال هلال بن جشم ^(٢) :

وَإِنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلْؤُهُ * وَيَكْفِيكَ سَوَاءُ الْأُمُورِ أَجْتَنَابُهَا

وَقَرَأْتُ فِي الْآيِنِ ^(٣) : أَنْ رَجُلًا مِنْ خَدَمِ دَارِ الْمَلِكَةِ أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ :

إِذَا أَكَلْتَ فَضَمَّ شَفْتَيْكَ ، وَلَا تَلْفُتَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا . وَلَا تَتَخَذَنَّ خِلَالَكَ قَصَبًا .

وَلَا تَلْقَمَنَّ بِسَكِّينَ أَبَدًا ، وَإِذَا كَانَ فِي يَدِكَ سَكِّينَ وَأَرَدْتَ التَّنْقَامَا فَضَعُهَا عَلَى

مَائِدَتِكَ ثُمَّ أَلْتَقِمِ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مِزْلَةً . وَلَا تَتَخَلَّلَ بِعُودِ

أَسٍ . وَلَا تَمْسَحَ بِثِيَابِ بَدَنِكَ . وَلَا تُرِيقَ مَاءً وَأَنْتَ قَائِمٌ . وَلَا تَحْفِرَ أَرْضًا بِأَظْفَارِكَ .

وَلَا تَجْلِسَ عَلَى حَائِطٍ أَوْ بَابٍ أَوْ تَكْتُبَ عَلَيْهِمَا قُتْلَةً ، وَلَا تَسْتَرِحَ عَلَى أَسْكُفَةٍ ^(٤)

فُتْجَهْلٍ ، وَلَا تَسْتَنْجِ بِمَدْرَ فَيُورَتِكَ الْبُؤَاسِيرِ ، وَلَا تَمْتَحِظَ حَيْثُ يُسْمَعُ أَمْتِخَاطُكَ ،

وَلَا تَبْصُقَ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُنْظَفَةِ .

وَأَجْلِسْ مُعَاوِيَةً عَلَى مَائِدَتِهِ رَجُلًا يُوَاكِلُهُ ، فَأَبْصُرْ فِي لَقْمَتِهِ شَعْرَةً ، فَقَالَ : خُذْ

الشَّعْرَةَ مِنْ لَقْمَتِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَإِنْكَ لَتُرَاعِنِي مُرَاعَاةً مَنْ يُبْصِرُ الشَّعْرَةَ

فِي لُقْمَتِي ! وَاللَّهِ لَا أَكَلْتُ مَعَكَ أَبَدًا ! ثُمَّ نَحَرَ الْأَعْرَابِيَّ وَهُوَ يَقُولُ :

وَلَمَّا دَوَتْ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ أَشْبِعْتَ وَأَرْوَيْتَ فَهَنَّا ،

وَأَكْثَرْتَ وَأَطْبَعْتَ فِرْدَنَا .

(١) الحِلْمُ : العقل ، وفسر أخذ الحِلْمَ بالطعام لأنَّ الشَّعْرَةَ قَوَامُ الْعَقْلِ . وفي الأصل : « جَلْمُكَ بِالْجِيمِ » .

(٢) تقدّم هذا البيت في باب القناعة والاستغفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة

لبشار بن بشر . وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت

هذه الأبيات نفسها إلى هلال بن جشم . (٣) في تعليقات كتاب الناج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) :

الآيِن : كلمة فارسية عبرها العرب واستعملوها ، ومعناها القانون والعادة . (٤) الأسْكُفَةُ :

غُتِيَّةُ الْبَابِ . (٥) المَدْرُ : الثَّرَابُ الْمَطْبُودُ . (٦) كذا في الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ

(ص ٧٤) . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « هشام بن عبد الملك » .

الجوع والصوم

قيل لبعض الحكماء : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أعلم .

وكان يقال : نعم الإدام الجوع ، ما أقيت إليه قبلة .

قال لقمان لابنه : يا بني ، كل أطيب الطعام ، وتم على أوطأ الفراش . يقول :

أكثر الصيام ، وأطول بالليل القيام .

اشتاق أعرابي بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بالمصير لما ساءني شبعي * ألا سبيل إلى أرض بها جوع

ألا سبيل إلى أرض بها عرس^(١) * جوع يصدع منه الرأس برقوع^(٢)

وقال آخر :

وعادة الجوع فأعلم عصمة^(٣) وغنى * وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع

العتي قال : قلت لرجل من أهل البادية : يا أخي ، إني لأعجب من [أن] فقهاءكم أظرف من فقهاءنا ، وعوامكم أظرف من عوامنا ، ومجانيتكم أظرف من مجانيننا ، قال : وما تدري لم ذاك ؟ قلت لا ؛ قال : [من] الجوع ؛ ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلق جوفه ! .

وقيل لبعض حكماء الروم^(٤) : أى وقت الطعام فيه أطيب وأفضل ؟ قال : أما

لمن قدر فإذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد .

(١) كذا بالأصل ، ولعله « غرت » (بالعين المعجمة والتاء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقوع البركوع والبرقوع (فتح الباء الموحدة

وضمها في الأول وفتح الباء المثناة في الثاني) والخنطور والخنطار . (٣) في الأصل : « وعنا » .

(٤) رويت هذه الحكاية في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .

(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « برز جمهور » وهو من حكماء الفرس .

وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى قَوْمٍ يَلْتَمِسُونَ هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ أَثَرْتُمُوهُ لَتُسَكِّنَنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي عَيْشٌ أُغْبِرُ.^(١)

وَقِيلَ لِآخَرٍ: أَلَا تَصُومُ الْبَيْضَ مِنْ شَعْبَانَ! فَقَالَ: بَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُونَ كَأَنَّهَا الْقَبَاطِيُّ.^(٢)

وَقِيلَ لِمَدَنِيٍّ: بِمِ تَسْحَرُ اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ: بِالْيَاسِ مِنْ فَطُورِ الْقَابِلَةِ.

الرَّيَاشِيُّ قَالَ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: اشْرَبْ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ عَلَى مَيْلَةٍ.^(٣) وَقَالَ:
إِذَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّبِذِ تَرِيدَةً * مُبَقَّلَةً صَفْرَاءُ تَحْمُ جَمِيعُهَا
فَإِنَّ نَبِذَ الصَّرْفِ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ * عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ أَوْجَعَ الْكَبِدَ جُوعُهَا

قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى ابْنِ عَمٍّ لَهُ بِالْحَضَرِ، فَأَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ؛ فَقِيلَ لَهُ: أَبَا عَمْرٍو
لَقَدْ أَتَاكَ شَهْرُ رَمَضَانَ؛ قَالَ: وَمَا شَهْرُ رَمَضَانَ؟ قَالُوا: الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ؛
قَالَ: أِبَاللَّيْلِ أَمْ بِالنَّهَارِ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ بِالنَّهَارِ؛ قَالَ: أَفَيَرَضُونَ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ؟
قَالُوا: لَا؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَصُمْ فَعَلُوا مَاذَا؟ قَالُوا: تُضْرَبُ وَتُحْبَسُ؛ فَصَامَ أَيَّامًا فَلَمْ
يَبْصُرْ، فَارْتَحَلَ عَنْهُمْ وَجَعَلَ يَقُولُ:

يَقُولُ بَنُو عَمِّي وَقَدْ زُرْتُ مِضْرَهُمْ * تَهَيَّأْ أَبَا عَمْرٍو لِشَهْرِ صِيَامِ
فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا جِرَابِي وَمِزْوَدِي * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَأَذْهَبُوا بِسَلَامِ
فَبَادَرْتُ أَرْضًا لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ * عَلَى وَلَا مَنَاعُ أَكْلِ طَعَامِ

(١) قد صححتنا هذه الجملة عن الجزء الحادي عشر من كتاب تذكرة ابن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت

في الأصل محذوفة هكذا: «لَتُسَكِّنَنَّ مِنْهُ أَذْنَايَ عَيْشٌ أُغْبِرُ» . (٢) القباطي: ثياب بيض من كان

كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان . (٣) الثميلة: البقية القليلة من الطعام أو الشراب

وأدرك أعرابياً شهر رمضان فلم يصُمْ ؛ فعدّته امرأته في الصوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّوْمِ لَا دَرَّ دَرُّهَا * وَفِي الْقَبْرِ صَوْمٌ يَا أُمِّمَ طَوِيلُ
دَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ الْحُسَيْنَ فَخَضِرَ وَأَصْحَابَهُ ، فَآكَلُوا وَلَمْ يَأْكُلْ ؛ فَقِيلَ لَهُ :
أَلَا تَأْكُلُ ! فَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ ، وَلَكِنْ تُحْفَةُ الصَّائِمِ ؛ قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الدَّهْنُ
وَالْمِجْمَرُ .

أَخْبَارٌ مِنْ أَخْبَارِ الْأَكَلِ

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : أَحِبُّ أَنْ أَرْزُقَ ضَرْسًا طَحُونًا ، وَمِعْدَةً هَضُومًا ،
وَسُرْمًا تَتُورًا^(١) .

١٠ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ عُمَرَ يُلْقِي
إِلَيْهِ الصَّبَاغَ مِنَ التَّمْرِ فَيَأْكُلُهُ حَتَّى حَشَفَهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

هَمْ الْكَرِيمُ كَرِيمُ الْفِعْلِ يَفْعَلُهُ * وَهَمْ سَعِيدٌ بِمَا يُلْقَى إِلَى الْمَعِدَةِ
وَقِيلَ لِرَجُلٍ رُئِيَ سَمِينًا : مَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَكِلِي الْحَارَّ ، وَشَرِبِي الْقَارَ ، وَأَتَكَلَّى^(٢)
عَلَى شِمَالِي ، وَأَكِلِي مِنْ غَيْرِ مَا لِي . ١٥

وَقِيلَ لِأَخْرَ : مَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ : قِلَّةُ الْفِكْرَةِ ، وَطُولُ الدَّعَةِ ، وَالنَّوْمُ
عَلَى الْكِظَةِ^(٣) .

(١) كَذَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ (سَرْمَ) ، وَالسَّرْمُ التَّمْرُ : الْكَثِيرُ الْقُلْفُ لِلثَّلِثِ مِنَ الْمَعَى . وَفِي الْأَصْلِ :

”وَسُرْمًا مَشَافَا“ . (٢) فِي الْأَصْلِ «وَأَتَكَلَّى» بِاللَّامِ . (٣) الْكِظَةُ : شَيْءٌ يَغْتَرَى الْإِنْسَانُ

عِنْدَ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الطَّعَامِ . ٢٠

قال المجاج للغضبان بن القبعثرى فى حبسه : ما أسمنك ؟ قال : القيد والدعة ،
ومن كان فى ضيافة الأمير فقد سمين .

وقال آخر لرجل رآه سمينا : أرى عليك قطيفة من نسج أصراسك .

وقيل لآخر : إنك لحسن الشحمة لين البشرة ؛ فقال : آكل لباب البر بصغار
المعز ، وأدهن بدهن البنفسج ، وألبس الكنان .

قيل لميسرة الأكل وأنا أسمع : كم تأكل فى كل يوم ؟ قال : من مالى
أو من مال غيرى ؟ قالوا : من مالك ؛ قال : دونان ؛ قالوا : فمن مال غيرك ؟ قال :
أخز وأطرح .

والعرب تقول : « العاشية تهيج الآية ^(٢) » . يريدون أن الذى لا يشتهى أن
ياكل ، اذا نظر الى من ياكل هاجه ذلك على الأكل .

قال جرير :

وبنو الهجيم سخيقة أحلامهم * نط ^(٤) اللحي متشاهو الألوان
لو يسمعون بأكلة أو شربة * بعمان أصبح جمعهم بعمان
متأبطين ^(٥) بينهم وبناتهم * صعر الأنوف لريح كل دخان ^(٦)

- ١٥ (١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيان . وفى المقد الفريد : « مكوك » والمكوك : مكبال ذكرت
فى مقداره عدة أقوال . (٢) العاشية : التى ترعى بالعشى من المواشى وغيرها . والآية : التى
لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآية الإبل العواشى تبعها فرعت معها . (٣) فى الأصل :
« وبنو الهجين » بالنون وهو تحريف ، والتصويب من القاسوس ودويان جرير (النسخة المخطوطة
المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :
٢٠ * إن الهجيم قبيلة خمسة * (٤) نط : جمع أنط ، والأنط : قليل شعر
الحية . (٥) فى الديوان : « متوركين » . (٦) كذا فى الديوان ، وصعر الأنوف :
ميلها ، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : « صعب الأنوف » وهو تحريف .

قَعَدَ رَجُلٌ عَلَى مَائِدَةِ الْمُغِيرَةِ ، وَكَانَ مِنْهُومًا ، وَجَعَلَ يَنْهَشُ وَيَتَعَرَّقُ ؛ فَقَالَ
الْمُغِيرَةُ : نَأُولُوهُ سَكِينًا ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : كُلْ أَمْرِي سَكِينَةً فِي رَأْسِهِ .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَتَدْعُونَ الثَّرِيدَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ اللَّحْمَ ظَاعِنٌ
وَالثَّرِيدَ بَاقٍ .

وَقِيلَ لِآخَرَ : مَا تُسَمُّونَ الْمَرْقَ ؟ قَالَ : السَّيْحِينَ ؛ قَالَ : فَإِذَا بَرَدَ ؟ قَالَ :
لَا تَدَعُهُ يَبْرُدُ .

قَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ : كَانَ هِلَالُ بْنُ أَسْعَرَ التَّمِيمِيِّ ، مِنْ بَنِي دَارِمَ بْنِ مَازِنٍ ،
شَدِيدًا أَكْثُولًا ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَكَلَ جَمَلًا إِلَّا مَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْهُ . وَأَكَلَ مَرَّةً
نَصِيلًا ، وَأَكَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِصِيلًا ، فَلَمَّا ضَاجَعَهَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَتْ : كَيْفَ تَصِلُ
إِلَى وَبَيْنَنَا بَعِيرَانِ ! .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : دَعَا عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ هِلَالَ بْنَ أَسْعَرَ إِلَى وَلِيمَةٍ ، فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ
حَتَّى فَرَّغُوا ، ثُمَّ أَكَلَ ثَلَاثَ جِفَانٍ تُصْنَعُ كُلُّ جَفْنَةٍ لِعَشْرَةِ أَنْفُسٍ ؛ فَقَالَ لَهُ :
شَبِعْتَ ؟ قَالَ لَا ؛ فَأَتَوْهُ بِكُلِّ خَبِيزٍ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَشْبَعْ ، فَبَعَثُوا إِلَى الْجَبْرِانِ ؛ فَلَمَّا
خَتَلَفَتْ أَلْوَانُ الْخَبِيزِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَضْرَبَهُمْ فَأَمْسَكَ ؛ فَقَالُوا : هَلْ لَكَ فِي تَمْرِ شَهْرِيزِ
يَلِينَ ؟ فَأَتَوْهُ بِهِ فَأَكَلَ مِنْهُ قَوَاصِرَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَشْبِعْتَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالُوا : فَهَلْ لَكَ
فِي السَّوِيْقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأَتَوْهُ بِجَرَابٍ صَخِيمٍ مَمْلُوءٍ ؛ فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ نَبِيذٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛
نَالُ : أَعِنْدَكُمْ تَوْرٌ تَغْتَسِلُونَ فِيهِ مِنَ الْجَنَابَةِ ؟ فَأُتِيَ بِهِ فغَسَلَهُ وَصَبَّ السَّوِيْقَ فِيهِ
يَصُبُّ عَلَيْهِ النَّبِيذَ ، فَمَا زَالَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى فَنِيَ .

(١) الشَّهْرِيْزُ (بِكسر الشين المعجمة وقد تضم وبالسین المهملة أيضا) : ضرب من التمر ، وفيه وجهان
لاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديد ها) : وعاء للتمر من قصب .
(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمْرَدَلُ وَكُلُّ آلِ عمرو بن العاص قال : قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّائِفَ
 وَقَدْ عُرِفَتْ شَجَاعَتُهُ ^(١) ، فَدَخَلَ هُوَ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٢) [وَأَيُّوبُ ابْنُهُ بَسْتَانًا لِعَمْرِو] ؛
 قَالَ : بِخَالٍ فِي الْبَسْتَانِ سَاعَةٌ ثُمَّ قَالَ : [نَاهِيكَ بِمَا لَكُمْ هَذَا] [مَالًا] ^(٣) لَوْلَا جِرَارٌ فِيهِ ! فَقُلْتُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجِرَارٍ وَلَكِنَّمَا جُرْبُ الزَّبِيبِ ؛ بَخَاءٌ حَتَّى أَلْقَى صَدْرَهُ
 عَلَى غُصْنٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدَلُ ! أَمَّا عِنْدَكَ شَيْءٌ تُطْعِمُنِي ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ !
 إِنْ عِنْدِي بَلَدِيًّا تَغْدُو عَلَيْهِ بَقَرَةٌ وَتَرْوَحُ أُخْرَى ؛ قَالَ : آتِنِي بِهَا ؛ فَاتَيْنَاهُ بِهِ كَأَنَّهُ
 عَمَكَةٌ ^(٤) ، وَتَشْتَمِرُ فَكُلْ وَلَمْ يَدْعُ أَبْنَاهُ وَلَا عَمْرَ حَتَّى أَتَى نَحْنًا . فَقَالَ : يَا أَبَا حَفِصٍ
 هَلُمَّ ؛ قَالَ : إِنِّي صَائِمٌ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدَلُ ! أَمَّا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قُلْتُ :
 بَلَى وَاللَّهِ ! دَجَاجَاتٌ سِتٌّ كَأَنَّهُنَّ رِثْلَانِ ^(٥) النَّعَامِ ، فَاتَيْنَاهُ بِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْخُذُ رِجْلَ
 الدَّجَاجَةِ حَتَّى يُعْرِى عَظْمَهَا ثُمَّ يُلْقِيهَا [بِفِيهِ] ^(٦) حَتَّى أَتَى عَلَيْهِنَّ . ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ !
 أَمَّا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ! إِنْ عِنْدِي لِحَرِيرَةٍ كَقُرَاضَةِ الذَّهَبِ ، فَقَالَ :
 آتِنِي بِهَا ؛ فَاتَيْنَاهُ بِعَسٍّ ^(٧) يَغِيبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، فَجَعَلَ يَتَلَقَّمُهَا بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ ، فَلَمَّا فَرَغَ
 تَجَشَّأَ كَأَنَّهُ صَاحٍ فِي جُبٍّ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا غِلَامُ ، أَفَرَعْتَ مِنْ غَدَائِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
 وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : نَيْفٌ وَثَمَانُونَ قِدْرًا ؛ قَالَ : فَأَتِنِي بِهَا قِدْرًا قِدْرًا ؛ فَأَتَانَاهُ بِهَا وَبِقِنَاجٍ عَلَيْهِ ^(٨)

- ١٥ (١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَبِإِيقِ الْكَلَامِ يَا بَاهَا ، وَلَعَلَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَنْ كَلِمَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْجَشْعِ وَالنَّهْمِ .
 (٢) التَّكْلَةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٣٢) . (٣) الْعَمَكَةُ : وَعَاءُ السِّنِّ وَهُوَ أَصْغَرُ
 مِنَ الْقَرْبَةِ . (٤) الرِّثْلَانِ : أَوْلَادُ النَّعَامِ ، وَاحِدُهَا رَأْلٌ . (٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ،
 وَالْحَرِيرَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ يَتَّخِذُ مِنَ الدَّقِيقِ يَطْبَخُ بِلَبَنٍ أَوْ دَسَمٍ ، وَفِي الْأَصْلِ «لَبْنِيَّةٌ» . وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ
 وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٣ ص ٣٥٣) «سَوِيقٌ» . (٦) الْعَسَّ (بِالضَّمِّ) : الْقَدَحُ الْكَبِيرُ .
 ٢٠ (٧) يَتَلَقَّمُهَا مِنْ تَلَقُّمِ الشَّيْءِ : أَكَلَهُ بِسُرْعَةٍ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : «يَقْلَعُهَا بِيَدِهِ» . وَفِي الْأَصْلِ :
 «يَتَلَكَّهُ» وَاللَّكَمُ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ : الضَّرْبُ بِالْيَدِ مَجْمُوعَةٌ ، وَلَعَلَّ مَا أُتْبِنَاهُ أَنْسَبَ بِالْمَقَامِ . (٨) الْقِنَاجُ
 (بِالْكَسْرِ) : إِثَارُهُ مِنْ عَسْبِ النَّخْلِ يُورَضُ فِيهِ الطَّعَامُ .

رُقَاقٌ؛ فَاكْثُرْ مَا أَكَلَ مِنْ قَدِيرٍ ثَلَاثُ لُقْمٍ وَأَقْلُ مَا أَكَلَ لُقْمَةٌ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَأَسْتَأْذَنَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ وَوَضِعَتْ الْخَوَانَاتُ^(١) بِفَعْلِ يَأْكُلُ مَعَ النَّاسِ .

الْخَطَّابِيُّ عَنِ الدِّيرَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ الطَّعَامَ الَّذِي يَأْكُلُهُ سُلَيْمَانُ؛ قَالَ : لَمَّا اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانُ قَالَ لِي : لَا تَقْطَعْ عَنِّي الطَّافَكَ الَّتِي كُنْتَ تُلْطِفُنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ اسْتَخْلَفَ؛ فَاتَيْتُهُ بِزَنْبِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضٌ وَالْآخَرُ تَيْنٌ؛ فَقَالَ : لَقَمْنِيهِ، فَجَعَلْتُ أَقْشِرُ الْبَيْضَةَ وَأَقْرِنُهَا بِالتَّيْنَةِ حَتَّى أَكَلَ الزَنْبِيلَيْنِ .

الْعُتْبِيُّ عَنِ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ جَرَادِقَ^(٢) أَصْبَهَانِيَّةٍ وَجُبْنًا قَبْلَ غَدَائِهِ .

وَعَنْ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ : عَدَدْتُ لِلْجَبَاجِ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ لُقْمَةً فِي كُلِّ لُقْمَةٍ رَغِيفٌ مِنْ خَبْزِ الْمَاءِ فِيهِ مِلَّةٌ كَفَّهُ سَمَكٌ طَرِيٌّ . ١٠

وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ابْنٌ أَكُولٌ؛ فَقَالَ لَهُ [مَعَاوِيَةُ]^(٤) : مَا فَعَلَ ابْنُكَ التَّلْقَامَةُ؟^(٥) قَالَ : أَعْتَلُّ؛ قَالَ : مِثْلُهُ لَا يَعْدَمُ عِلَّةٌ .

أَكَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ وَأَقْعَدَ مَعَهُ أَعْرَابِيًّا فَرَأَى لَهُ لَقْمًا مُنْكَرًا؛ فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ؟ قَالَ : لُقْمَانُ؛ قَالَ : صَدَقَ أَهْلُكَ، إِنَّكَ لُقْمَانُ .

وُلِدَ لِأَبْنِ أَبِي لَيْلَى غُلَامٌ فَعَمِلَ الْأَخْبِيصَةَ لِلْجَبْرَانِ، فَلَمَّا أَكَلُوا قَامَ مُسَاوِرُ الْوَزَائِقِ فَقَالَ : ١٥

مَنْ لَا يُدَسِّمُ بِالْتَرِيدِ سِبَالَنَا * بَعْدَ التَّرِيدِ فَلَا هَنَاءُ الْفَارِسُ^(٦)

- (١) كَذَا فِي الْمَقْدَدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٣٢) . وَفِي الْأَصْلِ : « وَوَضِعَتْ الْخَوَانُ » .
 (٢) الْجَرَادِقُ جَمْعُ جَرْدَقٍ ، وَالْجَرْدَقُ وَالْجَرْدَقَةُ (بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ) وَالْجَرْدَقُ (بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ) : الرَغِيفُ فَارِسِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ . (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ . (٤) التَّكْلَمَةُ عَنْ كِتَابِ الْبَحْلَاءِ لِلْجَاهِظِ (ص ١٦٥ طبع أوربا) وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ بِأَوْضَحٍ مِمَّا فِي الْأَصْلِ فَرَاغَهُ . (٥) التَّلْقَامَةُ : الْعَظِيمُ اللَّقْمِ .
 (٦) وَالسِبَالُ : جَمْعُ سَبَلَةٍ وَهِيَ مَجْتَمِعُ الشَّارِبِينَ وَمَقْدَمُ الْحَيَّةِ . ٢٠

وقال المَجِيفُ ^(١) في أمته :

يَا لَيْتَا أَمَّا شَأَلَتْ نَعَامَتَهَا * إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ إِمَّا إِلَى نَارِ ^(٢)

لَيْسَتْ بِسَبْعَى وَإِنْ أَسْكَنْتَهَا هَجْرًا * وَلَا بَرِيًّا وَلَوْ حَلَّتْ بِسَدَى قَارِ ^(٣)

تَلَهَّمُ الْوَسَقَ مَشْدُودًا أَشْطَنَهُ * كَأَنَّمَا وَجْهَهَا قَدْ طُلِيَ بِالْقَارِ ^(٤)

خِرْقَاءَ فِي الْخَيْرِ لَا تُهْدَى لَوَجْهَتِهِ * وَهِيَ صَنَاعُ الْأَذَى فِي الْأَهْلِ وَالْجَارِ ^(٥)

رَأَى أَبُو الْحَارِثِ جُمُيزَ سَلَّةٍ بَيْنَ يَدَي رَجُلٍ مِنَ الْمُلُوكِ، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ،

أَيُّ شَيْءٍ فِي تِلْكَ السَّلَّةِ؟ فَقَالَ: بَطَرُ أَمِّكَ، قَالَ: فَأَعِضْنِي بِهِ .

قِيلَ لِلْحَارِثِيِّ: لَمْ لَا تُؤَاكِلِ النَّاسَ؟ فَقَالَ: لَوْلَمْ أَتْرُكْ مَوَاكِلَهُمْ إِلَّا لِتُرْوَعِي ^(٦)

عَنِ الْأَسْوَارِيِّ لَتَرَكْتُهَا، مَا ظَنَنْكُمْ بِرَجُلٍ نَهَشَ بَضْعَةَ لَحْمٍ بَقَرًا فَانْقَلَعَ ضَرْسُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي . ^(٧)

وَكَانَ إِذَا أَكَلَ ذَهَبَ عَقْلُهُ وَجَحَّظَتْ عَيْنَاهُ وَسَكِرَ وَسَدِرَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ وَلَمْ ^(٨)

يَسْمَعْ وَلَمْ يُبْصِرْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَمَا يَعْتَرِيهِ وَيَعْتَرِي الطَّعَامَ مِنْهُ صِرْتُ لَا أَذُنُ لَهُ إِلَّا وَنَحْنُ ^(٩)

نَأْكُلُ الْجَوْزَ وَالتَّمَرَ وَالْبَاقِلَى؛ وَلَمْ يَفْجَأْنِي قَطُّ وَأَنَا أَكُلُ تَمْرًا إِلَّا أَسْتَفَّهُ سَفًّا وَزَدَا بِهِ ^(١٠)

(١) نسب هذا الشعر في شرح ديوان الحماسة (طبعة أوروبا ص ٨١٠) إلى شخص اسمه «سعد» .

ونسب في شرح شواهد المغني (٦٧ طبعة مصر) إلى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنحيت الحدرى .

(٢) في ديوان الحماسة واللسان والمغني: «أَيُّهَا إِلَى جَنَّةٍ أَيْمًا إِلَى نَارِ» . (٣) هجر: مدينة ^(١١)

بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذوقار: ماء ليكرين وائل قريب من الكوفة .

(٥) كذا في الحماسة، والأشظلة: جمع شظاظ وهو خشبة عفاة تدخل في عروة الجوالق . وفي الأصل

«أسربه» وهو تحريف . (٦) كذا في ديوان الحماسة، وفي الأصل «مطلو بالقار» .

(٧) كذا في شرح شواهد المغني (ص ٦٧ طبع مصر)، وفي الأصل: «وفي اصطناع الأذى» . وهو تحريف .

(٨) في كتاب البخله للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوروبا): «... لَوْلَمْ أَتْرُكْ مَوَاكِلَةَ النَّاسِ ^(١٢)

وإطعامهم إلا لسوء رجة على الأسواري لتركته، وما ظنكم ... الخ ...» . ولعل الصواب: إلا لشره

على الأسواري أو نحو ذلك . وفي الأصل هنا: «إلا لتروعي عن الأسواق» ، والظاهر أن كلمة

«الأسواق» هنا محرفة عن «الأسواري» وهو الشخص الذي يتحدث عنه في هذا الحديث .

(٩) في كتاب البخله: «فنهش بضعة لحم تعرفا فبلغ ضرسه» . (١٠) جحظت عينه: عظمت

مقلتها وتنتأت . (١١) سدر الرجل: تحير . (١٢) تربد وجهه: تغير . ^(١٣)

(١٣) زدا به: رعى به . وفي كتاب البخله: «وذرا به ذروا» .

زَدُّوْا، وَلَا وَجَدَه كَنِيْزًا إِلَّا وَتَنَاولَ الْقِطْعَةَ مِنْهُ بِكُمُجْمَةٍ الثَّوْرَ كَدَمَهَا كَدَمًا، وَنَهَشَهَا
طُولًا وَعَرَضًا، وَرَفَعًا وَخَفَضًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا؛ ثُمَّ لَا يَقَعُ عَضُّهُ إِلَّا عَلَى الْأَنْصَافِ
وَالْأَثْلَاثِ؛ وَلَا رَمَى بِنَوَاةٍ قَطًّا، وَلَا نَزَعَ قِيعًا، وَلَا نَفَى عَنْهُ قِشْرًا، وَلَا فَتَشَهُ مَخَافَةً
السُّوسِ وَالْدُّودِ .

وقال بعض الشعراء :

تَبَيَّتْ تَدَهْدِهِ الْقَرْآنَ حَوْلِي * كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُقْرُبَانُ
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا * شَكَرْتُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ

وقال بعض الأعراب :

وَأَنْ طَعَامًا ضَمَّ كَفَى وَكَفَّهَا * لِعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الْحَيَاةِ مَبَارَكُ
فَنْ أَجْلَهَا أَسْتَوْعِبُ الزَّادَ كُلَّهُ * وَمَنْ أَجْلَهَا أَهْوَى يَدِي فَأَدَارِكُ

وقال آخر :

عَرِيضُ الْبَطَانِ جَدِيدُ الْخَوَانِ * قَرِيبُ الْمَرَاثِ مِنَ الْمَرْتَعِ
فَنِصْفُ النَّهَارِ لِعِكْرِيَّاسِهِ * وَنِصْفُ الْمَاكَلِ أَجْمَعِ
الْأَصْمَعَى قَالَ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا الْقَنْدِ ؟ قَالَ : يُعْجِبُنِي
خَضُّهُ وَبَرُّهُ . قَالَ الْأَصْمَعَى : الْخَضْدُ : الْمَضْغُ وَالْأَكْلُ الشَّدِيدُ .

- (١) الكنيز : التمر يجعل في قواصر الشتاء . (٢) كدمه كدما : عضه بأدنى فيه .
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر) : ما التصق بأسفل الثمرة ونحوها حول علاقتها . (٤) تدهده :
تخرج . (٥) القَرْآن (كشداد) : القارورة . (٦) كذا في البيان والتبيين ، وأصل البطان :
حزام القتب الذي يجعل تحت بطن الدابة ، ولعله يريد به كبر بطنه ، وفي الأصل : « الخوان » .
(٧) المراث فتح الميم : مكان الروث . (٨) كذا في البيان والتبيين . وفي الأصل « بر ياسه »
وهو تحريف ، والكرياس : الكنيف الذي يكون مشرقا على سطح بقناة إلى الأرض . (٩) القند :
عسل قصب السكر إذا جمد . وقد ورد في اللسان : « قيل لأعرابي - وكان معجبا بالفتاء - :
ما يعجبك منه ؟ قال : خضده » .

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطمعينا جبنا ، فإنه يُشهى الطعام ويهيج المعدة ، وهو يُعد من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعلمك إنه والله ، ما علمت ، ليقَدَح في الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمة .

كان يقال : اذا كثرت المقدرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلم الله زرعنا * وأوفى عليه منجلٌ بحصاد
بلينا بكوفي حليف مجاعة * أضرّ علينا من دبي وجراد^(١)

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” مَنْ دَخَلَ عَلَى
غير دعوة دخل سارقا ونرجس مغيرا ، ومن لم يُجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله “ .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ بِجَاءَ مَعَ
الرَّسُولِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ إِذْنٌ “ . وعن مجاهد : أن ابن عمر كان إذا دُعي إلى طعام وهو
صائم يجيب ، وكان يهني اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإني صائم . وعن
أسماء بنت ربيعة قالت : دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأُتي بطعام فعرض علينا
فقلنا : لا نشتهي ، فقال : ” لَا تَجْمَعَنَّ كَذِبًا وَجُوعًا “ .

دعا رجل على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى طعام ، فقال : نأتيك على
ألا نتكلف ما ليس عندك ، ولا تَذْخَرْنَا مَا عِنْدَكَ .

وكان يقول : شر الإخوان مَنْ تُكَلِّفُ لَهُ .

دعا رجل رجلا إلى الغداء ثم قال له : هذه بكر زيارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا
فيما أحب بلوغه ، فقال الآخر : حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف .

(١) الدبي : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(١) : أتاني الزبير بن دحمان يوما فسأله أن يقيم عندي، فقال : قد أرسل إلى الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلُّف عنه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العوَّام ويحك نشرب * ونلُّهُ مع اللاهين يوما ونطرب
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره * نخذه بشكر وأترك الفضل يغضب
وقال بعض المحدثين :

نحن قوم متى دُعينا أجبنا * ومتى نُلِّسَ يدعنا النطفيل
ونُقِلَ ملنا دُعينا فغيبنا * وأنا فلما يجهدا الرسول
كان طُفَيْلُ العرائس الذي يُلْسِبُ إليه الطُفَيْلُونَ يوصي أصحابه فيقول لأحدهم :
إذا دخلت عرسا فلا تُلْتَفِ تُلْتَفَ المُرِيبِ، وتُخَيِّرِ المجالسَ، وأجذ ثيابك، وأعمل
على أنها العقدة التي تَشْتَلُ . وإن [كان] العرس كثير الزحام فُرْ وأَنَّهُ . ولا تنظر
في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل ، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك
من هؤلاء . وإن كان السَّوَابُ غليظا وقاحا فأبدأ به ومُرَّهُ وأَنَّهُ من غير أن تُعَنَّفَ
عليه ، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على ربة الغداء ؛ فقال : إن أقسمتَ عليّ وإلا فدعني .
ومن أشعار الطُفَيْلِينَ :

دعوتُ نفسي حين لم تدعني * فالحمْدُ لي لا لك في الدعوة
وقلتُ ذا أحسنُ من مَوْعِدٍ * إخلافه يدعو إلى جَفْوهِ^(٣)

(١) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ، وفي الأصل : ” يزيد بن دحمان “

وهو تحريف . (٢) الكلمة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا في نهاية

الأرب . وفي العقد الفريد : » مخلفه « . وفي الأصل : » أخلفه « .

وقال آنحر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفن^(١) * فأودى بما تُقرى الضيوف الغيا فن

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

نعم الصديق صديق لا يكلفني * ذبح الدجاج ولا شئ الفساريج

يرضى بلونين من كشك ومن عدس * وإن تشهى فزيتون بطسوج^(٢)

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيلياً، فإذا كانت وليمة سبق الناس إليها، فرما بسط معهم البسط وخدم . ف قيل له في ذلك فقال : إني أبادر برد الماء، وصفو القدور، ونشاط الخباز، وخلاء المكان، وغفلة الذبان، وجفاف المنديل .

١٠ وقيل لبعض الطفيليين : كم أثنان في آئين قال : أربعة أرغفة .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المقدم أبي كريمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيما مسلم ضافه قوم فأصبح الضيف محروما كان له على كل مسلم نصره حتى يأخذ يقرى ليلته من زرعه وماله" .

- ١٥ (١) الضيفن : الطفيلين . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : « وقال إبراهيم الموصلي في طفيل كان يصحبه » . (٣) في العقد الفريد : « نعم القديم نديم الخ » . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدائق، والدائق أربعة طسوج . وأراد بالطسوج والدائق فستهما من الدرهم لأن الدينار لأن الدرهم ستة دوائيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودائقة ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدم بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفي الأصل : « المقدم بن أبي كريمة » وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : « أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ » .

روى ابنُ العَجَلانِ^(١) عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نَزَلَتْ برجل ولم يَقْرَكَ قَاتِلُهُ . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الخيرُ أسرعُ إلى مُطْعِمِ^(٢) الطعام من الشُّفْرِ^(٣) في سَنام البعير»^(٤) .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُتَفَق من هذه الأُطعمة وتكثر، قال : ليس في الطعام سَرَفٌ . وقال الثوري : ليس في الطعام ولا في النساء سرفٌ .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إِنَّ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَمِشِيَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ» .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت ابن عباس في وليمة فاكل وألقى للقباز درهما .

الأصمعي قال : سُئِلَ أَقْرَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ لِلضَّيْفِ : كيف ضبطتم القِرَى؟ قال : بأنا لا نتكلف ما ليس عندنا .

عن بعض النُّسَّاك قال : قد أعياني أن أُتْرَلَ على رجل يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِنْ رِزْقِهِ شَيْئًا .

- (١) في الأصل : « رُوْبَةُ بن العجاج » وهو تحريف ، إذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم توجد له مناسبة بين رواية الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب ، لأنه ورد في تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنه أبوه وروى هو عن أبي هريرة .
- (٢) كذا في الجامع الصغير والإنافة فيما جاء في الصدقة والضيافة لابن حجر الهيتمي . وفي الأصل : « انحروا سراع » وهو تحريف .
- (٣) في الجامع الصغير : « إلى البيت الذي يغشى » وفي الإنافة : « إلى البيت الذي يؤكل فيه » .
- (٤) في الأصل : « السفرة » بالسین المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير . والشفرة (بالفتح) : السكين العظيمة المريضة .

عن عَوْن بن عبد الله قال : ضَلَّ رجلٌ صائماً في عامِ سنةٍ ، فَأَبْتَلَى بِرجلٍ عند فطره وقد أَتَى بِقُرصينِ فَأَلْقَى إِلَيْهِ أَحَدَهُمَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا هَذَا يُشْبِعُهُ وَلَا يُشْبِعُنِي ، وَلَأنَّ يُشْبَعُ واحدٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجُوعَ اثْنَانِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْآخَرَ . فَلَمَّا أَوَّى إِلَى فِرَاشِهِ أَتَاهُ أَتٌ فَقَالَ : سَلْ ، فَقَالَ : أَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ ، قَالَ : قَدْ فَعِلَ ذَلِكَ بِكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَسْأَلُ أَنْ يُغَاثَ النَّاسُ .

عن الحسن : أَنَّ رجلاً جَهَدَهُ الْجُوعُ ، فَفَطِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَتَى بِهِ رَحْلَهُ ، فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : هَلْ لَكَ أَنْ نَطْوِيَ لَيْلَتَنَا هَذِهِ لَضِيفِنَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِذَا قَدِمَتِ الطَّعَامُ فَأَذِنِي إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّكَ تُصَلِّحِينَه فَاطْفِئِيهِ ، ففعلتُ وجاءتْ بِثَرِيدَةٍ كَأَنَّهَا قِطَاةٌ فَوَضَعَتْهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُهُ فَاطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ يَضَعُ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ ثُمَّ يَرْفَعُهَا خَالِيَةً ، فَأُطْلِعَ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ : «أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ اللَّيْلَةِ» ، فَفَزِعَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ : أَيْ كَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا : قَوْلُهُ لِأَمْرَأَتِهِ ، قَالَ : كَانَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : «فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكَ اللَّيْلَةَ» .

الأصمعيّ قال : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ بَرِيدٌ قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ فِي النَّاسِ الْعُرُسَاتِ ؟ يَعْنِي الْخِصْبَ لِلْمُسْلِمِينَ .

وقيل لِأَعْرَابِيٍّ كَانَ فِي مَجْلِسٍ : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا فِي قَدَرٍ تَفُورُ ، وَكَأْسٍ تَدُورُ ، وَغِنَاءٍ يَصُورُ ، وَحَدِيثٍ لَا يَخُورُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «صَائِمًا» . (٢) رَحْلُهُ : مَنَزَلُهُ . (٣) يَصُورُ : يَصُوتُ .

(٤) لَا يَخُورُ : لَا يَضْعَفُ .

(١) بلغني أن محمد [بن خالد] بن يزيد بن معاوية كان نازلاً بحلب على الهيثم بن يزيد التميمي،
 فبعث إلى ضيف له من عُذرة فقال: حَدَّثَ أبا عبد الله ما رأيت في حاضرة المسلمين
 من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيتُ أموراً مُعْجِبةً: منها أني رأيت قرية عاصم^(٣)
 ابن بكر الهلالى، فإذا أنا بدُورٍ متباعدة، وإذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها إلى بعض، وإذا
 بها ناس كثيرٌ مُقِيلون ومُدِيرون وعليهم ثياب حَكَّوا بها ألوان الزهر، فقلت لنفسى: هذا
 أحد العيدين الأضخى أو الفطر؛ ثم رجعت إلى ما عَرَبَ عَنِّي من عقلى، فقلت: خرجت من
 أهل في عَقِيبِ صَفَرٍ وقد مضى العيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقفٌ ومُتَعَجِّبٌ أناني رجل^(٤)
 فأخذ بيدي [فأدخلني داراً قوراء] وأدخلني بيتاً قد نُجِدَ في وجهه فُرُشٌ قد مُهِّدَتِ
 وعليها شاب ينال فروغُ شعره كَتِفَيْهِ، والناس حوله سِمَاطَانِ^(٦)، فقلت في نفسى:
 هذا الأمير الذى يُحكى لنا جلوسه وجلوس الناس حوله، فقلت وأنا مائلٌ بين يديه:
 السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فحَسَدَبَ رجلٌ بيدي وقال: أجلس
 فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوسٌ؛ قلت: وأنتِ كَلِّ أُمَامَ!
 رَبُّ عَرُوسٍ رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَهْوَنُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ هَنَى أُمَةٍ؛ فلم أَلْبَثْ إِذْ دَخَلْتُ
 الرجالُ عليها هَنَاتٌ مَدُورَاتٌ مِنْ خَشَبٍ وَقُضْبَانٍ، أُمَامًا خَفَّ فَيُجْعَلُ حَمَلًا، وَأُمَامًا
 مَا تُقَلُّ فَيُدْحَرَجُ، فَوُضِعَتْ أُمَامُنَا وَتَحَلَّقَ الْقَوْمُ حَلَقًا حَلَقًا، ثُمَّ أُتِينَا بِخَرْقٍ بَيْضِ

(١) التكملة عن كتاب الأغاني (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا
 وذكر اسم الأعرابي الذى رواه وأفرد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن قومة بن نصيب وكان شاعراً بدوياً
 فصيحاً من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدوياً جافياً كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة
 فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الراشعي وأبو سراقه ودماد وغيرهم من رواة البصرة.
 وقد وردت في الأصل كلمات محرقة صححتها عن الأغاني ونهنا عليها في مواضعها. (٢) في الأغاني:
 «النخعي». وفي العقد الفريد: «الهيثم بن عدى». (٣) في الأغاني: «فررت بقرية يقال
 لها قرية بكر بن عبد الله الهلالى». وفي العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالى». (٤) في الأغاني:
 «خرجت من أهل في بادية البصرة في صفر». (٥) الزيادة عن الأغاني. وقوراء: واسعة.
 (٦) سباطان: صفان.

- فَأَلْقَيْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَظَنَنْتَهَا ثِيَابًا وَهَمِمْتُ عِنْدَهَا أَنْ أَسْأَلَ الْقَوْمَ خَرَقًا أَقْطَعُ مِنْهَا قِيصًا،
وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ نَسْجًا مُتَلَا حَكَ لَا تَبِينَ لَهُ سَدَى وَلَا لُحْمَةٌ؛ فَلَمَّا بَسَطَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ
إِذَا هُوَ يَتَمَرَّقُ سَرِيعًا وَإِذَا هُوَ [فِيَا زَعَمُوا] صِنْفٌ مِنَ الْخَبْزِ لَا أَعْرِفُهُ. ثُمَّ أَتَيْنَا بِطَعَامٍ
كَثِيرٍ مِنْ حَلْوٍ وَحَامِضٍ وَحَارٍّ وَبَارِدٍ، فَكَثُرَتْ مِنْهُ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَا فِي عَقْبِهِ مِنْ
التَّخَمِّ وَالْبَشَمِ. ثُمَّ أَتَيْنَا بِشَرَابٍ أَحْمَرٍ فِي عِصَاسٍ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ،
أَخَافُ أَنْ يَقْتُلَنِي. وَكَانَ فِي جَانِبِي رَجُلٌ نَاصِحٌ لِي - أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ - كَانَ
يَنْصَحُ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: يَا أَعْرَابِي، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ،
وَإِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ أَنْتَفَخَ بَطْنُكَ - فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَطْنَ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا كَانَ أَوْصَانِي بِهِ
[أَبِي وَ] الْأَشْيَاخُ [مَنْ أَهْلِي]: قَالُوا: لَا تَزَالُ حَيًّا مَا دَامَ شَدِيدًا (بَعْنَى الْبَطْنِ) فَإِذَا
أَخْتَلَفَ فَاوِصٌ - فَلَمْ أَزَلْ أَتَدَاوَى بِهِ وَلَا أَمَلٌ مِنْ شَرْبِهِ، فَتَدَاخَلَنِي - نَالِكَ الْخَيْرِ -
صَلَفٌ لَا أَعْرِفُهُ [مَنْ نَفْسِي، وَبَكَاءٌ لَا أَعْرِفُ سَبَبَهُ وَلَا عَهْدٌ لِي بِمَثَلِهِ، وَأَقْتَدَارٌ
عَلَى أَمْرِ أَظُنُّ مَعَهُ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ نَيْلَ السَّقْفِ لَبَلَقْتُهُ وَلَوْ شَاوْتُ الْأَسَدَ لَقَتَلْتُهُ،
وَجَعَلْتُ أَلْتَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي فَتَحَدَّثَنِي نَفْسِي] بِهَمِّ أَسْنَانِهِ وَهَشَمِ أَنْفِهِ، وَأَهْمُ
أَحْيَانًا بَانَ أَقُولُ لَهُ: يَا بَنَ الزَّانِيَةِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا شَيَاطِينُ أَرْبَعَةٍ:

- ١٥ (١) كَذَا فِي الْأَغَانِي. وَفِي الْأَصْلِ: «فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهَا فَهَمِمْتُ أَخْلُ». (٢) مُتَلَا حَكَ: (٣) زِيَادَةٌ عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي. (٤) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ
مَتَدَاخَلًا بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ تَدَاخُلًا شَدِيدًا. (٥) كَذَا فِي الْأَغَانِي. (٦) الْعَبَارَةُ الْمَحْصُورَةُ مَا بَيْنَ الْمَرْبَعَيْنِ وَرَدَتْ
(ج ٢ ص ١٢٦)، وَالْعِصَاسُ: جَمْعُ عِصٍّ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْقَدَحُ الْكَبِيرُ. وَفِي الْأَصْلِ: «عِصَافٌ»، وَالْمِسْفُ:
الْقَدَحُ الضَّخْمُ، وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْجَمْعُ فِي كِتَابِ اللَّفَّةِ وَالرَّوَادِّ فِيهَا عُسُوفٌ. (٥) كَذَا فِي الْأَغَانِي.
وَفِي الْأَصْلِ: «خَلْفٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ. (٦) الْعَبَارَةُ الْمَحْصُورَةُ مَا بَيْنَ الْمَرْبَعَيْنِ وَرَدَتْ
فِي الْأَغَانِي. وَفِي الْأَصْلِ: «لَا أَعْرِفُهُ وَبَقِيَ فِي نَفْسِي لَا عَهْدَ لِي بِهِ وَأَشْكَلُ عَلَى أَمْرِي، وَكَانَ أَلَى
جَانِبِي الرَّجُلُ النَّاصِحُ لِي، فَجَعَلْتُ نَفْسِي تَحَدَّثَنِي أَخْلُ».

أحدهم قد علّق في عنقه جعبة فارسية ^(١) مُسَنّجة الطرفين دقيقة الوسط قد سُيِّحَتْ ^(٢)
 بالخيوط شَبَحا منكرا، وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القُر . ثم بدر الثاني
 فاستخرج من كُمة هَنَّة ^(٣) [سوداء] كَفَيْشَلَة الحمار فوضع طَرَفها في فيه فضرط فيها فاستَمَّ
 بها أمرهم، ثم حَسَب ^(٤) على حَجَرَة فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشا كلا بعضه بعضا
 [كأنه — علم الله — ينطق] . ثم بدر الثالث عليه قميص وِسْخ وقد غرق شعره بالذَّهْن ^(٣)
 معه مرأتان فجعل يَمْرِي إحداهما على الأخرى مَرِيَا . ثم بدر الرابع عليه قميص قصير
 وسراويل قصير وخُفَّان أجذمان لاساقين لهما، فجعل يَقْفِز كأنه يَثْب على ظهور
 العقارب ، ثم التبط بالأرض، فقلت : معتوه ورب الكعبة ! ثم ما بَرَح مكانه
 حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت الناس يحذفونه بالدرهم حذفا منكرا . ثم
 أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من هوكم ، فبعثوا بهم إليهن وبقيت الأصوات
 ١٠ تدور في آذاننا . وكان معنا في البيت شاب لا آبه له، فعَلَّت الأصوات له بالدعاء،
 فخرج بجاء بخشبة عينها في صدرها فيها خُوَيْطَات أربعة، فاستخرج من جنبها عودا
 فوضعه على أذنه، ثم زَم الخيوط الظاهرة، فلما أحكها وعَرَكَ آذانها حرّكها بحِجْسة
 في يده، فنطقت ورب الكعبة ! وأذاهي أحسن قِيْنَة رأيتهَا قَطُّ، [وغنى عليها] ^(٣) فاستخفني ^(٥)

١٥ (١) التشنج : التقبض ، وفي الأغاني : « مسنجة » بالسین المهملة ، ومعناه : مخططة ، وكلا المعنيين
 هنا غير واضح ، وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفین . ولعل صواب الكلمة « متفتحة
 الطرفین » لوضوح المعنى بها وليطابق وصف الوسط بالدقة . والظاهر أن الأعرابي يصف بهذا الوصف
 الآلة المعروفة عندنا الآن بالكنترا . (٢) كذا في الأغاني . وشبهت : شدت . وفي الأصل :
 « قد سبحت بالخيوط سبحا منكرا » . وفي العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة في الأغاني .
 ٢٠ (٤) يريد : حرك أصابعه على تقوب هذه الهة ، وهي المزمار ، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه .
 وعبرة الأغاني : « ثم حرك أصابعه ... الخ » . (٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « قشة »
 وهو تحريف .

في مجلسي حتى قمتُ بجلستُ بين يديه، فقلت: بأبي أنت وأُمي! ما هذه الدابة؟^(١) [فلستُ أعرفها] للأعراب وما خالفتُ إلا حديثاً! فقال: يا أعرابي، هذا البربط الذي سمعتُ به، فقلت: بأبي أنت وأُمي! فما هذا الخيط الأسفل؟^(٢) قال: زير؛ قلت: فما الذي يليه؟ قال: مثنى؛ قلت: فالثالث؟ قال: المثلث؛ قلت: فالرابع؟ قال: البم؛ قلت: آمنتُ بالله أولاً وبالتم ثانياً.

وقال الحرَّمي:

أُضاحك ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ * وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلَّ جَدِيدُ
وَمَا لِحَصْبُ الْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى * وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

وقال أَرْطاة بن سُهَيْة:

وإِنِّي لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِنًا * إِذَا أَغْدَفَ السَّتْرَ الْبَخِيلِ الْمَوَاحِلُ^(٤)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ * عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِمَا أَنَا فَاعِلُ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي مِنْ تِلَادٍ تَحُوزُهُ * لِي النَّفْسُ إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَائِلُ
آخِرُ:^(٥)

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذُورًا * عَلَى الْأَهْلِ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهُ^(٦)
يَقُولُ: يُسَوِّئُ خُلُقَهُ حَتَّى يُطْعِمَ أَضْيَافَهُ، لِإِعْجَالِهِ إِيَّاهُمْ وَلِخُوفِ تَقْصِيرِ
يَكُونُ مِنْهُمْ.

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل « الداهية » . (٢) زيادة عن كتاب الأغاني .
(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل: « فاهذه الخيوط السفلى » . (٤) المواكل : العاجز الذي بكل أمره إلى غيره ويتكل عليه . (٥) الشعر لزَيْنَب بنت الطَّرِيقَة ترقى أخاها يزيد وقيل إنه لغيرها . (راجع الشعر في الأغاني ج ٧ ص ١٢٣) . (٦) العذور : السبي الخلق القليل الصبر .
فليأمره ويهم به .

(١)
وقال دِعِيل :

ولمَّا لَعِبْتُ الضَّيْفَ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ * وما فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِمَةِ الْعَبِيدِ

(٢)
وقال آخر :

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ * ولم يُنْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْنَعُ (٣)
أَحَدُهُ، إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقِرَى * وتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

وقال الفرزدق في العذافر :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَرْزَاقُ يَوْمَ اكْتِيَالِهَا (٤) * بَاكَثَرِ خَيْرًا مِنْ خِوَانِ عُدَاوِيهِ
ولو ضَافَهُ الدَّجَالُ يَلْتَمِسُ الْقِرَى * وَحَلَّ عَلَى خَبَازِهِ بِالْعَسَاكِرِ
بِعِدَّةٍ يَاجُوجُ وَمَاجُوجَ كُلَّهُمْ * لِأَشْبَعِهِمْ يَوْمًا غَدَاءُ الْعُدَاوِيهِ (٥)

وقال مسكين الدارمي :

نَارِي وَنَارُ الْحَارِ وَاحِدَةٌ * وَلِإِيهِ قَبْلِي تُنْزِلُ الْقِدْرُ
مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِإِيهِ سِتْرُ

ضاف رجلٌ من كَلْبٍ أبا الرَّمْكَاءِ الْكَلْبِيَّ، ومع الرَّجُلِ فَضْلَةٌ مِنْ حِنْطَةٍ،
فَرَاخَتْ يَمْعَزَى [أَبِي] الرَّمْكَاءِ، فَحَلَبَ وَشَرِبَ، ثُمَّ حَلَبَ وَسَقَى أَبْنَاهُ، ثُمَّ حَلَبَ وَسَقَى

(١) ذكر أبو الفرج في الأغاني هذا البيت ضمن أبيات منسوبة إلى قيس بن عاصم المقرئ (انظر الأغاني
في ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق)، وكذلك رواه المبرد في الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ - ٣٣٥
طبع أوربا) وقد رواه :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوريا * وما من خلالي غيرها شيمة العبد

وفي شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للقع الكندي من أبيات مفتوحة الروي . (٢) هو عتبة بن
بجير وقيل مسكين الدارمي، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثاني
من هذا الكتاب . (٣) يريد بالغزال المقنع أمراته . (٤) كذا في كتاب البغلاء للباحظ
(ص ٢٤٩ طبع أوربا) . وفي الأصل : « حين اتكالتنا » . (٥) في كتاب البغلاء « شهرا » ،

أمرأته؛ فقال الرجل : أَلَا تَسْقُونُ ضَيْفَكُمْ ؟ فقال أبو الرّمكاء : ما فيها فضل ؛ فَاسْتَخْرَجَ الرَّجُلُ مَا فِي عِجْنِهِ^(١) مِنْ طَعَامٍ وَقَالَ : هل من رَحَى ؟ فَاسْرِعُوا بِهَا نَحْوَهُ ، فَطَحَنَ وَعَجَنَ وَأَوْقَدَ خَبْزَتَهُ وَأَخْرَجَهَا فَفَقَضَهَا ، فَذَا رَسُولُ أَبِي الرّمكاء يَقُولُ : يقول لك أبو الرّمكاء : لا عهدَ لنا بالخبز؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل ، وقال :

بات أبو الرّمكاء لم يَسْقِ ضَيْفَهُ * من المَحْضِ ما يَطْوِي عليه فَيَرْقُدُ
فَقَمْتُ إِلَى حَنَانَةٍ فَوْقَ أَخْتِهَا * ونَارٍ وَبَاتَ وَهِيَ تَوْرَى وَتَوَقَّدُ
فَلَمَّا فَغَضْتُ الْخَبْزَ بِالْعُودِ أَقْبَلْتُ * رسائلُ تَشْكُو الْجُوعَ وَالْحَيُّ سُهْدُ^(٣)
وَقَالَ أَبُو الرّمكاء بِالْخَبْزِ عَهْدُهُ * قَدِيمٌ لَهُ حَوْلٌ كَرِيبٌ مُطَرَّدُ^(٤)
فَقُلْتُ أَلَا لَأَفْضَلَ فِيهَا لِبَاخِلٍ * وَلَا مَطْمَعٌ حَتَّى يُلُوحَ لَنَا الْغَدُ
فَبَاتَ أَبُو الرّمكاء مِنْ قَرْطٍ رِيحُهَا * يَنْفَسُ كَمَا أَنَّ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدُ
ذَكَرَ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ : أَلْفَوْا مِنَ الصَّلَاةِ الْأَذَانَ ، غَخَافَةَ أَنْ تَسْمَعَهُ الْأَذَانَ ،
فَيَهْلُ عَلَيْهِمُ الضَّيْفَانُ .

وقال بعضهم في ذلك :

أَقَامُوا الدَّيْدَبَانَ عَلَى يَفَاعٍ * وَقَالُوا لَا تَنْمَ لِلدَّيْدَبَانِ
فَإِنْ أَبْصَرْتَ شَخْصًا مِنْ بَعِيدٍ * فَصَفَّقْ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ
تَرَاهُمْ خَشْيَةَ الْأَضْيَافِ نُحْرَسًا * يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانِ

(١) المَكَم : ما يسط من الثياب ويجعل به المتاع . (٢) في الأصل : « قال » .

(٣) في الأصل : « شكى » . (٤) كَرِيب : مكروب اشتد عليه الغم .

وقال زياد الأعجم :

وتكُفُّ كَلْبَ الحَيِّ من خَشْيَةِ القِرَى * وقِذْرَكَ كَالْعَذْرَاءِ من دُونِهَا سِتْرُ^(١)

وقال آخر :

وإِنِّي لَأَجْفُو الضَّيْفَ من غيرِ عُسْرَةٍ * مخَافَةَ أَن يَضْرِيَ بِنَا فيَعُودُ^(٢)

وقال آخر :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفَانِ كَلْبًا ضَارِيًا * عِنْدِي وَفَضَلَ هِرَاوِيَةً من أَرْزَنِ^(٣)

وَمَعَاذِرًا كَذِبًا وَوَجْهًا بَاسِرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزَّمَانِ الْأَرْزَنِ^(٤)

رَأَى رَجُلٌ الحُطَيْنَةَ وَبِيَدِهِ عَصَا؛ فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : تَجَرَّاءُ من سَلَمٍ ،

قَالَ : إِنِّي ضَيْفٌ ، قَالَ : لِلضَّيْفَانِ أَعْدَدْتُهَا .

(٦)

وقال آخر :

وَأُبْقِضُ الضَّيْفَ مَا بِي جُلُّ مَا كَلِهَ * إِلَّا تَتَفَحَّهُ حَوْلِي إِذَا قَعَدَا^(٧)

مَا زَالَ يَنْفُخُ جَنْبِيهِ وَحَبْنَوْتَهُ * حَتَّى أَقُولَ لَعَلَّ الضَّيْفَ قَدْ وَلَدَا^(٨)

وقال حميد الأرقط يذكر ضيفًا :

إِذَا مَا أَنَا نَا وَارِدُ المَصْرِ مُرْمِلًا * تَأْتُبُ نَارِي أَصْفَرَ العَقْلِ قَافِلًا^(٩)

فَقُلْتُ لِعَبْدِي آعْجَلًا بَعْشَانَهُ * وَخَيْرُ عِشَاءِ الضَّيْفِ مَا هُوَ عَاجِلُ^(١٠)

(١) كَم الكلب : شَدَّ قَاهُ بالكمام لثلا يَنْجَحُ فِيهِه الأضياف . (٢) فِي اللسان : « وَنَارَكَ » .

(٣) يَضْرِي بِنَا : يُولَعُ بِنَا وَيَعْتَادُ . (٤) الْأَرْزَنُ : شَجَرٌ صَلْبٌ تَخْذَمُهُ العَصَى . (٥) الزمان

الْأَرْزَنُ : الشَّدِيدُ الكلب . (٦) هُوَ حَمِيدُ الْأَرْقَطِ كَمَا فِي المَقْدَالِ الفَرِيدِ (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رَوَاهُ

فِي المَقْدَالِ : « لَا أَبْقِضُ » . (٨) كَذَا فِي المَقْدَالِ الفَرِيدِ . وَفِي الْأَصْلِ « يَنْفُخُ كَتْفِيهِ » .

(٩) المَرْمِلُ : الَّذِي قَدْ زَادَهُ . (١٠) تَأْتُبُ : جَاءَ أَوَّلُ اللَّيْلِ وَيُقَالُ : تَأْتَبُهُ وَتَأْتِيهِ عَلَى المَعَاقِبَةِ

إِذَا أَنَا هَ لَيْلًا . (١١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . (١٢) الْقَافِلُ : الْيَابِسُ الْجِلْدُ وَقِيلَ : الْيَابِسُ الْيَدُ .

فقال وقد ألقى المراسي للقرى * أين لي ما ألجأ بالناس فاعل
فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا * فكل ودع الأخبار ما أنت آكل
تجهز كفاه فيحدر حلقه * إلى الزور ما ضمت عليه الأنامل^(١)
أنا ولم يعدله سخبان وائل * بيانا وعلما بالذي هو قائل^(٢)
فزال منه اللقم حتى كأنه * من العي لما أن تكلم باقل^(٣)

وقال أيضا في نحو ذلك :

ومرملين على الأفتاب برهم * حقائب وعباء فيه بعرين^(٤)
مقدمين أنوفا في عصائبهم * هجنا، ألا جدعت تلك العرائن^(٥)
يسطرون لنا الأخبار إذ نزلوا * وكل ما سطوروا للقيم تمكين^(٦)
باتوا وجئنا الصباء بينهم * كأن أظفارهم فيها سكاكين^(٧)
فأصبحوا والنوى على معرسهم * وليس كل النوى تلي المساكين^(٨)

(١) في الأصل : «إله» ، وورد هذا البيت في اللسان مادة « بقل » :

تدبّل كفاه ويحدر حلقه * إلى البطن ما ضمت عليه الأنامل

وقال : التدبيل : تعظيم اللقمة عند الأكل . (٢) سخبان : اسم رجل من ربيعة من بني بكر بن

وائل ، كان لسانا يلغا يضرب به المثل في البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب

به المثل في العي . قال الليث : بلغ من عي باقل أنه كان اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بك

أشريت الظبي ؟ ففتح كفيه وفزق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك إلى أحد عشر — فاقلت الظبي

وذهب ؟ فضربوا به المثل في العي . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا في كتاب سيويه

(ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجللة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فذلك وصفها بالصبة .

وفي الأصل : « باتوا وحلتنا السهرين بينهم » . ولعله محذوف عن : * باتوا وحلتنا السهرين بينهم * والسهرين

(بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعني لما أصبحوا ظهر على معرسهم —

وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرة ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بيضاء ، وهذا إشارة

إلى كثرة ما قدمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا في نحو ذلك :

وعاوي عوى والليل مُستحسُ الندى * وقد ججعت للغور تالئة النجم^(١)
فسلم تسليم الصديق ولم يكن * صديقا لنا إلا لئاس^(٢) باللقم
فقلت له والنار تأخذ صدره * لقمتم لسميت أم سريت على علم^(٣)

وقال بعض الرجاز :

برح بالعينين خطاب^(٤) الكُتب * يقول إني خاطبٌ وقد كذب
* وإنما يطلب عسا من حلب *

وقال آخر :

إني لمثلکم من سوء فعلکم * إن زرتکم أبدا إلا معي زادي

وقال حماد بن عمار :

حريت أبو الصلت ذو خبرة * بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف نعمة أضيافه * فعوذهم أكلة واحدة

عن قتادة قال : قال زياد لغيلان بن خرشة : أحب أن تحدثني عن العرب
وجُهدِها وضمك عيشها ، لنحمد الله على النعمة التي أصبحناها ؛ فقال غيلان : حدثني

(١) مستحس الندى متراكبه يعلو بعضه بعضا لكثرة . وججعت للغور : مالت للقيب . وتالئة
النجم : إحدى تاليات النجوم وهي أواخرها . (٢) في الأصل : « التأس » وما أثبتناه هو
المناسب للسياق . (٣) السميت : السير على الطريق بالظن ، وقيل هو السير بالحدس والظن
على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف في الخطبة . والكُتب : جمع كُتبة (بالضم) ،
والكُتبة من الماء واللبن : القليل منه ؛ يعني أن الرجل يجيئ بعلقة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن
الأعرابي : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلقة الخطبة : إنه ليخطب كُتبة . وفي الأصل « خطاب »
بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير ، وفي الأصل : « عسا من حلب » وهو
تحريف (أنقار اللسان مادتق خطب وكُتب) .

- عمى قال : توالث على العرب سنون تسع في الجاهلية حطمت كل شيء ، فخرجت على بكرى لي في العرب . فكثت سبعا لا أطمع شيئا إلا ما ينال منه بعيرى أو من حشرات الأرض ، حتى دفعت في اليوم السابع إلى حواء عظيم ، فإذا بيت جحش عن الحى ، فأتى إليه فخرجت إلى امرأة طوالة حسانة ، فقالت : من ؟ قلت : طارق ليل^(١) يلتمس القرى ، فقالت : لو كان عندنا شيء لآثرناك به ، والدال على الخير كفاعله ، حس هذه البيوت ثم أنظر إلى أعظمها ، فإن يك في شيء منها خير فقيه ، ففعلت حتى دفعت إليه ، فرحب بي صاحبه وقال : من ؟ قالت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقال : يا فلان ، فأجابه ، فقال : هل عندك طعام ؟ فقال لا ، فوالله ما وقر في أذنى شيء كان أشد منه . قال : فهل عندك شراب ؟ قال لا ، ثم تأوه فقال : بلى ! قد بقينا في ضرع^(٢) الفلانة شيئا لطارق إن طرقتك ، قال : فأت به ، فأتى العطن فابتعثها . فحدثني عمى أنه شهد فتح أصبهان ونسرت ومهرجان وكور الأهواز وفارس وجاهه عند السلطان وكثرة ماله وولده ، قال : فما سمعت شيئا قط كان أشد من شخب تيك الناقة في تلك العلبة ، حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وأرتفعت عليها شجرة^(٣) بكمة الشيخ ، أقبل بها يهوى نحوى ، فعتر بعود أو حجر ، فسقطت العلبة من يده ، فحدثني

- ١٥ (١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جحش : نحى وأبعد عن البيوت .
 (٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة . وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة ، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعزف أحوالها .
 (٥) فلان وقلانة بغير الألف واللام تناية عن أسماء الآدميين ، والفلان والقلانة بالترديد بهما تناية عن غير الآدميين ، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت القلانة . وفي الأصل : « الفلانية » بزيادة ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : مناخها حول ووردها ، فأما في مكان آخر فراج وما دى . (٧) كذا بالأصل ، ولم نوفق إلى تحقيقها ، وسياق الكلام يقتضى أن يكون هنا ما يدل على الرغبة التي تعلو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصِيبَ بأبيه وأمه وولده وأهل بيته فما أُصِيبَ بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلبَةِ .
فلما رأى ذلك ربُّ البيت نرجح شاهراً سيفه فبعثَ الإبلَ ثم نظر إلى أعظمها
سَنَامًا ودفع إليه مُدِيَّةً وقال : يا عبد الله أَصْطَلِ وَأَحْمِلْ . قال : فجعلت أهوى
بالْبَضْعَةِ إلى النار فإذا بلغتْ إناها أكتتها^(١) ، ثم مسحْتُ ما في يدي من إهالتها على جلدي
وقد كان حُلٌّ على عظمي حتى كأنه شَنٌّ ، ثم شربتُ شربة ماءٍ ونحررتُ مَغْشِيًا على^(٢)
فما أَفْقَتُ إلى السَّحَرِ . وقطع زيادُ الحديث وقال : لا عليك ألا نخبرنا بأكثر من
هذا ، فن المتزولُ به ؟ قلت : أبو علي عامرُ بن الطُّفَيْلِ .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهمُ قبل الغداء لَضِيفِهِمْ * يَتَخَلَّلُونَ صُبابَةَ الزَّادِ

وقال آخر^(٣) :

اسْتَبَقِي وَدَّ أَبِي الْمَقَا * تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِي
سَيَّانٍ كَسْرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِي
فتراه من خوف التَّزْيِدِ * لِي بِهِ يُرْوَعُ فِي مَنَامِي
فإذا مررتْ بِيَابِهِ * فَأَحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غَلَامِي

وقال آخر^(٤) :

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفِ ، فَذَاكَ الرِّثْمُ مِنْ قَسَمِي
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ * عَلَى جَرَادِيهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمِي
إِنْ رَمَتْ قَتْلَتَهُ فَأَقْتُلْكَ بِجُزَيْتِهِ * فَإِنْ مَوْقِعُهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِي

- (١) إناها : فضجها . والاهالة : الشعم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدهان . (٢) حُلٌّ (كنع وعلم وعنى) : يس . (٣) في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل .
(٤) هو أبو تمام ، (أنظر ديوانه : باب الهجاء ، قافية الميم) . (٥) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفي الأصل : « لو كان » . (٦) الجرادق : جمع الجرذق بالفتح والذال المعجمة كالجرذق بالذال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسي ، « كرده » بالكاف .
(٧) في الديوان ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن هممت به فافتك بجزيتي » .

١٠

١٥

٢٠

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دلف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرَةٌ جَوْزِيَّةٌ ؛ وقال :

أَبُو دَلْفٍ يُضَيِّعُ أَلْفَ أَلْفٍ * وَيَضْرِبُ بِالْحُسَامِ عَلَى أَرْغِفٍ
أَبُو دَلْفٍ لِمَطْبِخِهِ قُتَارٌ^(١) * وَلَكِنْ دُونَهُ ضَرْبُ السِّیُوفِ
وَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ^(٢) :

رَأَيْتُ الْخَبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتَ الْخَبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحُنَا لِتَدْبِّ عَنَا * وَلَكِنْ خِفَتَ مَرَزِيَّةَ الذُّبَابِ
وَقَالَ دَعِيلٌ :

إِنَّ مَنْ ضَنَّ بِالْكَنِيفِ عَلَى الْضَبِّ * يَفِ بَغِيرِ الْكَنِيفِ كَيْفَ يَحُودُ !
مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِحُشٍّ^(٣) * قَبْلَ هَذَا لِأَبَاهِ إِقْلِيدُ^(٤)
إِنْ يَكُنْ فِي الْكَنِيفِ شَيْءٌ تَحَبَّا * هُ فَعِنْدِي إِنْ شِئْتَ فِيهِ مَزِيدُ
وَهَذَا الشَّعْرُ قِصَّةٌ قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي بَابِ الشُّعْرَاءِ^(٥) .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : شَوَى لَجَعْفَرِ بْنِ سَلْيَانَ الْهَاشِمِيَّ دَجَاجٌ فَقُقِدَ نَحْنُ مِنْ
دَجَاجِيَّةٍ ، فَأَمَرَ فَنُودِيَ فِي دَارِهِ : مَنْ هَذَا الَّذِي تَعَاطَى فَعَقَرَ ! وَاللَّهِ لَا أَخْزِي فِي هَذَا
التَّنُورِ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا ! فَقَالَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ : أَتَوَاخِذُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ! .

- (١) انقنار : الدخان . (٢) أبو الشَّمَقْمَقِ هو مروان بن محمد الشاعر ، قال هذا الشعر يعيب به طعام جعفر بن أبي زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للماحظ (طبع أوروبا ص ٧٧) .
(٣) الحش (بتثنية الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التقطوا في البساتين ، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا في الأصل والشعر والشعراء (ص ٥٤١ طبع أوروبا) ، ولعله : « تحبيه » . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة في كتابه الشعر والشعراء . وهي أن دعبلًا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهيا فتعه حتى أعجله الأمر . (٦) كذا في غرر الخصاص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفي سياقي قريبا وهو الصواب ، لأنه هو المعروف بالبخل . وفي الأصل : « أبو جعفر » .

(١)
قال بعض الشعراء :

يا تارك البيت على الضيف * وهارباً منه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبز له * فارجع فكن ضيفاً على الضيف^(٢)

وقال أبو نواس :^(٣)

خبز إسماعيلَ كلوش * ي إذا ما شقَّ يرفاً
عجبا من أثر الصن * عة فيه كيف يخفى
إن رقاءك هذا * أحذق الأمة كفاً
فإذا قابل بالنص * ف من الجردق نصفاً
مثل ما جاء من آلت * ور ما غادر حرفاً
أحكم الصنعة حق * لا يرى موضع إشفى^(٣)
وله في الماء أيضاً * عمل أبداع ظرفاً
مرجّه العذب بماء ال * ينثر كى يزداد ضعفاً
فهو لا يشرب منه * مثل ما يشرب صرفاً^(٤)

(١) قال هذا الشعر رجل من أئمة في مروان بن أبي حفصة الشاعر ، وكان قد نزل عليه ضيفاً ، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه فراه في هذه الليلة ، ففرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه بهذا الشعر . انظر المستطرف للأبشيبي (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا في العقد والمستطرف ، وفي الأصل "ضيفن" بالنون .

(٣) قال هذا الشعر في إسماعيل بن نوح بنت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة ، معرب) واصطليح فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس "فلننت فقتة أربعين ألف درهم ؟ ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر . (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها في (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب .

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بَيْنَتِ [أَبْن] هَرْمَةَ فقلت : آنحروا لنا جُرُوراً ؛ قالت : والله ما هي عندنا ؛ قلت : فبقرة ، قالت لا ؛ قلت : فشاة ، قالت لا ؛ قلت : فدجاجة ، قالت لا ؛ قلت : فأين قول أبيك :

لا أُمْتِعُ الْعُوْذُ بِالْفِصَالِ وَلَا * أَبْتَاعُ إِلَّا قَرْيَةَ الْأَجْلِ

قالت : ذلك أفناها . فبلغ أَبْن هَرْمَةَ ما قالت ، قال : أشهدُ أنها أبقي ، وأشهدُ أن داري لها دون الذكور من أولادي .

قال أَبْن قَتْنٍ :

لا أَشْتُمُ الضَّيْفَ وَلَكِنِّي * أَدْعُوهُ بِالْقُرْبِ مِنْ طَوِيٍّ

بِقُرْبٍ مَنْ * إِنْ زَارَهُ زَائِرٌ * مات إلى الخبز من الشوق

دخل على أَبْن لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبين يديه فراريجٌ ، ففطى الطبق بمنديله وأدخل رأسه في جيبه وقال للداخل عليه : كن في الحجرة الأخرى حتى أفرغ من بَحْشُورِي .

وفيا أجاز لنا عمرو بن بحرٍ من كتبه قال : دخل رجل على رجلٍ قد تغذى مع قومٍ ولم تُرفع المائدةُ قال لهم : كُلُوا وأجهزوا على الجرحى . يريد : كلوا ما كَسِرَ ونيل منه ولا تعريضوا إلى الصحيح .

(١) العوذ : الحديثات التاج من الظباء والإبل والخيول ، وأحدثها عائد مثل حائل وحول . والفصال : جمع فصيل وهو ولد الذاقة إذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمنع العوذ بأولادها بل يذبحها لضيفه الكثيرين . وفي الأصل وردت هذه الجملة هكذا : « لا أمنع العوذ بالفصال » وهو تحريف . والصحيح عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) في الأصل : « وأجيروا » وهو تحريف وما أئبتناه عن المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا . ونصها « قال : ودخلت عليه (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوماً والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فددت يدي لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا تعرض للاصحاء »

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبري صغار! أى - ابن زانية يا كل من هذا رغيفين! . قال : ويقول لزاره إذا أطال عنده المكث : تغذيت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغذيت لغذيتك بطعام طيب . وإن قال لا ، قال : لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليل ولا كثير .

وحكى عن أبي نؤاس أنه قال : قلت لرجل من أهل خراسان : ^(١) لم تأكل وحدك ؟ قال : ليس على في هذا الموضع سؤال ، إنما السؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذلك تكلف وأكلى وحدي هو الأكل الأصلي .

وكان عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر ، فأنته من البصرة ^(٢) دمايا ، وكان فيها زقاق دوشاب ، فقسمها بيننا ، فكلنا أخذ ما أعطى ، غير الحزامي ، فأنكرنا ذلك وقلنا : إنما يجوز الحزامي من الإعطاء وهو عدوة ، فأما الأخذ فهو ضالته وأمنيته ؛ فإنه لو أعطى أفاعى سجستان ، ونعاين مصر ، وجرارات الأهواز لأخذها ، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها ؛ فسألناه عن سبب ذلك ، فتعسر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وضيعته أضعاف ربحه ، وأخذته من أسباب الإدبار ؛ قلت : أول وضاعه احتمال ثقل السكر ؛ قال :

(١) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « منهم » انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا في البخلاء . (ص ٢٦) . وفي الأصل : « من » . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط ، وهي مشهورة بالفراريج العسكرية . (٤) كذا في الأصل ، والدوشاب : نبيذ التمر معرب ، قال ابن المعتز : لا تخلط الدوشاب في قدح * بصفاء ماء طيب السبرد

وقال ابن الرومي :

علني أحمد من الدوشاب * شرية بفضت قناع الشباب

وفي كتاب البخلاء أنها زقاق دبس ، والدبس : غسل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعاني : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للنفاجي) . (٥) جرارات الأهواز : عقاربها القتالة . (٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

- هذا لم يخطر ببالى قط، ولكن أول ذاك كراء الحمال، فإذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العصيدة والأرز^(١) والسندفود، فإن بعته فراراً من هذا البلاء صيرتموني شهرة^(٢)، وإن أنا حبسته ذهب في العصائد وأشباهاها، وجذب ذلك شراء السمن، ثم جذب السمن غيره، وصار هذا الدوشاب علينا أضر من العيال؛ وإن أنا جعلته نبيذاً أحتجت الى كراء القدور وإلى شراء الحب^(٣) وإلى شراء الماء وإلى كراء من يؤقد تحته؛ فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمتنا ثمن الأشتان^(٤) والصابون، وأزدادت في الطعم على قدر الزيادة في العمل؛ فإن فسدت ذهبت النفقة باطلاً ولم تستخلف منها عوضاً بوجه من الوجوه، لأن خل الداذى^(٥) يخضب اللحم ويغير الطعم ويسود المرقة ولا يصلح^(٦) [إلا] للاصطباغ^(٧). وإن سلم - وأعوذ بالله - وجاد وصفا لم نجد بداً من شربه ولم تطب أنفسنا بتركه؛ فإن قعدت في البيت أشربه لم يمكن ذلك إلا بترك
- ١٠

- (١) كذا في الأصل، وفي البخل: (ص ٦٧) : « البستندود » ولم نوفق الى معرفته .
 (٢) الشهرة : ظهور الشيء في شئمة . (٣) الحب بالضم : الجرة . (٤) الأشتان : الحمض الذي تنسل به الأيدي . (٥) كذا في البخل: ، وفي الأصل : « ولم يخلف منها بوجه من الوجوه » . (٦) في القاموس وشرحه (مادة «دوذ» بمهملة فعجمة) : الداذى : شراب الفساق وهو الخمر ، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب . ثم قال في مادة « ذوذ » بمعجمتين : والداذى : ثبت له عقود مستطيل ووجه على شكل حب الشير يوضع منه مقدار رطل في الفرق (ميكال) فتعقب راحته ويجود إسكاره ، قال الشاعر :

شر بنا من الداذى حتى كأننا * ملوك لنا بر المراقين والبحر

فلما انجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعادونا الفقر

- ٢٠ ثم قال شارح القاموس : « ولذا حكم الخذاق باتحاده مع الذى قبله ، وكلاهما غير عربى ولا معروف » .
 واقتصر فى اللسان على « الداذى » بمهملة فعجمة وذكر البيت . (٧) التكلمة عن البخل: .
 (٨) كذا في البخل: . وفي الأصل : « للاصطناع » .

سَلَفُ الْفَارِسِيِّ الْمُعْسَلِ، وَالْدَّجَاجِ الْمُسَمَّنِ، وَجِدَاءُ كَسَكْرَ وَفَاكِهِةِ الْجَبَلِ وَالنَّقْلِ الْهَشِّ
وَالرَّيْحَانِ الْفَضِّ، عِنْدَ مَنْ لَا يَفِيضُ مَالُهُ، وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهُ، وَعِنْدَ مَنْ لَا يُبَالِي عَلَى
أَيِّ قُطْرِيَةٍ سَقَطَ، مَعَ فَوْتِ الْحَدِيثِ الْمُؤَنَسِ وَالسَّامِعِ الْحَسَنِ؛ وَغَلَى أَنَّى إِنْ جَلَسْتُ
فِي الْبَيْتِ أَشْرَبَهُ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ الْوَاحِدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ لَحْمٍ بِدَرَاهِمٍ،
وَنَقْلٍ بِطَسُوجٍ، وَرَيْحَانٍ بِقِيرَاطٍ، وَمِنْ أَزَارٍ لِلْقَدْرِ وَحَطَبٍ لِلْوَقُودِ؛ وَهَذَا كُلُّهُ غُرْمٌ
وَشَوْمٌ وَحِرْمَانٌ وَحِرْفَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْعَادَةِ الْحَسَنَةِ. فَإِنْ كَانَ النَّدِيمُ غَيْرَ مُوَافِقٍ فَاهْلُ
السَّجْنِ أَحْسَنُ حَالًا مِنِّي، وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا فَقَدْ فَخَّ اللَّهُ عَلَى مَالِي بِهِ بَابًا مِنْ
التَّلَفِّ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَسِيرُ فِي مَالِي كَسِيرِي فِي مَالِ غَيْرِي مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي. فَإِذَا عَلِمَ
الصَّدِيقُ أَنَّ عِنْدِي دَاذِيًا أَوْ نَبِيذًا دَقَّ عَلَى الْبَابِ دَقَّ الْمِدْلَلِ، فَإِنْ حَجَّيْنَاهُ قَبْلَاءَ،
وَإِنْ أَدْخَلْنَاهُ فَشَقَاءَ. وَإِنْ بَدَأَ لِي فِي اسْتِحْسَانِ حَدِيثِ النَّاسِ كَمَا يَسْتَحْسِنُهُ
[مَنِّي] مَنْ أَكُونُ عِنْدَهُ، فَقَدْ شَارَكْتُ الْمُسْرِفِينَ، وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الصَّالِحِينَ،
وَصِرْتُ مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ؛ وَاللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ فَإِذَا صِرْتُ كَذَلِكَ فَقَدْ ذَهَبَ كَسْبِي مِنْ مَالِ غَيْرِي،
وَصَارَ غَيْرِي يَكْتَسِبُ مِنِّي؛ وَأَنَا لَوْ أَبْتَلَيْتُ بِأَحَدِهِمَا لَمْ أَقْمُ بِهِ فَكَيْفَ إِذَا أَبْتَلَيْتُ
بِأَنْ أُعْطِيَ وَلَا أَخْذُ، وَبِأَنْ أُؤْكَلَ وَلَا أَكُلَ! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُدْلَانِ بَعْدَ
الْعِصْمَةِ، وَمِنَ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ؛ وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي الْحَدَاثَةِ كَانَ أَهْوَنَ. هَذَا

(١) كسكر: تقدم في تعريفها في صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالقراريح العسكرية،
ولعلها مشهورة أيضا بمجداتها. (٢) القطر: الناحية. (٣) كذا في البغلاء. وفي الأصل:
«قرب». (٤) الطسوج: ربع الدائق. انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ... ص ... من
هذا الجزء. (٥) الحرفة: الحرمان. (٦) كذا في البغلاء. وفي الأصل: «رأساً». (٧) التكلة عن البغلاء. (٨) الخور: النقصان. والكور: الزيادة ومنه الحديث:
«نعوذ بالله من الخور بعد الكور». (٩) كذا في البغلاء. وفي الأصل: «أحسن».

الدُّشَاب ديسيس من الحُرْفَة ، وكَيْدٌ من الشَّيْطَان ، وَخُدْعَةٌ من الحُسُود ، وهو الحَلَاوَة التي تُعْقَب المِرَاة . ما أَخَوْفَنِي أَنْ يَكُونَ أَبُو سَلِيْمَان قَدْ مَلَّنِي فَهُوَ يَحْتَال لِي الْحَيْلَ ! .

- وَحَكِي عَنِ الْحَارِثِيِّ أَنَّهُ قَالَ : الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّءِ ، وَجَلِيسُ السَّوِّءِ خَيْرٌ مِنْ أَكْلِ السَّوِّءِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَكِيلٍ جَلِيسٌ وَلَيْسَ كُلُّ جَلِيسٍ أَكِيلًا ؛ فَإِنْ كَانَ لَا بَدْ مِنْ الْمُؤَاكَلَةِ وَلَا بَدْ مِنَ الْمَشَارَكَةِ فَعَنْ لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمَخِّ ، وَلَا يَنْتَهَزُ بَيْضَةَ الْبَقِيلَةِ ؛ وَلَا يَلْتَقِمُ كَيْدَ الدَّجَاجِ ، وَلَا يُبَادِرُ إِلَى دِمَاحِ السَّلَاةِ ، وَلَا يَخْتَطِفُ كُتَيْبَةَ الْجَدْيِ ، وَلَا يَزْدِرِدُ قَانِصَةَ الْكُرْكِيِّ ، وَلَا يَنْتَرِعُ شَاكِلَةَ الْحَمَلِ ، وَلَا يَتَلَعُ سُرَّةَ السَّمَكِ ، وَلَا يَعْزِضُ لَعْيُونَ الرِّعُوسِ ، وَلَا يَسْتَوِي عَلَى صَدُورِ الدَّرَّاجِ ، وَلَا يَسَاقِي إِلَى أَسْقَاطِ الْفِرَاحِ ، وَلَا يَتَنَاوَلُ إِلَّا [مَا] بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا يَلَاظُ مَا بَيْنَ يَدَيْ غَيْرِهِ ، وَلَا يَمْتَحِنُ الْإِخْوَانَ بِالْأُمُورِ الثَّمِينَةِ ، وَلَا يَنْتَهِكُ أَسْتَارَ النَّاسِ بِأَنْ يَشْتَهِيَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مُوجُودًا ؛ فَكَيْفَ تَصْلُحُ الدُّنْيَا وَيَطِيبُ الْعَيْشُ بَيْنَ إِذَا رَأَى جُرُورِيَّةَ التَّقِطِ الْأَكْبَادَ وَالْأَسْنِمَةَ ، وَإِذَا عَايَنَ بَقْرِيَّةَ أَسْتَوِي عَلَى الْعِرَاقِ وَالْقِطْنَةِ ، وَإِنْ عَايَنَ بَطْنَ

(١) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ ، وَقَدْ أوردَهَا الْحَمَّيُّ فِي كِتَابِهِ « مَا يَقُولُ عَلَيْهِ فِي الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ »

فَقَالَ : « بَيْضَةُ الْبَقِيلَةِ تَذَكَّرُ فِي عَيُونِ الْأَطْعَمَةِ وَلَا تَسْتَحْسِنُ الْمُبَادِرَةَ إِلَيْهَا » . وَفِي الْأَصْلِ : « الْبَيْضَةُ

الْمَقَالَةُ » . (٢) السَّلَاةُ : وَاحِدَةُ السَّلَاةِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ أَغْبَرُ طَوِيلِ الرَّجْلَيْنِ .

(٣) الْكُرْكِيُّ : طَائِرٌ يَقْرُبُ مِنَ الْإِزْوَاجِ الذَّنْبِ رِمَادِي اللَّوْنِ فِي خَدِّهِ لَمَعَاتُ سُودٍ يَأْوِي إِلَى الْمَاءِ .

أَحْيَانًا . (٤) الشَّاكِلَةُ : اخْطَاصَةٌ . (٥) الدَّرَّاجُ كَرْمَانٌ : طَائِرٌ جَبِلُ الْمَنْظَرِ مَلُتُونَ

الرِّيشَ ، يَطْلُقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . (٦) التَّكْمَلَةُ عَنِ الْبُخْلَاءِ . (٧) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ ،

وَيُظْهِرُ أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ الطَّعَامِ يَنْسَبُ إِلَى الْجُزُورِ وَهُوَ وَاحِدُ الْإِبِلِ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . وَفِي الْأَصْلِ :

« جَزْرِيَّةٌ » وَالْجُزْرَةُ : الشَّاةُ السَّمِيَّةُ أَوْ مَا يَذْبَحُ مِنَ الشَّاءِ ، وَذَكَرُ الْأَسْنَةِ فِي الْكَلَامِ بِأَبَاهَا .

(٨) الْعِرَاقُ : مَا دُونَ السَّرَةِ مِنَ الْحَشَا مَعْرُضًا بِالْبَطْنِ . (٩) الْقِطْنَةُ : مِثْلُ الرَّمَانَةِ تَكُونُ عَلَى

الْكُرْشِ وَهِيَ ذَاتُ الْأَطْبَاقِ ، وَالْعَامَةُ تَسْمِيهَا الرَّمَانَةُ .

سمكةٍ آخترق كلَّ شيءٍ فيه، وإن أُتُوا يَجْنِبُ شِوَاءَ آ كَتَسَحَ ما عليه، ولا يرحم ذَا سِنَّ
لضعفه، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لِحَدَّةِ شهوته، ولا ينظر للعِيَال، ولا يُبَالِي كيف دارت
الحال . وأشدُّ من كلِّ ما وصفنا أن الطَّبَاحَ ربَّما أتَى باللون الطَّرِيفَ الطَّرِيفَ ،
والعادةُ في مثل ذلك اللون أن يكون لطيفَ الشخص صغيرَ الحجم ، فيقدِّمه حارًّا
مُتَمَتِّعًا ، وربَّما كان من جوهيرِ بَطْنِ القُتُورِ ، وأصحابنا في سهولةِ أَرْدِرَادِ الحَازِ عليهم
في طبائع النِّعَامِ ، وأنا في شِدَّةِ الحَازِ [على^(٣)] في طِبَاعِ السَّبَاعِ ، فإن نظرتُ إلى أن
يُمْكِنُ اتُّوًا على آخره ، وإن أنا بادرتُ مخافةَ القَوْتِ وأردتُ أن أشاركهم في بعضه
لم أَمْنُ ضرره؛ والحارُّ ربَّما قتل وربَّما أعقَمَ وربَّما أبال الدم . قال : وعُوِّبَ على
تركه إطعامَ الناسِ معه وهو يتخذُ فيكثير، فقال : أنتم لهذا أتركُ مني ، فإن زعمتم أني
أكثرُ مالا وأعدُّ عُدَّةً ، فليس بين حالي وحالكم من التفاوت أن أُطْعِمَ أبدا وتاكلوا
أبدا ، فإذا أتَيْتُم من أموالكم من البَدَلِ على قدرِ احتمالكم ، علمتُ أنكم أخيرَ أردتم،
والى تربيته ذهبتُم ، وإلا فإنكم إنما تحلبون حَلَبًا لكم شَطْرُهُ .

قال : كان أبو ثُمَامَةَ أَفْطَرْنَا سَا وَفَتَحَ بَابَهُ فَكَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، فقال : إن الله
لا يَسْتَحْي من الحقِّ ، وكُلُّكُمْ واجبُ الحقِّ ، ولو استطعنا أن نَعْمَكُم بِالرِّكْتَمِ فيه
سواءٌ ولم يكن بعضكم أولى به من بعضٍ ؛ كذلك أنتم إذا عَجَزْنَا أَوْ بَدَا لَنَا ، فليس
بعضُكم أحقُّ بِالْحَرَمَانِ وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ من بعضٍ ، ومتى قَرَبْتُ بَعْضُكُمْ وَفَتَحْتُ بَابِي
لَهُمْ وَبَاعَدْتُ الْآخَرِينَ ، لم يكن في إِدْخَالِ الْبَعْضِ عِذْرًا ، ولا في منع الْآخَرِينَ حُجَّةً ؛
فَانصَرَفُوا ولم يعودوا .

(١) كذا في البخلاء . وفي الأصل : «ممتعا» وهو تحريف . (٢) كذا في البخلاء . وفي الأصل :

«في» . (٣) التكلفة عن البخلاء . (٤) نظرت : انتظرت . (٥) كذا في البخلاء .

وفي الأصل : «أشاركه» . (٦) كذا في الأصل ، وفي البخلاء : «والى تربيته» .

(٧) في كتاب البخلاء . (ص ٢١٥) : «ثمامة» . (٨) في الأصل : «وفتح» .

قال : وكان محمد بن أبي المؤمل يقول : قاتل الله رجلاً نَحَا نُوا كُلَّهُمْ ، ما رأيتُ قَصْعَةً رُفِعَتْ من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحصارَ الجَدَى إنما هو شيء من آيين الموائد الرّفِعة ، وإنما جعل كالقافية وكانخاتمة وكالعلامة لليسر والفراغ ، ولم يُحْضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به سوءاً لَقَدَّمُوهُ لتقع الحدة به ؛ ولذلك قال أبو الحارث جَمِيزٌ حين رآه لا يَمَسُّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يَتَحَامَوْنَ بيضة البقيلة ، ويدْعُها كُلُّ واحد لصاحبه ، وأنت اليوم إذا أردت أن تُتَمَعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلَاة^(٥) لم تَقْدِرْ على ذلك .
وكان يقول : الآدام أعداء الخبز ، وأعداها له المالح ؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلب آكله له لآتى على الحرث والنسل .

وكان يقول : ما بال الرجل إذا قال : أَسْقِنِي ماءً أتاه بَقْلَةٌ على قدر الرّى أو أصفر ، وإذا قال : أَطْعِمْنِي شيئاً أو هات لفلان طعاماً ، أتاه من الخبز بما يَفْضُلُ عن

(١) كذا في البغلاء ، والآيين : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أجمعى عمره المولدون ، قال مهياري قصيدة له :

يجمع الخبزيت حولاً أمره * وهو لم يأخذ لها آييناً

(١٥) (راجع شفاء الغليل) وفي الأصل : « أنس الموائد » . (٢) في البغلاء : « كالقافية » (٣) كذا في البغلاء . وفي الأصل : « كالعلامة للبشر » وهو تحريف . (٤) في الأصل والبغلاء : « جَمِيز » بالنون في آخره . وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : « أبو الحارث جَمِيزٌ كَفِيطُ المديني ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاح ، والصواب بالزاي المعجمة في آخره ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

(٢٠) إن أبا الحارث جَمِيزاً * قد أوقى الحكمة والميزا
وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاي ونهينا عليه هناك « اه . ولذا رجحنا ذكره بالزاي المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها . (٥) تقدم تفسيرها قريباً . (٦) كذا في البغلاء ، وفي الأصل : « وكان يقال » .

الجماعة، والطعامُ والشرابُ أخوان . أما إنه لولا رُخص الماء وغلاء الخبز لما
كَلَبُوا على الخبز وزَهَدُوا في المِباءِ؛ والناسُ أشدُّ شَيْءً تعظيماً^(١) لما كَوَلُوا إذا كَثُرَتْ ثَمَنُهُ
وكان قليلاً في مَنَبَتِهِ وعُنصره . هذا الجزر الصافي والباقلاء الأخضر أطيب من كَثَرِي
تُراسانَ والموز البُستاني، وهذا الباذنجان أطيب من الكَكَّة، ولكنهم لِقَصْرِ هَمِّهِمْ
وأذهانهم في التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرب الناس الماء على طعامهم لما أَلْمَحُوا . وذلك أن الرجل
لا يَعْرِفُ مقدارَ ما أَكَلَ حتى يَنَالَ من الماء شيئاً ، لأنه ربما كان شبعان وهو
لا يَدْرِي . وفي قول الناس : ماء دِجْلَةَ أَمْرَأ من ماء الفُرات ، وماء مِهْران أَمْرَأ من
ماء [نهر] بَلَخٍ ؛ وفي قول العرب : هذا ماء تَمِيرٍ يَصْلُحُ عليه [المال] دليلٌ على أن
الماء يُمَرِّئُ ؛ حتى قالوا : إن المِباء الذي يكون عليه النطاطات أَمْرَأ من الماء
الذي تكون عليه القِيَارَات . فعليكم بشرب الماء على الغداء [فإن ذلك أَمْرَأ] .

قال وكان الثوري يقول لعِيَالِهِ : لا تُلْقُوا نوى التمر والرطب وتعودوا آبتلاعَهُ ،
فإن النوى يَغْفِدُ الشحمَ في البطن ، ويُدْفِي الكُلَيْتَيْنِ بذلك الشحم ؛ واعتبروا ذلك
ببطن الصفايا وجميع ما يَغْتَلِفُ النوى . والله لو حملتم أنفسكم على قضم الشعير
وأعتلافِ القَتِّ لوجدتموها سريعة القَبُولِ ، وقد يأكل الناسُ القَتَّ قَدَّاحاً ،

(١) الباقلاء . (بجفيف اللام ممدودا وتشديدها مقصورا) : القول الواحدة بهاء أو الواحد
والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن . (٣) التكلة عن البغلاء .
(ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيجون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البغلاء . (٥) الزيادة
عن كتاب البغلاء . (٦) الصفايا : جمع صفي ، والصفي : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة .
(٧) القَت : حب برى يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطباً قبل
أن يجفف .

والشعيرَ فَرِيكَا، ونوى البُسْر الأَخضر، ونوى العَجوة ؛ وإنما بَقِيَتْ عليكم الآن عَقَبَةٌ ؛ أنا أَقْدِرُ أَنْ أَتْلَعَ النوى وَأُطْلِفَهُ الشَّاءَ، ولكنى أَقُولُ هَذَا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كُلُوا الْبَاقِلَاءَ بِقَشُورِهِ ، فَإِنَّ الْبَاقِلَاءَ يَقُولُ : مَنْ أَكَلَنِي بِقَشُورِي فَقَدْ أَكَلَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْنِي بِقَشُورِي فَأَنَا أَكَلُهُ ؛ فَمَا حَاجَتُكُمْ [إِلَى] أَنْ تُصَيِّرُوا طَعَامًا لَطْعَامَكُمْ ، وَأَكَلًا لِمَا جُعِلَ أَكَلًا لَكُمْ .

قال : وَحُمَ هُوَ وَعِيَالُهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَكْلِ الْخَبْزِ ، فَرَجَحَ أَقْوَاتَهُمْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ؛ فَفَرِحَ وَقَالَ : لَوْ كَانَ فِي مِثْلِي سَوْقُ الْأَهْوَازِ وَنَطَاطُ خَيْبَرِ رَجُوتُ أَنْ أَسْتَفِيزِلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ دِينَارٍ .

قال : وَدَعَا مُوسَى بْنُ جَنَاحٍ جَمَاعَةً مِنْ حِيرَانِهِ لِيَفْطُرُوا عِنْدَهُ [فِي شَهْرِ رَمَضَانَ] ^(٣) ، فَلَمَّا وَضَعَتْ الْمَائِدَةُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : لَا تَعْجَلُوا ، فَإِنَّ الْعَجَلَةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .
ثُمَّ وَقَفَ وَقَفَةً ثُمَّ قَالَ : وَكَيْفَ لَا تَعْجَلُونَ وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ .
اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ ، فَإِنَّ فِيهِ حَسَنَ الْمُواكَلَةِ وَالتَّبَعْدَ مِنَ الْأَثَرَةِ ، وَالْعَاقِبَةَ الرَّشِيدَةَ ، وَالسَّيْرَةَ الْمَحْمُودَةَ : إِذَا مَدَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ لِيَسْتَقِيَ مَاءً فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَكُمْ حَتَّى يَفْرُغَ ، فَإِنَّكُمْ تَجْمَعُونَ عَلَيْهِ خِصَالًا : مِنْهَا أَنْكُمْ تَنْقُصُونَ عَلَيْهِ فِي شَرْبِهِ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْخَلْقُ بِكُمْ فَلَعْلَهُ يَتَسَرَّعُ إِلَى لُقْمَةٍ حَارَّةٍ فَيَمُوتُ ، وَأَدْنَى ذَلِكَ أَنْ تَبْعَثُوهُ عَلَى الْحِرْصِ

(١) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ أَقْدِرُ أَنْ أُبِيعَ النَّوَى » . (٢) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ ، وَيُرِيدُ بِسَوْقِ الْأَهْوَازِ : كَوْرَهَا وَهِيَ كَثِيرَةُ الْحَمَى وَوُجُوهُ أَهْلِهَا مَصْفَرَّةٌ مَغْبِرَةٌ . وَنَطَاطُ خَيْبَرٍ : قَصَبَتُهَا وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِالْحَمَى أَيْضًا . قَدَّمَ أَعْرَابِيٌّ خَيْبَرَ فَقَالَ :

قُلْتُ لِحَمَى خَيْبَرَ اسْتَعْدَى * هَاكَ عِيَالِي فَاجْهَدِي وَجَدِي

وَبِأَكْرَى بِصَالِبٍ وَرَدَ * أَطَانِكَ اللَّهُ عَلَى ذَا الْجَنَسِ

لَحْمٍ وَمَاتَ وَبَقِيَ عِيَالُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِظْلَةٌ خَيْبَرٍ » . (٣) التَّكَلُّفُ عَنْ كِتَابِ الْبُخْلَاءِ .

وعلى عِظَم اللَّقْم . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأنَّ اللَّقْمَ طَاعَنٌ وَالثَّرِيدُ مَقِيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعماً فإني كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم فعلى يخالف قولى فلا طاعة لى عليكم . قال بعضهم : فربما نسي بعضنا فمذَّ يده وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدك يا ناسي ، ولولا شيء لقلتُ لك : يا متغافل . قال : فأتانا بأرزٍ لو شاء أحدنا أن يعدَّ حباتها لعدَّها ، لتفرَّقها وقليتها ، وهى مقدار نصف سُكْرَجَةٍ ؛ فوقعت فى فى قطعة ، وكنتُ الى جنبه ، فسمع صوتا حين مَضَغْتُهَا ، فقال : أجرش يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع باللقيم الراضع ، وهو الذى يرضع الحلبُ فلا يحلبه فى الإناء لئلا يُسمع صوتُ الحلب — وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شيء — ثم رأيتُ أبا سعيد المدائنى قد صنع أعظم من ذلك : ارتضع من دَنٍّ خَلَا حتى فني ولم يخرج منه شيء .

قال : وكان الكِنْدِيُّ لا يزال يقول للساكن من سُكَّاتنا — [وربما قال] للجار — إن فى دارى امرأة بها حبلٌ ، والوَحْمَى ربما أسقطت من ریح القِدر الطيبة ، فإذا طبختم فُرِّدُوا شهوتها بغرفة أو بلعة فإن النفس يردُّها اليسير ، وإن لم تفعل ذلك وأسقطت فعليك غرةٌ : عبدٌ أو أمة .

(١) فى الأصل : « حبتها » بالإنفراد . (٢) السكجة : الصفة .

(٣) فى الأصل : « وكذا نسمع » . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكلة عن

كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ،

والمراد بالغرة هنا العبد الأبيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية

سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبد والإماء .

وقال بعضهم : نزلنا داراً بالكراء للكيندي على شروط ، فكان في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار^(١) العلوفة ، وألا يخرجوا عظما ولا يخرجوا مكاسسة ، وأن يكون له نوى التمر ، وقشور الرمان ، والغرفة من كل قدر تطبخ للخبلى في بيته ، وكان في ذلك يتنزل^(٢) عليهم ، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دجيل : أقمنا يوما عند سهل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى أضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه ، فأني بصحفة^(٣) عدملية فيها مرق لحيم ديك عايس^(٤) هيريم ليس قبلها ولا بعدها غيرها ، لا تحز فيه السكين ، ولا تؤثر فيه الأضراس ، فأطلع في القصعة وقلب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبز يابس فقلب بها جميع ما في الصحفة ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : ما ظننت أنك تأكله [ولا تسأل عنه] ! قال : ولأى شيء ظننت ذلك ؟ فوالله إني لأثقت من يرى برجله فكيف من يرى برأسه ! والرأس رئيس ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عرفة الذي يتبرك به ، وفيه عينه التي يضرب بها المثل فيقال : " شراب كمين الديك " ، وديماغه عجب لوجع الكلى ، ولن ترى عظما قط أهش من عظم رأسه ؛ فإن كان من نبيل أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طريف الجناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدري أين هو ، رميت به ؛ قال : لكنى أدري أنك رميت به في بطنك ، والله حسبك .

(١) النشوار : ما يتبق من علف الدابة . (٢) ينزل عليهم : يزل عليهم ويطرقهم .

(٣) عدملية : قديمة . (٤) العايس : الذي أسن حتى جف وصلب .

(٥) لا تحز : لا تقطع . وفي الأصل : « لا تجر » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣

ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب في أمثالها : « أصفى من عين الديك » .

وحكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقَات الكوفة ، فإذا رجل يُخَاصِم جَاراً له ، فقلت : ما بالكما تختصمان ؟ فقال [أحدهما ^(١)] : لا والله إلا أن صديقاً لى زارنى فاشتبهى على رأسا ، فاشتريته وتغدينا به وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أنجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يوم أنه اشتراه .

قال : وتناول رجل من بين يدى أمير من الأمراء بيضة وهو معه ، فقال : ^(٢) خذها فإنها بيضة العقر ، ولم يأذن له بعد ذلك . ^(٣)

قال : وقُدِّمت مائدة لرجل عليها أرغفة على عدد الرؤوس ورغيف زائد يوضع على الصَّحَاف ، فلما أنفد القوم خبزهم التفت الى رجل الى جانبه فقال : اكسِر هذا الرغيف وافرقه بينهم ، فتعافى ، فأعاد عليه ، فقال : يُتَلَّى على يد غيرى .

قال المدائنى : كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو على الكوفة جدى يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسسه هو ولا غيره ، فقَدِم أعرابى يوماً فأكل لحمه وتعرق عظامه ، فقال ، يا هذا ، أطلب هذا البائس بذحل ^(٤) ؟ ! هل نطحتك أمه ! قال : وأبيك إنك لشقيق عليه ! هل أرضعتك أمه ! ^(٥)

قال المدائنى : كان لزياد بن عبد الله الحارثى جدى لا يمسسه [أحد] ^(٦) ، فعشى ^(٧) فى شهر رمضان قوماً فيهم أشعب ، فعرض أشعب يوماً للجدى من بين القوم ،

(١) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سيرورها المدائنى بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابى الذى قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، يضرب مثلاً لمن يصنع الصنعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة «بيض» . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم .

(٥) الدحل : الثأر . (٦) فى الأصل : « إنه لشقيق » .

(٧) فى الأصل : « قال » وكتب فى هامش الأصل الفتوغرافى : « لعله كان » وهو الصواب .

(٨) الزيادة عن كتاب البخل (ص ١٦٢ طبع أوروبا) .

فقال زياد حين رُفعت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلي بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فليُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أَوْ غيرَ ذلك أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قال : لا أكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله "يَتَمَنَّى" يا كل وأصحابه تمرا فأنطقا السراج ، وكانوا يُلقونَ النَّوى في طَسِيتٍ ، فسمِعَ صوتُ نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب بالكعبتين^(١) ؟

قال الأعشى^(٢) :

تيتون في المشى مِلَاءَ بطونكم * وجاراتكم سُبُغٌ يَتَنَّ نَحَائِصَا
وقال آخر^(٣) :

١٠ وضيف عمرو وعمرو ساهران معا * فذاك من كَطَّةٍ والضيف من جوع
وقال آخر :

وجيرة لا ترى في الناس مِثْلَهُمْ * اذا يكون لهم عِيدٌ وإفطارُ
إن يُوقِدُوا يوسعونا من دُخَانِهِمْ * وليس يبلغنا ما تُضِجُ النار
وقال سَمَاعَةُ بنُ أَشْوَل :

١٥ نزلنا بِسَهْمٍ والسَّمَاءُ تَلْفُنَا * لَجَى اللهُ سَهْمًا مَا أَدَقُّ وَأَلَمًا
فلما رأينا أنه عَاتِمُ الْقَرَى^(٥) * بخيلٌ ذَكْرُنَا ليلةَ الْمُضَبِّ كَرَدَمًا

(١) الكعبة والكعب : العظم الذي تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، ورواية البيت فيه :

٢٠ وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطته والضيف للجوع

(٤) في الأصل : « لم تر » . (٥) عاتم القرى : بطيته .

فَقُمْنَا وَحَمَلْنَا عَلَى الْآيْنِ وَالْوَجَى * جُلَّالًا بِأَوْصَالِ الرَّدِّيفَيْنِ مِرْجَمًا^(٢)
 يَدُقُّ خِرَاطِيمَ الْقِنَانِ كَأَنَّمَا * يَدُقُّ بَصَوَانِ الْجَلَامِيدِ حَتْمًا^(٣)
 بَحْنُنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا * فَتَى مِنْ عَيُونِ الْمُفْرِقَيْنِ مُسَلِّمًا^(٤)
 تُنَاخُ إِلَيْهِ هَجْمَةٌ وَانْكِيَّةٌ^(٥) * رَعَتْ بِالْجَوَاءِ الْبَقْلَ حَوْلًا مُجْرَمًا^(٦)
 كَأَنَّ بِأَحْقِيهَا إِذَا مَا تَنَعَّمَتْ * مَزَادًا سَقَا فِيهِ الْمَزُودَ مَعْصَمًا^(٧)
 فَبَاتَ رَفِيقِي بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ * بِمَنْزِلَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُكْرَمًا^(٨)
 وَلَوْ أَنَّهُمَا لَمْ يَدْفَعْ الْعَيْسَ زَمُّهَا * رَأَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ أَنْسَاءِهَا دَمًا^(٩)

وَقَالَ حُمَيْدُ الْأَرْقُطِ :

وَمُسْتَبِيعٌ بَعْدَ الْهَدُوءِ وَقَدْ جَرَتْ * لَهُ خَرَجَفٌ نَبْكَاءُ وَاللَّيْلُ عَاتِمٌ^(١٠)
 رَفَعْتُ لَهُ مَخْلُوطَةً فَاهْتَدَى بِهَا * يَشَبُّ لَهَا ضَوْءُ مِنَ النَّارِ جَاحِمٌ^(١١)
 فَاطْعَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَكَأَنَّمَا * تَنَازَعُهُ فِي أَخْذَعِيهِ الْحَاجِمُ^(١٢)

- (١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرحم : المضطرم العدد ، وفي الأصل : « مرحما » .
 (٣) في الأصل : « تدق » . (٤) الحتم : الخزف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوغلت في السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحتم

- والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب في الأصل الفتوغر في أمام كلمة الحتم : « الحصيد » ولعله من
 معاني الكلمة . (٥) في الأصل : « المفرقين » ، ولعله : « من عيوب المفرقين مسلما » ، ويريد مدحه
 بأنه سالم من عيوب المفرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبه من أثم . (٦) الهجمة من
 الابل : أولها الأربعون إلى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها « واثلية » .
 (٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) في الأصل : « النقل » .
 (١٠) مجرما : تاما ، وفي الأصل : « محزما » . (١١) أحق : جمع حق وهو الخصر .

- (١٢) المزاد : جمع مزادة وهي الراوية والقربة التي يستقي فيها . (١٣) معصما : مشدودا بالعصام
 وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نساء وهو عرق من الورك إلى الكعب . وفي الأصل :
 « أنسائها » . (١٥) في الأصل : « ومنتيح » . (١٦) كذا بالأصل ولعلها « مخبوضة »
 وهي الشجرة التي نقض عنها ورقها . (١٧) في الأصل « تناعه » .

(١) (٢) كَرْمَهَانِ يَفْطُو الْمَشَى لَوْ جُعِلَتْ لَهُ * رَعَايَا الْحَمَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَهُوَ قَائِمٌ
حَرِيصٌ عَلَى التَّسْلِيمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ * فَلَمْ يَسْتَطِعْ لَمَّا غَدَا وَهُوَ عَائِمٌ^(٣)
وقال الأعشى :^(٤)

إِذَا حَلَّتْ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو * عَلَى الْأَطَوَاءِ خَنَفَتِ الْكَلَابَا
وقال آخر :^(٥)

أَيَّابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ * وَيَابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلَتْ الزَّادَ فَالْتَمَسَى لَهُ * أَكْبَلًا فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَحَدِي^(٦)
بَعِيدًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيًّا فَإِنِّي * أَخَافُ مَذَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٧)
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ * خَفِيفَ الْمَعَى بِأَدَى الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ
وَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وقال مرة بن محكان السعدي :

فَقُلْتُ لَمَّا غَدَوَا أُوصِي قَعِيدَتَنَا * غَدَى بَنِيكَ فَلَنْ تَلْفِيَهُمْ حَقْبًا^(٨)
أَدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أَقْرِفْ بِأَمَّهُمْ * وَقَدْ هَجَمْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

- (١) الزمهان : الحران . (٢) فطا الدابة يفظوها : ساقها سوقا شديدا .
(٣) كذا بالأصل ، ولعلها « صائم » كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بن تغلب كما في كتاب
الحيوان للمجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائي يخاطب امرأته معاوية بنت عبد الله ،
وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :
إِذَا مَا صَنَعْتُ ... * ... فَإِنِّي لَسْتُ ...
(٧) روى هذا الشطر في أشعار الحماسة :

- * أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارِيَتِ فَإِنِّي *
(٨) رواية الشعر والشعراء للزُّلْف (ص ٤٣٢) : « فَلَنْ تَلْفِيَهُمْ » .

وقال حماد بن محمد :

زرتُ أمراً في بيته مرة * له حياءُ وله خبرُ
يكره أن يُنْجَمَ إخوانه * إن أذى التُّخمة محذور
ويستهي أن يُؤْجروا عنده * بالصوم والصائم مأجور

وقال بعض المُحدثين :

أبو نوح نزلت عليه يوماً * فعداني برائحة الطعام
(١)
وجاء بلحيم لا شيء سمين * فقدّمه على طبق الكلام
فلما أن رفعت يدي سقاني * مداماً بعد ذلك بلا مدام
فكان كمن سقى الظمان آلاً * وكنتُ كمن تغدّى في المنام

وقال عروة بن الورد :

إني أمرؤ عافٍ إنائي شُرْكَةٌ * وأنت أمرؤ عافٍ إنائك واحدُ
أتهزأ مني أن سميتَ وأن ترى * بجسمي مسَّ الحقِّ والحقُّ جاهدُ
(٢)
أقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسوقراح الماءِ والماءُ باردُ

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقدّم بيننا لحماً سمينا * فقدّمه على طبق الكلام

فلما أن رفعت يدي سقاني * كؤوساً حشوها ربح المدام

(٢) في أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوروبا) : « بوجهي شحوب الحق » .

باب القُدور والحفان

ذكر الفرزدق عقبة بن جبار المنقري وقدره فقال :

لو أن قِدرًا بكت من طولِ محبِسِها * على الحفوفِ بكتِ قِدرُ ابنِ جبارِ^(١)
ما مَسَّها دَسَمٌ مُدُّ فُضَّ مَعِدُنْها * ولا رأت بعد نارِ القَيْنِ من نارِ

وقال :

كَأَنَّ تَطْلُعَ التَّرْعِيبِ فِيهَا^(٢) * عَذَارٍ يَطْلُعْنَ إِلَى عَذَارِ^(٣)

وقال الكُمَيْت :

كَأَنَّ النُّطَامِطَ مِنْ غَلِيْهَا * أَرَا جِرْأَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا^(٤)

وقال آخر :

وَقِدْرِ جَوْفِ اللَّيْلِ أَحْمَشْتُ غَلِيْهَا * تَرَى الْفَيْلَ فِيهَا طَائِفًا لَمْ يُفْصَلِ^(٥)

وقال ابن الزبير يمدح أسماء بن خارجة :

تَرَى الْبَازِلَ الْبُخْتِيَّ فَوْقَ خَوَانِهِ * مَقْطَعَةً أَعْضَاؤُهُ وَمَقَاصِلُهُ^(٦)

(١) كذا في ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف :

قلة الدسم . وفي الأصل : « الحفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمعاء محم بن عامر أحد بني عمرو ، ومطلعا :

سألنا عن أبي السمعاء حتى * آتينا خير مطروق لسارى

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السنام المقطع شطاب مستطيلة .

وفي الأصل : « الترغيب » بالعين المعجمة وهو تحريف . (٤) النطامط (بضم النون المعجمة) : صوت

الغليان ، ويقال : تنطمطت القدر إذا اشتد غليانها . وأسلم وغفار : قبيطان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما في كتاب البخل للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا

في كتاب البخل . وفي الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحش القدر : أشبع وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغاني (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرقاشي :

لنا من عطاء الله دَهْمَاءُ جَوْنُهُ ^(١) * تناولُ بعد الأقربين الأَقاصِيَا ^(٢)
 جعلتُ أَلَاً وَالرَّجَامَ ^(٣) وَطِخْفَةً * لها فاستقلت فوقهن الأثافيَا
 مؤدِّيَّةٌ عنا حقوقُ محمد ^(٤) * إذا ما أتاها يابسُ الجنبِ طاوِيَا
 أتى ابنُ يسيرٍ كي يُنَفِّسَ كَرْبَهُ ^(٥) * إذا لم يَرْحُ وافِ مع الصبحِ غاديَا
 فأجابه ابنُ يسيرٍ : ^(٦)

وثرَمَاءُ ثَلَمَاءِ النّوَاحِي ^(٧) وَلَا يَرَى * بها أحدٌ عَيَا سِوَى ذاكِ باديَا
 إذا انْقَاصُ منها بعضُها لم يَجِدْ لها ^(٨) * رءُوبَا لما قد كان منها مَدَانِيَا
 وإن حاولوا أن يَشْعَبوها فإنها ^(٩) * على الشَّعْبِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيَا
 مَعْوَذَةُ الإِرْجَالِ ^(١٠) لَمْ تَوْفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَطِ ^(١١) الجَوْنُ الثَّلَاثُ الأَثافيَا

- (١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) في الأصل « تناول » بالياء المثناة .
 (٣) ألال (وزان حمام ويروي بكسر همزة) : اسم جبل يعرف . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به
 جيش أبي بكر رضي الله عنه يريدون عمات أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وفتح) : جبل .
 (٤) في كتاب البغلاء للملاحظ (ص ٢٥٠) : « يابس الحال » . (٥) كذا في كتاب البغلاء ،
 وقد ورد هذا البيت في الأصل محرفاً هكذا :

أنا ابنُ يسيرٍ أن تنفّسَ كربة * إذا لم ترجِ وافاً من الصبحِ عاديَا

- (٦) كذا في كتاب البغلاء ، وهو محمد بن يسير اليسري كما في الكامل للبرد (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبع
 أوربا) وطبقات الشعراء للؤلّف (ص ٥٦٠ طبع أوربا) ، وفي الأصل : « ابن يسير » .
 (٧) كذا في كتاب البغلاء . وفي الأصل : « سلها » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيتهما ، شبه
 بها القدر التي تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلما : المكسورة النواحي . (٨) انقاص :
 انشق . (٩) في الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة ، والإرجال : مصدر
 أرجله إذا جعله يمشي ، ولعله يريد أن هذه القدر لا تنقل لضخامتها . وفي كتاب البغلاء : « معوذة
 الأرحال » . (١١) في الأصل : « ولم يمتط » .

ولا أَجْتَرَعْتُ من نحو مَكَّة شُقَّةٌ * إلينا ولا جازت بها العيسُ وإدياً
ولكنها في أصلها مَوْصِلِيَّةٌ * مجاورةٌ فَيْضاً من البحر جارياً
أَتُنَّا تَرْجِيَهَا المجاذيفُ نَحْوَنَا * وَتُعِيبُ فيما بين ذاك المَزَادِيَا^(٤)
يقول لِمَنْ هِذَى القُدُورُ التي أرى * تَهِيلُ عليها الرِّيحُ تَرْبَاً وسافياً
فقالوا ولن يَخْفَى على كل ناظِرٍ * قُدُورُ رَقَاشٍ إن تأمل دانيَا^(٥)
فقلت متى باللحم عهدُ قُدُورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنْ عَوَارِيَا
من آخَى إلى أخى وإلا فإنها * تكون بنسج العنكبوت كما هيَا
فلما استبان الجَهْدُ لى في وجوههم * وشكواهم أَدخلَتْهم في عِيَالِيَا
يُنَادى ببعضهم عند طلعتي * أَلَا أَنبِشُوا هذا الِيسِيرَى جَائِيَا

وقال أبو نُوَّاس :

ودَهْمَاءُ تُنْفِئُ رَقَاشٌ إذا شَتَّتْ * مُرَكَّبَةٌ الآذَانُ أُمُّ عِيَالٍ^(٧)
يَفْصُ بِحَيْرُومِ البَعُوضَةِ صدرُهَا * وَتَنْزِلُهَا عَفْوَاً بِغَيْرِ جِعَالٍ^(٨)

(١) اجترعت : قطعت . وفي الأصل : « اجترعت » بالراء .

(٢) في الأصل : « غيضا » بالعين المعجمة . (٣) كذا في كتاب البخل .

وفي الأصل : « تجزينا » وهو خطأ . (٤) المزدادى : جمع مزداة ، والمزداة : الحفيرة

يرى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخل : « رائيها » .

(٦) الدهماء : السوداء من القُدُور . وتنفيها : تجعل لها أثافاً . وفي ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) :

« ترسيا » من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم
وتقوم بحاجتهم . (٨) في الأصل : تمض بحيزون وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر

في ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يفص بحيزوم الجرادة صدرها * وينضج ما فيها أنقاد ذبال

وتقل بذكر النار من غير حرها * وينزلها الطاهى بغير جعال

والجعال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جثتها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا ^(١) * لأخرجت ما فيها بعود خلال
هي القِدْرُ قَدْرُ الشَّيْخِ بَكْرٍ بنِ وائِلٍ * رَبِيعَ الْيَتَامَى عامَ كُلِّ هُنْزَالٍ ^(٢)

وقال أيضا :

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنَ الصَّلَى ^(٣) * وَقَدَرَ الرَّقَاشِيْنَ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ
ولو جثتها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا * لأخرجت ما فيها على طَرَفِ الظُّفْرِ
يُنْبِتُهَا ^(٤) لِلْعُتْفَى بِنَائِهِمْ * ثَلَاثُ كُحْطِ النَّاءِ مِنْ نَقْطِ الْحَبْرِ
تُرْوَحُ عَلَى حَيِّ الرِّبَابِ وَدَارِمٍ ^(٥) * وَسَعْدٍ وَتَعْرُوهَا قَرَا ضِبَّةُ الْفَزْرِ
وَالْحَيِّ عَمِرُوا نَفْحَةً مِنْ سِجَالِهَا * وَتَقْلَبُ وَالْيَيْضُ اللَّهَامِيمِ مِنْ بَكْرِ ^(٦)
إِذَا مَا يُنَادَى بِالرَّحِيلِ سَعَى بِهَا * أَمَامَهُمُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّرِّ ^(٧)

وقال أبو عبيدة : كان لعبد الله بن جُدعان جَفَنَةٌ يأكل منها القائم والراكب .

وذكر غيره أنه وقع فيها صبي ففرق .

(١) العيط : اللحم الطري . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا في الديوان وكتاب البخل . وفي الأصل : « منبع » .

(٣) في البخل (ص ٢٥١) : « سودا على الصل » . والصل : النار . (٤) كذا في البخل .

(٥) في الأصل : « بينا للعتى فنائه » . (٥) كذا في كتاب البخل . وفي الأصل

« نخط » وهو تحريف . (٦) الرباب ودارم وسعد والفرز : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص

والفقراء ، واحده قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا في كتاب البخل . والهاميم من الخيل :

جياها ، ولهاميم الإبل : غزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفي الأصل : « الهامين من فكر »

وهو تحريف .

وقال الأشعر^(١) :

وأنت مَلِيخُ كَلِمِ الحُوَارِ * فلا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرٌّ^(٢)
وقد علمَ الضيفُ والطارقونَ * بأنك للضيفِ جوعٌ وقُرٌّ

سأل يحيى بن خالد أبا الحارث بُحَيْرًا عن طعام رجل، فقال : أما مائدتُه فقنّة^(٣)
وأما صحافه فنقورةٌ من حَبِّ الخَشَاشِ، وبين الرغيف والرغيف نقرة جوزة، وبين
اللون واللون قنرة نبي. قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكاتبون . قال : فإِيا كل
معه أحدٌ؟ قال : نعم، الذباب . قال : فلهذا ثوبُك مخرقٌ ولا يَكْسُوكِ وأنت معه
وبِفَنائِه ؟ ! قال أبو الحارث : جُعِلَتْ فِدَاكَ، والله لو مَلَكَ بيتًا من بَغْدَادَ إلى الكوفة
مملوءًا إِبْرًا، في كل إبرة خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنانِ
عنه إبرة يَخِيطُ بها قِيصَ يوسف الذي قُتِلَ من دُبرٍ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

ولو عليك أُنْكَلِي في الغِذاءِ إذا * لَكُنْتُ أَوَّلَ مَدْفُونٍ من الجوعِ^(٤)

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهل، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا
اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعره مع اختلاف
في بعض الكلمات وهو :

بحسبك في القوم أن يعلوا * بأنك فيهم غنى مضرٌ
وقد علم العشر الطارقوك * بأنك للضيف جوع وقُرٌّ
إذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قد ولدتك الحمر
مسيخ مليخ كلم الحوار * فلا أنت حلو ولا أنت مرٌّ

- ٢٠ (٢) المليخ : الذي لا طعم له ، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه .
(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جيز في حاجة إلى الوضوح لغموض عبارته . (٤) لذا بالأمر .
والذي في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدتُه فغنية » بالعين والياء المثناة من تحت والياء
الموحدة . (٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الجحاج لثيادوق متطبيه: ^(١) صِف لي صفةً آخُذُ بها [في نفسى] ولا أعدوها،
قال ثيادوق : لا تتزوج من النساء إلا شابة ، ولا تأكل من اللحم إلا فتياً ،
ولا تأكله حتى يُنعم طَبخه ، ولا تشرب دواءً إلا من عِلَّةٍ ، ولا تأكل من الفاكهة
إلا نضيجها ، ولا تأكل طعاماً إلا أجذت مَضغَه ، وكل ما أحبت من الطعام
وأشرب عليه ، وإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً ، ولا تحبس الغائط والبول ،
وإذا أكلت بالنهار فتم ، وإذا أكلت بالليل فتمش ولو مائة خطوة ^(٢) .

روى عبد العزيز بن عمران عن الحليس بن حيان الأشجعي قال حدثني أبي
عن شيوخ من أشجع قال : سألنا يهود خير : بم صحَّحتم بخير ؟ قالوا : بشرب
الخمر ، وأكل الفوم ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خير
عند طلوع الفجر وسقوطه ^(٣) .

قال الجحاج للحكم بن المنذر بن الحارود : أخبرني عن صفاء لونك وغلظ
قَصْرَتِكَ ، أَشْرَبُ اللبن فهو منه ؟ قال : لا ؛ قال : ولم ؟ قال : لأنه منقحة ^(٤) .
قال : فما شربك ؟ قال : نبيذ الدقل في الصيف ونبيذ العسل في الشتاء ^(٥) .

(١) كذا في تاريخ الحكماء للقفطي (ص ١٠٥ طبع أوروبا) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
(ج ١ ص ١٢١) ، وكان طبيباً مشهوراً في صدر الإسلام والدولة الأموية واختص بالجحاج بن يوسف
فكان يثق به ويعتمد عليه في مداواته . وهذا الاسم ذكر مرة في الأصل «ياذوق» ومرة أخرى «ياذوق» ،
وفي العقد الفريد «يتادون» . وكله تحريف . (٢) في طبقات الأطباء : «نحسين خطوة» .
(٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) : «عند طلوع النجم وعند سقوطه» . (٤) القصرة :
أصل العنق إذا غلظ . وفي الأصل : «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك» . (٥) الدقل
(بالتحريك) : أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الجرم كبير النوى .

قال عبد الملك لأعرابي : إنك حسن الكدنة^(١)، قال : إني أدفي رجلي في الشتاء، وأغفل غاشية الغم، وآكلُ عند الشهوة .

عن علي رضي الله عنه أنه قال : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء . ومن أكل كل يوم سبع تمرات نجوة قتلت كل داء في بطنه . ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيدة حمراء لم يرفى بدنه شيئاً يكرهه . واللحم يُنبت اللحم . والثريد طعام العرب . ولحم البقر داء، ولبنها شفاء، وسمها دواء . والشحم يُخرج مثلية من داء . ولم يستشف الناس بشيء أفضل من الرطب . والسمك يذيب الجسد، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم . ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليأكل العشاء، وليقلل غشيان النساء، ويخفف الرداء، وليلبس الحذاء . قيل : وما خفة الرداء في البقاء ؟ قال : قلة الدين .

قيل لرجل : إنك لحسن السخنة ؛ فقال : آكل لباب البر بصغار المعز، وأدهن بحام البنفسج، وألبس الكنان^(٣) .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورث الهزال : شرب الماء على الريق، والنوم على غير وطاء، وكثرة الكلام برفع الصوت .

ويقال : أربع خصال يهدم العمرور بما قتلن : دخول الحمام على بطنية، والمجاعة على الأمتلاء، وأكل القديد الجاف^(٥)، وشرب الماء البارد على الريق؛ وقيل : ومجاعة العجوز .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلط الجسم وكثرة اللحم . وفي الأصل : «الكدية» بالياء المتناة من نجت، وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل، والعبارة غير واضحة، ولعلها محزنة . (٣) كذا بالأصل، ولعلها «بحم البنفسج» واللحم : ما أذيت إهالته، والمراد به دهن البنفسج وهو زيت الذي يستخرج منه . (٤) هي من نضائح تياذوق الطيب للحجاج كما في طبقات الأطباء، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبرزجمهر . (٥) القديد : اللحم المجفف، وقيل ما قطع منه طولاً .

وفي الحديث : «ثلاثة أشياء تُورث النسيان أكل التفاح الحامض وسؤر الفأرة ونبت القملة»^(١) . وفي حديث آخر «والجمامة في النقرة والبول في الماء الراكد»^(٢) .

ويقال : أربعة أشياء تقصد الى العقل بالإفساد : الإكثار من البصل ، والباقلأ ، والجماع ، والخمار .

وقال النظام : ثلاثة أشياء تُخلق العقل وتفسد الذهن : طول النظر في المرأة ، والاستغراب في الضحك ، ودوام النظر الى البحر .

وكان يقال : عشاء الليل يُورث العشا^(٣) .

ويروى في الحديث : «ترك العشاء مهزمة» . والعرب تقول : ترك العشاء يذهب بلحم الألتين^(٤) .

باب الحمية

قال الحارث بن كلدة طيب العرب : الدواء هو الأزم . يعنى الحمية .

قال آخر : الحمية إحدى العلتين .

وقيل لجالينوس : إنك تُقل من الطعام ؛ قال : غرضى من الطعام أن آكل لأحيا ، وغرض غيرى من الطعام أن يحيا لياكل .

١٥ (١) ورد هذا الحديث في كتاب حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سور الفأرو إلقاء القملة وهي حية والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ الملك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوعدة في القفا . (٣) العشا : أن يسو. بصر الانسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالتهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : منى الآية أليان كما تقول هما خصيان وواحدة خصية وقد ورد أليتان في شعر عنترة :

مضى ما تلقى فردين ترجف * رواف ألتيك وتستطارا

(٥) ردو هذا الخبر في المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوباً لأبقراط .

وقال العمى^(١) : مَنْ أَحْتَمَى فَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَفِي شَكٍّ مِمَّا يَأْمُلُ مِنَ الْعَافِيَةِ .
وكان يقال : ليس الطيب من حمى الملك ومتعه الشهوات ، إنما الطيب من خلّاه وما يُريد وساس بدنه .

وقال بعض الشعراء :

وَرُبَّتْ حَزِيمٌ كَانَ لِلْسَّقِيمِ عِلَّةٌ * وَعِلَّةُ بُرِّ الدَّاءِ خَبْطُ الْمُغْفَلِ

ويقال : الحمية للصحيح ضارة كما أنها للعليل نافعة .

وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صهيبيًا يأكل تمرًا وبه رمدٌ، فقال له : «أنا كل التمر وبك رمد» ، فقال : يا رسول الله، إنما أمضغ بهذه .^(٢)

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده^(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ» .^(٤)

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السهمي : حدثنا بعض أصحابنا يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ أَسْتَقَلَ بِدَائِهِ فَلَا يَتَدَاوَى فَإِنَّهُ رُبَّ دَوَاءٍ يُورِثُ الدَّاءَ» .

(١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله وإسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصري الحافظ مات

سنة أربعين ومائتين . (انظر الخلاصة في أسماء الرجال) . (٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التي

لا يرمدها . ونص الحديث في الجزء السابع من شرح الثرقاني على المواهب : «وفي سنن ابن ماجة عن صبيب

قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر ، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرًا فأكلت »

فقال : «تأكل تمرًا وبك رمد» فقلت : يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى ، فتبسم رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أي لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التي لا يرمدها .

(٣) كذلك بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من النسخ ، لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى

عن أبيه ، وجده مات مقتولا في الجاهلية ، كما في كتاب المعارف لابن قتيبة ، فلم تكن له رواية عن النبي

صلى الله عليه وسلم .

- وكانت الحكماء تقول : إياك وشرب الدواء ما حملت صحتك داءك .
- وقالوا : مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب يُنقىه ، ولكنه يُخْلَقُه ويُلِينه .
- عن يزيد بن الأصم قال : لقيت^(١) [طبيب] كسرى شيخاً [كبيراً] قد أوثق^(٢) حاجبيه بخرقه ، وسأله عن دواء المشى^(٣) ، قال : سهم يرمى به في جوفك أخطأ أو أصاب .
- قال أبقرط : الدواء من فوق ، والدواء من تحت ، والدواء لا فوق ولا تحت .
- وفسره المفسر فقال : من كان دأؤه في بطنه فوق سُرته سقى الدواء ، ومن كان دأؤه تحت سُرته حَقِنَ ، ومن لم يكن به داء لا من فوق ولا من تحت لم يُسَقِ الدواء ، فإن الدواء إذا لم يجد داء يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها .
- قال أبو اليقظان : كان عبد العزى بن عبد المطلب يشتكى عينه وهو مطريق^(٤) أبدأ ، وكان يقول : ما يعينني بأس ، ولكن كان أنحى الحارث إذا اشتكت عينه يقول : آكلوا عين عبد العزى معي فَيَأْمُرُ من يَكْهَلُنِي معه ليرضيه بذلك فأمرض عيني .
- قال ابن أحر حين شفى بطنه :
- شربت الشكاى والتددت ألدّة * وأقبلت أفواه العروق المكأويآ^(٥)
- شربنا وداوينا وما كان ضارنا * إذا الله حم المرء أن لا تدأويا^(٦)
- وفي الحديث : ” داؤوا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة وأستقبلوا^(٧) أنواع البلاء بالداء ” .

- (١) التكة عن أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودواؤه المشى وهو المسهل .
- (٣) في الأصل : « أم » . (٤) هو أبو لهب . (٥) لعل الفاعل « أبي » أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاى : من دق النبات وهي دقيقة العيدان صغيرة خضراء يتداوى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاة . والتددت ألدّة من قولهم التدد الرجل إذا ابتلع اللدود وهو ماسق في أحد شقي الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكأوة الداء : جعلها قبالة . (٨) كذا في الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفي الأصل : « لما » .
- (٩) في الجامع الصغير : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَّثُ والحُقْنَةُ والتَّخْمَةُ

عن وَهْبٍ قَالَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : إِنْ طَوَّلَ الْجُلُوسُ عَلَى الْخِلَاءِ يَرْفَعُ الْحَرَارَةَ إِلَى الرَّأْسِ ، وَيُورِثُ الْبَاسُورَ وَيَتَّبِعُ لَهُ الْكَبِدُ^(١) ، فَاجْلِسْ هُوَيْتِي وَقِمِ هُوَيْتِي . فَكَتَبْتُ حِكْمَتَهُ عَلَى بَابِ الْحَشِ^(٢) .

- وَكَانَ يُقَالُ : إِذَا خَرَجَ الطَّعَامُ قَبْلَ سِتِّ سَاعَاتٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ ، وَإِذَا بَقِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فَهُوَ مَرَضٌ .

وَكَانَ أَبُو ذُفَّافَةَ الْبَاهِلِيُّ أَشْتَكَى ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِالْحُقْنَةِ فَأَمْتَنَعَ ، فَأَنْشَأَ أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ :

لَقَدْ سَرَّنِي - وَاللَّهُ وَقَّاكَ شَرَّهَا - * نِفَارُكَ مِنْهَا إِذْ أَنْتَاكَ يَقْوَدُهَا
كُنْى سَوْءَةً أَلَّا تَزَالَ مُجِيبًا * عَلَى شَكْوَةٍ وَفَرَاءٍ^(٤) فِي أَسْتِكَ عُدُّهَا^(٣)

وَأَشَارُوا عَلَى عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْحُقْنَةِ فَتَفَحَّشَهَا ، فَقَالُوا : إِنَّمَا يَتَوَلَّاهَا مِنْكَ الطَّيِّبُ ، فَقَالَ : أَنَا بِالصَّاحِبِ آئِسٌ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : سَأَلَ الْحَجَّاجُ جُلَسَاءَهُ : مَا أَذْهَبَ الْأَشْيَاءَ لِلْإِعْيَاءِ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَكَلَ التَّمْرَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْحَمَامُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : التَّمْرِيخُ^(٥) .

وَقَالَ فَيْرُوزٌ : أَذْهَبَ الْأَشْيَاءَ لِلْإِعْيَاءِ قَضَاءُ الْحَاجَةِ .

(١) تَجِيعٌ مِنْ وَجِيعٍ يُوْجَعُ (بِقَلْبِ الْوَارِيَاءِ) إِذَا مَرَضَ وَتَأَلَّمَ .

(٢) الْحَشِ : الْبَسْتَانُ

وَقِيلَ : النِّخْلُ الْمَجْتَمِعُ ، وَيَكْنَى بِهِ عَنْ بَيْتِ الْخِلَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمُ التَّقَوُّطُ فِي الْبَسَاتِينِ .

(٣) مُجِيبًا : مُتَجَاوِئًا عَلَى وَجْهِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « مُجِيبًا » .

(٤) الشَّلْوَةُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ .

وَوَفْرَاءٌ : مَلَاى . (٥) التَّمْرِيخُ : التَّهْدِينُ .

وحدثني بعض الأطباء أن رجلاً شرب خبث الحديد المعجون فبقي في جوفه ،
فأشتد عليه وجعه ؛ فسحقت له قطعة من المغناطيس وسقي إياه ، فتعلق بالخبث
ونرج مع الفائض .

قال : وقال تياذوق طيب التجاج للحجاج : إن اللحم على اللحم يقتل السباع^(١)
في البرية . ثم قال لي جعفر : قالت جارية لنا : كان لي ظبي فتربعين قد هنيئ^(٢)
للخشكان ، فأكل منه ففسس — والحفس : الحبط وانتفاخ البطن — فسأخ^(٣)
فوجد قد شرب بالدم . وقال يونس (طيب لنا) : هكذا يُصاب الإنسان
إذا شيم .

الأصمعي : قال بعض الأعراب : اللهم إني أسألك ميتة كيتية أبي خارجة ، أكل^(٤)
بذجا ، وشرب معسلا ، ونام في الشمس ، فلقى الله شعبان ريان دفان .^(٥)
وقال آخر من الأعراب : اللهم أجعل التخممة دائي وداء عيالي .
قال ابن شباية مولى بني أسد : من بال ولم يضطر كُتبت آسته من الكاظمين
الغيظ .

(١) في الأصل « دياذوق » وقد صححناه فيما مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكان كلمة فارسية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أو هي ضرب من الحلوى . ١٥

(٣) في الأصل : « يصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل :

شراب معمول بالمسل ، ومنه قول الشاعر :

إذا أخذت مساوئها منحت به * رضايا كلهم الزنجيل المعسل

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكل يقيء ^(١) إذا أكل : لا تفعل ، فإن المعدة تضيء ^(٢) الى القيء كما تضيء الدابة الى العلف ، فلا ينضج الطعام .
وأخذ مزبد شارباً فاستنكهه ^(٣) ، فأتى به الوالى فاستنكهوه ، فقالوا نكته لا تنبي عنه ، قال مزبد : إن لم أقيء نبيذا فمن يضمن لى عشاء .
رئى الجمال يأكل فقيل له : ما تأكل ؟ قال : قىء كلب فى حيف خنزير ^(٥) .

النكهة

سئل تياذوق عن البحر فقال : دواؤه الزبيب يعجن بسعتر ثم يؤكل أسبوعين أو ثلاثة . بحرب فذهب .

وتقول الروم فى الكرفس : إنه يطيب الفم ويذهب البحر ، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ومحافل الناس وكان أكثر كلامه السرار ^(٧) .

قالت الأطباء : الجزر المشوى والخبز المقلوب بالزيت أو بالسمن إذا مضغ ورئى بثقله قاطع لرائحة البصل من الفم ^(٨) . والفوم ^(٩) إن أكله آكل فاحب أن يقطع رائحته مضغ ورق الزيتون الطرى وتمضمض بعده بالخل .

(١) فى الأصل : « ليق » . (٢) تضفر : تثب . (٣) استنكهه : شم ربح

فه ، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب . (٤) فى الأصل : « قالوا » .

(٥) القحف : ما انقلب من الجمجمة فإن أى انفصل ، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسره شئ .

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة . (٧) المرار : المساةة .

(٨) الثفل : ما سفل من كل شئ وهو خثارته . (٩) الفوم : الثوم .

(١) والسعد قاطع لرائحة النبيذ من الفم . وحب الأترج مطيب للنكهة . والبحر لا يكاد يكون في الملاحين لأكلهم الملاح .

وقرأت في الآين : أن رئيس الحرم أمر جوارى الملك ألا يأكلن الثوم والبصل والكراث واللُّفَّاح (٢) والجِصَّ الرطب والمشمش ؛ فإنه يُورث البخر .

باب المياه والأشربة

قالت الأطباء : معرفة خفة الماء بأن يكون سريع الغليان ويكون سريع البرد . وأحمد المياه ما كان قبالة المشرق ومجراه مجرى الشمال ومروره على الطين الأحمر وعلى الرمل . قالوا : ومما يُصنَّى من الماء الكدَّر فيصفو سريعاً أن يُلْقَى فيه قِطْعٌ من خشب الساج (٤) أو قطع من أجر جديد .

قال بعض المحدثين :

يمنع أمه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصبح فيها وقايتونا * يجري به الثلج في مثال (٥)

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفي الأصل : « السند » .

(٢) في الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسباً ، فلعلها محرفة عما أثبتناه . والملاح :

ضرب من نبات الحمض أو حمضة مثل القلام فيه حمرة . (٣) اللفاح : نبات يقطين

أصفر شبه الباذنجان . (٤) الساج : شجر يعظم جداً لا ينبت إلا ببلاد الهند ، وخشب أسود

رزين لا تكاد الأرض تبليه . (٥) كذا بالأصل ، ولم نثر على هذين البيتين ولم نوفق

إلى تصويهما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يُعَذَّبَ له الماءُ الزَّعَاقُ جعله في قِذْرٍ جديدة من خَرَفٍ وغطَّى فاما بأَسْحَالٍ^(٢) ثم أوقد تحتها حتى تغلى ويَحْصُلَ فيها نصفُ ذلك الماء ثم صفاه وتركه ، فانه يَجِدُهُ شَرُوباً^(٣) .

وقالوا : ماء دِجَلَة يَقْطَعُ شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيل الخيل ونشاطها ، ومن لم يأكل الدسم عليه آنحلَّ عظمُه وَيَسَّ جِلْدُه ، وهو مع هذا أَهْضَمُ للطعام من غيره من المياه وأسرعها بردا .

قال : والنَّيْلُ يستقبلُ الشَّمالَ وينضُبُ في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها . وزيادة أوله وآخره معها ؛ ولا تكون التماسيحُ إلا فيه ؛ قال الشاعر :

أضمرتُ للنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقِيلَةً * إذ قيل لي إنما التماسيح في النَّيْلِ

فمن رأى النَّيْلَ رأى العينَ من كَتَبٍ * فما أرى النَّيْلَ إلا في البواقيِلِ^(٤)
والسَّقَنْقُورُ أيضًا لا يخرج إلا منه^(٥) .

- (١) الزعاق: المرافلظ . (٢) أسحال: جمع سحل وهو الخرقعة البيضاء . وفي الأصل: «سحال» ولم يرد هذا في جمع سحل وإنما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب: الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيِل — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البراقيل» بالراء . وفسره الخفاجي بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما في خطط المقرئ (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشاكل التماسيح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس ، وذنب التماسيح مخيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء — يعني النيل — ولهذا قيل له الورل المائي لشبهه به ولدخوله في الماء .

وروى في الحديث عن الضحاك بن مزاحم أنه قال قَذَفَ الْفُرَاتُ فِي الْمَدِّ رُمَانَهُ^(١)
كَأَنَّهَا الْبَعِيرُ الْبَارِكُ، وَتَحَدَّثَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ .

وقال ابن ما سويه : ينبغي للهاء الغليظ الذي ليس يَعْدُبُ أَنْ يُطْبَخَ حَتَّى
يَذْهَبَ مِنْهُ نِصْفُهُ، ثُمَّ يُطْرَحَ فِيهِ السُّوَيْقُ أَوِ الطِّينُ الْأَحْمَرُ فَإِنَّهُ يَلْطَفُهُ وَيُذْهِبُ غَائِلَتَهُ
وَيُعْذِبُهُ وَيَمْنَعُ كَدَّرَهُ .

قالت الأطباء : الْفُقَّاعُ الْمُتَخَذُ مِنْ دَقِيقِ الشَّعِيرِ نَافِعٌ مِنَ الْجُدَامِ . وَالْجُلَّابُ^(٢)
قَاطِعٌ لِكَثْرَةِ دَمِ الْحَيْضِ ، . وَالسَّكَنْجِينُ^(٤) نَافِعٌ مِنَ الذُّبْحَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ حَرَارَةٍ ،
يُشْرَبُ وَيَتَغَرَّغَرُّ بِهِ .

باب اللِّجَامِ وَمَا شَا كُلُّهَا

قالت الأطباء : لَحْمُ الْمَاعِزِ يُورِثُ الْهَمَّ، وَيُحْزِنُ السُّودَاءَ، وَيُورِثُ النِّسْيَانَ،
وَيَحْبِلُ الْأَوْلَادَ، وَيُفْسِدُ الدَّمَ، وَهُوَ ضَارٌّ لِمَنْ سَكَنَ الْبِلَادَ الْبَارِدَةَ . وَأَمَّا اللِّجَامُ
مَا خِصِيَ مِنَ الْمَعَزِ . وَالضَّيَّانُ نَافِعٌ مِنَ الْمِرَّةِ السُّودَاءِ، إِلَّا أَنْ أَمْرُورِينَ الَّذِينَ يُضَرَّعُونَ،
إِذَا أَكَلُوا لَحْمَ الضَّيَّانِ أَشْتَدَّ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يُضَرَّعُوا فِي غَيْرِ أَوَانِ الصَّرْعِ . وَأَوَانُ الصَّرْعِ
الْإِهْلَةُ وَأَنْصَافُ الشُّهُورِ .

(١) في معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : « وما يروى عن السدي، والله أعلم بحقه من باطله،
قال : مدَّ الفرات في زمن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فألقى رمانة قطعت الجسر من عظامها، فأخذت
فكان فيها كَرَحٌ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن قوا كه الجنة
لم توجد في الدنيا . ولولم أر هذا الخبر في عدة مواضع من كتب العلماء ما استجرت كتابته » اهـ .
(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير، سمي بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام
مشددة ومخففة : العسل أو السكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجيين : شراب من
خل وعسل، ويراد به كل حلوه حامض . (٥) المزة السوداء : خلط من أخلاط البدن .

(١) قال الشاعر :

كَانَ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَائٍ * فَهَمَّ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ مَلَلَهُمْ
قَالُوا : وَاللَّحْمَ أَقْلَ الطَّعَامِ تَجَيَّأُوا . وَلَحْمَ الدَّجَاجِ الْحَرَمِ شَرُّ الْفُتَّانِ وَأَغْلَطُهَا .
وَالْبَيْضُ إِنْ سُلِقَ بِالْحَلَلِ ثُمَّ أُكِلَ بِالسَّمَاقِ وَحَبِّ الرِّمَانِ الْمُفَلَّقِ وَالْمَلْحِ وَالْمُرِّيِّ
عَقْلَ الطَّبِيعَةِ .

وَالزُّبْدُ إِنْ طُلِيَ عَلَى مَنْبَاتِ أَسْنَانِ الْبَطْلِ كَانَ مُعِينًا عَلَى نَبَاتِهَا وَطُلُوعِهَا ، وَالْمَخْ
وَالدَّمَاعُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ .

مَضَارُّ الْأَطْعِمَةِ وَمَنَافِعُهَا

الْكُمَاةُ وَالْفُطْرُ — (٦) (٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ
وَهُمْ يَذْكُرُونَ الْكُمَاةَ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ جُدْرِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ : ” الْكُمَاةُ مِنَ الْمَنِّ
وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ “ .

- (١) هُوَ غِيلَانٌ مِنْ عَقَبَةِ الْعَدْوِيِّ الْمَعْرُوفِ بِذِي الرِّمَةِ . (٢) كَذَابِي الدَّانِ (مَادَّةُ نَعِجٍ) ،
وَنَعِجُونَ : ثَقُلَ أَكْلَ لَحْمِ الضَّائِ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ قَدْ انْتَحَمُوا مِنْ كَثَرَةِ أَكْلِهِمْ الدَّمِ فَسَالَتْ طَلَاهِمُ
(أَعْنَاقُهُمْ) ، وَفِي الْأَصْلِ « نَعِجُونَ » بِأَلْيَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) النَّجْوَى : مَا يَخْرُجُ
مِنَ الْبَطْنِ مِنْ رِيحٍ أَوْ غَائِطٍ . (٤) السَّمَاقُ : (بِالتَّشْدِيدِ) مِنْ شَجَرِ الْقَفَافِ وَالْجِبَالِ وَلَهُ ثَمَرٌ حَامِضٌ
عَنَاقِيدُ فِيهَا حَبٌّ صَفَرٌ يَطْبُخُ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْحَرَةِ . (٥) الْمُرِّيُّ : يَعْمَلُ عَمَلُ الْمَلْحِ إِلَّا أَنَّهُ أَقْوَى مِنْهُ
وَالطَّفُ . وَفِي مُفْرَدَاتِ ابْنِ الْبَيْطَارِ : « وَلَيْسَ يُوَافِقُ الْبَيْضَ وَخَاصَّةً الْمُسْلُوقَ مِنْهُ أَصْحَابُ الْمَعْدَةِ الضَّعِيفَةِ
فَإِنْ اضْطُرَّ إِلَى إِدْمَانِ أَكْلِهِ فَلْيُؤْكَلْ بِالْمَلْحِ وَالْفَلْفَلِ وَالْمُرِّيِّ » . وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْمَلْحُ الْمَشْوِيُّ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٦) الْكُمُ : نَبَاتٌ مُسْتَدِيرٌ كَالْقَلْقَاسِ لَا سَاقَ لَهُ وَلَا عَرَقَ ، لَوْنُهُ إِلَى الْغَيَرَةِ وَالسَّوَادِ ، يَوْجَدُ فِي الرَّبِيعِ
تَحْتَ الْأَرْضِ . وَهُوَ عَدِيمُ الطَّعْمِ وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ يُوْكَلُ نَيْشًا وَمَطْبُوحًا . (٧) الْفُطْرُ : ضَرْبٌ مِنَ
الْكُمَاةِ قَتَالٌ . (٨) شَبَّهَ الْكُمَاةَ بِالْجُدْرِيِّ ، وَهُوَ الْحَبُّ الَّذِي يَظْهَرُ فِي جَسَدِ الصَّبِيِّ ، لَظْهَرُهَا
مِنْ بَطْنِ الْأَرْضِ كَمَا يَظْهَرُ الْجُدْرِيُّ مِنْ بَاطِنِ الْجِلْدِ ، وَيُرَادُ بِذَلِكَ ذَمُّهَا (انْظُرِ النَّهْيَةَ لِابْنِ الْأَثِيرِ) .
(٩) مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْكُمَاةَ شَيْءٌ أَنْبَتَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ وَلَا مَثْوَوَةٍ مِنْ أَحَدٍ ، وَهُوَ بِمِثْلَةِ الْمَنِّ الَّذِي كَانَ
يَنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .

الأصمعي عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياء رُبَّمَا صرعت أهل البيت عن آخرهم : الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطر .
وتقول الأطباء : إن أردَّ الفُطر ما نبت تحت ظلال الشجر، وأردَّاه كله ما كان في ظل شجر الزيتون فإنه قتال .

قالوا : والكُثْرَى إذا طُبِخ مع الفُطر أذهب ضرره .
قالوا : والفُطر بُورث الذُبْحَةُ^(١) .

قدم أعرابيُّ المِصرَ فأكل فُطْرًا، فأصابته ذُبْحَةٌ، ف قيل له : إن الطيب بعث أن يُحَلَّبَ في فيك، فقال : ما زلت أسمع بالثيم الرَّاضِع^(٢) ولا والله لا أكونه ؛ قالوا : فتموت إذا ؛ قال : وإن متُّ .

وتقول الأطباء : إن أكل آكل الفُطرَ فأضرَّ به، سقى الكُرْبَ المعصورَ وسقى من نحره الدجاج وزن درهين مع خلّ وعسل مطبوخ وقيَّ به .
قالوا : والكَمَّةُ تُورث وجع القولنج^(٣) والسَّكَنَةُ والفالج ووجع المعدة .
قالوا : والذباب لا يقرب قدرًا فيه كَمَّةٌ .

ومن أراد اتخاذه الكَمَّةَ اليابسة جعلها في الطين الحُرَّ يومًا وليلة ثم غسلها واستعملها .

بلغني عن قتي من أهل الكتاب أنه قال : كنا في طريق مكة بالخزيمية^(٤)، فأتانا أعرابيٌّ بكَمَّةٍ في كساءٍ قد رما أطاق، فقلنا : بكم الكَمَّةُ ؟ قال : بدرهين ،

(١) الذبحة : داء يأخذ في الحلق وربما قتل . (٢) سيذكر المؤلف أنه الذي يرضع الحلب

فلا يحلبه في الاناء لتلاسمع صوت الحلب ، وقال بعضهم : لتلا يضيع من اللبن شيء .

(٣) القولنج : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج النفل والريح ، والفالج : الشلل .

(٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجر، وقال قوم : بينه وبين الثعلبية اثنتان وثلاثون ميلا، وقيل : إنه : ” الخزيمية “ بالخاء المهملة .

فاشتريناها منه ودفعنا الثمن إليه ، فلما نهَض قال له بعضنا : « في آسِتِ المغْبُونِ
عود^(١) » ؛ قال : بل عودان ، وضرب الأرض برجله ، فاذا نحن على الكَمَاة .

قال بعض الشعراء :

جَنَيْتُهَا تَمَلَأُ كَفَّ الْجَانِي * سوداءَ تما قد سَقَى السَّوَانِي^(٢)
* كأنها مدهونةٌ بالبَانِ^(٣) *

وهذه صفة أجود الكَمَاة وأقلها أذى .

البصل والثوم

دخل داخلٌ على نصر بن سيَّار وحوله بنون له صغارٌ ، فقال : هل تَدْرُونَ
ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ؛ وكان يأكله نيئاً ومشوياً ومطبوخاً .

- ١٠ والأطباء تقول في البصل : إنه يشهى الى الطعام إن أُكِلَ مشوياً أو نيئاً ،
ويشهى الى الجماع . وإن دُقَّ وشُمَّ عطس وشهى الطعام . وإن أكتحلَ بمائه مع
العسل جلا البصر . ولأنَّ وُضِعَ مع الملح والسذاب^(٤) على عَضَةِ الكَلْبِ الذى ليس
بِكَلْبٍ نَفَعَ . والإكثارُ منه يُفسد العقل . والمسلوقةُ منه يُدز البول والدمعة .

- (١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السواني : جمع سانية وهى ما يسقى عليه الزرع والحيوان
من بعير وغيره . (٣) البان : شجر يسمو ويطول فى استواء مثل نبات الأثل ، وورقه هذب كهذب
الأثل ، وخشبه خواررخو خفيف ، وقضبانة سمجة خضر ، وهذبه يثبت فى القصب ، وهو طويل أخضر
شديد الخضرة ، وعمرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حبه ، وإذا انتهى انفتق
وانثر ، حبه أبيض أغبر مثل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) .
(٤) السذاب : بقل يقرع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تنشعب عليه شعب مثل الأغصان ، ويحمل
فى أطراف أغصانه رموسا تنفتح عن ورد صفار الورق أصفر ، وإذا انتشر سقط منه الحب ، وله طبايع
وخواص مذكورة فى كتب الطب .

العصافير إن أكلت بالزنجبيل والبصل هيجت شهوة الجماع وأكثر
المني .

عن طارق بن شهاب قال : بعث سليمان النبي عليه السلام بعض عفاريتَه
وبعث معه رجلاً وقال : رُدّه إلى وأنظر إلى صنيعه . فترعى أهل بيت يكون
فضحك ، ودخل إلى السوق ونظر إلى الناس فرفع رأسه إلى السماء وهزّه ، ونظر
إلى الثوم وهو يُكّال [يَكَل] والفلفل [وهو] يُوزن وزناً ، فضحك . فلما رُدّه إلى
سليمان عليه السلام وأخبره بما جرى منه ، قال : لِمَ ضَحِكْتَ من أهل البيت ؟
ولِمَ هَزَزْتَ رأسك حين نظرت إلى السوق ؟ ولمَ ضَحِكْتَ من الثوم والفلفل ؟
قال : أما أهل البيت فإن الله أدخل ميثم الجنة وهم يكون عليه ؛ ونظرت إلى
الناس في السوق والملائكة من فوق رؤوسهم ، والناس يُملئون والملائكة سراعاً يكتبون ،
فهزّزت رأسي ؛ ونظرت إلى الثوم وهو شفاء يُكّال يَكَل ، وإلى الفلفل وهو داء يُوزن
وزناً . وعن وهب : أن سليمان عليه السلام قال : مم كنت تضحك ؟ قال إني مررت
برجل يشتري خُفين ويقول لصاحبهما : شَرِطِي عليك أن ألبسهما عشر سنين
لا يتخزقان ، ففجبت كيف شَرَطَ أمله ونسي أجله . ومررت بعجوز دُهرية تتكهن
وتُخبر الناس بما لا يعلمون ، والذي سَخَّرَ لك الريح وأذل لك الحق وعبدك الشياطين ،
أتى لأعلم في بيتي تحت فراشها مطمورة فيها قناطير من ذهب وفضة وهي لا تدري
ما تحتها ، وقد ماتت هزلاً وجوعاً وحاجة . ومررت بأثري دُهرية تتطبّب وكان بها

(١) في قصص الأنبياء . (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : « أن سليمان طيه السلام دعا حضرًا الجنّي لعت
الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرطاً مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث
حضر في طريقه ، فقالوا : يا نبي الله إنه كان يضحك في بعض الأحيان من الناس ، فقال له سليمان ... الخ »
وقد ورد في الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف في بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هي التي
أتى عليها الدهر وطال عمرها . . (٣) المطمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرة داءً، فأكلت البصل فصادت منه برءاً، فظننت أنه حسَم داءها وشفائها، فهي تصفه للناس من كل داء، وقد كانت في ظهرها ريحٌ حُسِستْ منذ زمانٍ فأكلت الثومَ أحدًا وعشرين يوماً فشُفيت منه؛ فعجبت لها كيف تدعُ أن تصفه. ومررت برجلٍ على شاطئ نهر يستقي منه في قلة له ومعه بغلة، فلما سقى البغلة ملاً القلة وربط البغلة بأذن القلة وذهب لبعض حاجته، فنقرت البغلة وكسرت القلة؛ بفعل يلن الشيطان، وبرأ عقله ونسي فعله. ومررت بقوم يذكرون الله فاجتهدوا ونصبوا وأبتلوا، فلما أظلت الرحمة ملَّ رجل منهم ققام، وجاء آخر لم ينصب معهم فجلس مجلسه، فترلت الرحمة فدخل فيها معهم وحرّمها الأول؛ فعجبت من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وتقول الأطباء: إن الثوم إذا شوي بالنار ووضع على الصّرس المأكول ودلكت به الأسنان التي يعرض فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام الترياق في تسع الهوام، والأمراض الباردة.

وتقول الروم في الثوم: إنه دواء لمن أصابه وجع السقي في بطنه. وإن أكله من ظهر [فيه] حرّة من شرى أو غيره أبرأه. وإن دق الثوم يابساً فأغلي بسمين ولبن ثم جعله من يشكى ضرسه في فيه سحناً فأمسكه ساعة، ذهب وجع ضرسه؛ وهو نافع لمن آجتوى.

(١) وردت هذه الجملة في الأصل محذوفة هكذا: «جتها زمان».

(٢) يعرض: يظهر. (٣) السق: ماء أصفر يقع في البطن وهو المعروف في الطب

بالاستسقاء أو الصفار. وفي الأصل: «السقا». (٤) زيادة يقتضها السياق.

(٥) الشرى: بثور بعضها صفار وبعضها بكار حكاكة مكربة مائلة إلى الحمرة مائية. (٦) آجتوى

بالجيم: من الجوى وهو داء السل أوداء يأخذ في الصدر أو هو كل داء يأخذ في الباطن لا يستمر معه الطعام.

الكراث

قالت الأطباء : الكراث النَّبِيْءُ إذا أُدْمِنَ كانت فيه أحلامٌ رديئةٌ ، ولَدُ بُحَارًا في الرأس رديئًا . وإن صُبَّ في مائه خلٌّ ودُقَّاقٌ كُنْدَرٌ^(١) وَاسْتُعِطَ به سَكَنَ الصَّدَاعَ . وإن سُلِقَ أو طُحِنَ وأَكِلَ أو صُمِدَ به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفعَ منها .

وماء الكراث إذا خُلِطَ بمثله من ألبانِ النساءِ ودُهْنِ الوردِ والكُنْدَرِ وحُلِّ به عينٌ من أصابته غشاوةٌ في عينه فلم يُبْصِرْ ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرْبُ والقُنَيْطُ

قالوا : الكُرْبُ مَعِينٌ على الإكثار من التبيذ إذا أكل ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرْبِ والكَرَمِ عداوةٌ ؛ ولا يكاد يصلح الكَرَمُ والكُرْبُ إذا تجاوزا . قالت الأطباء : إن آحمت [المرأة]^(٢) زَرَ الكُرْبِ بعد الحيض أسهل المنيِّ وأنفسده ولم يكن معه حمل ، وشربُ مائه مع الشَّيْخِ الأَرْمَنِيِّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُسِ الْمُتَقَعِ مُخْرِجٌ لِحَبِّ الْقَرْعِ^(٣) من البطن . والقُسْطُ^(٤) أيضا خاصَّةٌ زُرُهُ يَفْسِدُ المنيَّ إذا آحمتهُ المرأة بعد طهرها ؛ ومقدار ما يُحْتَمَلُ وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرْبُ إن طُبِخَ وخُلِطَ ماؤه بالحنْدَقُوقِ^(٥) وسُقِيَ المرأة التي تأخر حيضُها حاضَتْ حينها .

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو ألبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضها السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون في البطن .

(٤) القسط : عود هندي يتداوى به . (٥) الحندقوق :

بقلة وحشيشة كالفت الربط (شجريت في السهول والآكام وله حب كالخض) وقيل هو الهيد ، والهيد :

الحنظل ، نبطي معزب ويقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : وإذا خلط ماء الكُرْب بالبنج^(١) كان نافعاً للسعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حُنين الطيبِ علةً كنتُ أجدُها في حلقِي لا أكادُ أبتلعُ معها ريقِي ؛ فقال : هي بينة في عينك . ففرغَ بعقيد العنب مع خمير ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات ؛ ففعلتُ ذلك يوماً واحداً فذهب .

قالوا : وإذا دُقَّ الكُرْب وُخِلط به شئٌ من زاج الأسا كفة وشئٌ من خل ، فأوجِف ذلك بالخطمي^(٣) ، ثم طلي به برصٌ أو جربٌ نفع باذن الله تعالى .

السَّلْجُم^(٥) والفُجَل

تقول الأطباء في الفجل : إنه مهيج للجماع زائد في المني ، ويزره نافع من السموم قالوا : والفجل هاضم للطعام ، فإن أكل زره بعسل كان دواء من السعال والقواق ؛ وإذا شِدِختُ قطعة^(٦) بخل فطرحت على عقرب ماتت ؛ وماؤه ويزره للسموم بمنزلة الترياق . وإذا طلى أحد يده بمائه ثم قبض على حية أو غيرها من الهوام لم يضار ذلك

(١) البنج : هو الشكران بالعربية ، وهو ثبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف الى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلثار مملوء بزر شبيه بزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب الهامى ، وجاء في مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقي هو المعروف بزاج الأسا كفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) في الأصل كالخطمي . والخطمي نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه في هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص في النسخ . ونحن نقل هنا باختصار ما قبل عنه في كتاب الجامع لابن البيطار إتماماً للفائدة قال : السلجم ، وقد تجمع سيته ، هو اللقت . ويزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحاً نافخة ، وأصله نافع عسر الانهضام ويزيد في المنى ، وقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فدر البول ، ويزره يستعمل في أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع ذوات السموم ، وإذا عمل السلجم بالماء والملح كان أقل لفعاله إذا أكل ، غير أنه يحرك شهوة الطعام . (٦) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل « وإذا شدح والرطب فطرح » وهو تحريف .

الموضع . قالوا : وإن دُق بزره مع الكُنْدُر وطُي به البَهَقُ الأسودُ في الحمام أذهب .
وإن شُرب ماء ورَقِه نَفَعَ من الأَرْقَانِ^(١) الحَادِثِ من الطَّحَالِ .

البَاذِنْجَان

قالوا : والبَاذِنْجَانُ مُكَلِّفٌ لِلْوَجْهِ يُورِثُ دَاءَ السَّرَطَانِ والأورَامَ الصُّلْبَةَ . وحدثني
أبي عن أبي الحَارِثِ جَمِيزٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ فِي البَاذِنْجَانِ : لَا تَأْكُلْهُ ، لَوْنُ الْعَقْرَبِ
وَشَبَهُ الْمَحْجَمَةِ^(٢) . قِيلَ لَهُ : فَقَدْ رَأَيْتَكَ تَأْكُلُهُ عَلَى خَوَانِ فُلَانٍ ! قَالَ : كَانَ مَيْتَةً وَأَنَا
مُضْطَّرٌ .

الخِيَارُ والقَنْاء

قالوا : شَمُّ الخِيَارِ نَافِعٌ لِمَنْ أَصَابَهُ الْغَشْيُ^(٤) مِنَ الْحَرَارَةِ . وَيُزِيلُ الْقَنْاءَ إِذَا شَرِبَهُ
مِنْ بِهِ تُمَيَّ الْأَمْسَى^(٥) نَفْعُهُ . وَإِنْ أَصَابَتْ رَضِيْعًا حُمًى فَالزَّقَتْ بِهِ خِيَارَتَيْنِ تَمْسَانِ جِلْدَهُ
إِحْدَاهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْأُخْرَى عَنْ شِمَالِهِ ، أَقْلَعَتْ الْحُمَى عَنْهُ .

السِّلَق

قالوا : وَالسِّلَقُ إِنْ دُقَ مَعَ أَصْلِهِ وَعُصِرَ مَائُهُ وَغُسِلَ بِهِ الرَّأْسُ ذَهَبَ بِالْأَثَرَةِ
وَأَطَالَ الشَّعْرَ .

(١) الأَرْقَانُ : لغة في البرقان وهو ، كما في اللسان والقاموس وشرحه ، داء يصيب الناس يصفونه
الجسد ، وفي الأصل « الأرقال » باللام وهو تعريف . (٢) مكلف : مغير للوجه بجمرة كدرة
تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالنش . (٣) المحجمة : قارورة الجمام .
(٤) الغشْيُ بالفتح ويضم : تغطى أكثر القوى المحركة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الوجع .
(٥) كذا بالأصل . ولعله « الأمر » وهو احتباس البول .

الهلْيُون^(١)

قالوا : والهلْيُون مُدْرٌ للبول ، نافع من القَوْلَج .

القَرْع

قالوا : إذا شوى القَرْع بالنار ثم عَصِرَ فَعِلَ من مائه في أُذُن من أَشْتكى أُذُنَهُ نفعه . وإن دُهِنَتْ منابت شعر اللحية بدهن القَرْع المُتْرَ ، وقَتَاءِ الحِمَارِ مُذَاباً فيه شَيْعٌ .
أَرْمَنِيَّ أَسْرَعَ فيها نَبَاتُ الشَّعْرِ .

البَقُول

قالوا : والجَرْجِيرُ زَائِدٌ في البَاءِ والإِنْعَاطِ مُدْرٌ للبول . وتذكر الروم أن من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسيَّاطِ هَوْنٌ عليه بعضُ ذلك الجَلْدِ . قالوا : وهو ينفع من دَفْرِ الإِيطِينَ إذا أُكِلَ على الرِّيقِ وطَلِيَ الإِيطَانُ بمائه . وتزعم الروم أن ماءه ينفع من عَضَةِ ابْنِ عَرَسٍ .

وقال بعضُ الأطباء : إن دُرَّ زُرُّ الجَرْجِيرِ مدقوقاً في البيض وحُشِيَ كان ذلك زائداً في الباء والإِنْعَاطِ زيادةً بَيِّنَةً . قال أبو حاتم عن القَعْدَمِيِّ قال : أكله أعرابي فأنعظ شهراً ، فقال الفرزدق يَفْخَرُ به :

١٥ (١) الهليون : ثبت ورقه كورق الشبث ولاشوك له البتة وله بزر مدور أخضر ثم يسود ويحترق (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥) . (٢) قَتَاءُ الحِمَارِ : نوع برى من أنواع القَتَاءِ . وفي الأصل «قَتَاءُ الخِيَارِ» وهو تحريف . (٣) الدَفْرُ : رائحة الإِيطِينَ الكريهة . (٤) كَذَا في نهاية الأرب للنويري في باب الخضراوات والبقول ومفردات ابن البيطار في اسم الجرجير . وفي الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مقرر» وهو تحريف .

ومنا التيمى الذى قام آيره * ثلاثين يوماً ثم زادهم عَشراً^(١)
 قالوا : والسَّذاب قاطع لشهوة الجماع . وقالت الروم : إن أَكَلَتِ امرأةٌ
 حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ^(٢) كُلَّ يومٍ بماءٍ سُخْنٍ أو نَبِيذٍ خمسةَ عشر يوماً أسقطت ولدها .
 وقال بعض الشعراء :

كم نعمةٍ للسَّذابِ * جَليلةٌ في الرِّقابِ
 الناسُ عنها غُفُولٌ * إلَّا ذَوِي الألبابِ
 فالحمد لله شكراً * لو لا مكانُ السَّذابِ
 لَغَيَّبَ الأرضَ نسلُ^(٣) الـ * مُغَنِّياتِ القُحَّابِ

قالوا : والبقلةُ الحُمَّاء إذا مُضِغَت أَذهبتِ الطَّرشَ ، وإذا أَكَلَت أَذهبتِ
 شهوةَ الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظرٌ عند رؤية الهلال الى الهِنْدِباءِ^(٤) خلف
 بِلَالِ القَمَرِ إلَّا يأكل هِنْدِباءً ولا لحمَ فَرَسٍ ، سَلِمَ فى كُلِّ شهرٍ يحلف فيه من وجع
 الضرس .

قالت الأطباء : الخسُّ إذا أَكِلَ على الرِّيقِ نافعٌ لتغيير الماء ومن يتأذى
 باحتلام . وإذا شُرِبَ بزره بماءٍ باردٍ [قطع شهوة الجماع]^(٥) .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هذا البيت فى ديوان الفرزدق ، ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلمها
 «ثم قد زادها عشرا» أو «ثم أتبعها عشرا» أو نحو ذلك . (٢) تقدّم شرح هذه الكلمة
 فى ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمام الكلام يحتاج الى أن يكون بعد كلمة «مثاقيل» من
 «السذاب» أو «من بزر السذاب» . (٤) فى الأصل : «تغيب الأرض» . (٥) يقال :
 بقلة الحُمَّاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحُمَّاء ، والبقلة الحُمَّاء بالنعث . قال ابن سيده : هى التى تسميها
 العامة الرحلة . (٦) الهندباء : صنفان برى وبستاني والأول أعرض ورقاً من الثانى ، والبستاني
 صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخراً أدق ورقاً منه وفى طعمه مرارة (مفردات
 ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) الكلمة عن ابن البيطار فى كلامه على الخس .

قالوا : والخردل إن أكثر من أكله أورت ضعفا في البصر، وهو مكثر
لبن مُدر للبول ، وهو نافع من الصرع . وإن أكتحل بمائه بعد أن يُغلى عليه
ويُصفى جلا البصر الضعيف من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءه يصلح للأطفال
من الحمى إذا أصابهم . وهو يُفسد الدهن ويورث النسيان ويضعف البصر .

قالت الأطباء : النعناع يُسكن القيء ، وينفع من القواق الحادث من البلغم
إذا شرب مع الثمام^(١) .

وتقول الروم : الحبق^(٢) الذي على شطوط الأنهار نافع للرمم إذا دق وتُحِل
وأكتحل به ، وإن مضغه ماضغ ووضع على عينه نفعه .

وأما الفودنج^(٣) النهرى - [فإنه] يُدر الطمث^(٤) . وإن أخذ من الفودنج الجبلية
أوقية وطبخ بنصف رطل من ماء حتى يبقى الثلث وشرب ، سهل السوداء .

وقالت الأطباء : الحندقوق^(٥) يُورث وجع الحلق ، ويذهب بضره من
ياكل بعده الكربرة الرطبة والبقلة الحمقاء والهندباء .

والطرخون^(٦) يؤكل مع الكرفس .

قالوا : والراسن^(٧) ينفع من قطار البول إذا كان من برد ، ويقوى المثانة .

- (١) النمام : نبت ورقة كالسذاب ، له بزر كالريحان ، عطري قوي الرائحة ، سمي بذلك لسطوع
رايحته . (٢) الحبق : نبات طيب الرائحة . (٣) الفودنج : نبت ، معرب عن
بودينه ، ويقال فيه : فودنج (بإهمال الدال وضم الأتول والرابع) . وأجناسه ثلاثة : يرى ونهرى وجبلى
ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة في مفردات ابن البيطار . (٤) الطمث : دم الحيض .
(٥) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن البيطار : الطرخون :
بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة : ورقة طوال دقاق .
(٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : وَالْكُشُوثُ^(١) يَنْهَبُ بِالْأَرْقَانِ .

قالوا : وَعِنَبُ الثَّعْلَبِ قَاطِعٌ لِدَمِ الْحَيْضِ إِنْ شُرِبَ أَوْ أُحْتَمِلَ .

وقالوا : الْكَرْفَسُ^(٢) إِذَا طُبِخَ وَشُرِبَ كَانَ دَوَاءً مِنْ وَجَعِ الْكُلَيْتَيْنِ وَمِنْ الْأَسِيرِ^(٣) .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطباء في حَبِّ الْفُلْفُلِ : إِذَا خُلِطَ بِالسَّمِيسِ وَعُجِنَ بِعَسَلِ الطَّبْرَزْدِ^(٤) يَزِيدُ فِي الْجَمَاعِ .

والعرب تزعم أن الحبة الخضراء وشرب ألبان الإبل عليها تبعث الشهوة .

قال جرير :

أَيْحَتُنِ قَدْ لَاقَيْتِ عِمْرَانَ شَارِبًا * عَلَى الْحَبَّةِ الْخَضْرَاءِ أَلْبَانِ لَيْلِ^(٥)^(٦)^(٧)

وَالْجَمِصُ زَائِدٌ فِي الْجَمَاعِ ، مُكَثِّرٌ لِلنِّسَاءِ ، حَسَنٌ لِلْوَنِّ ، زَائِدٌ فِي لبنِ الْمُرْضِعِ ، يُدْرِئُ دَمَ الْحَيْضِ ، وَإِنْ خُلِطَ بِالْبَاقِلَاءِ أَسْمَنَ .

(١) الكشوث (بالفتح وهي أنصح لغاته) قال ابن البطار : هو شيء يتعلق بالنبات مثل الخيوط يشرب من ماء النبات الذي يتعلق به ولا أصل له في الأرض ولا ورق ، لكن في أطراف فروعه ثمر لطاف وهو يسوي في الشجر وتشبك فروعه ، ويكثر في الكروم الرطاب ، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس : (يفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه) : ثبت معروف وهو من أحرق البقول عظيم المنافع . ١٥

(٣) الأسر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جستن : اسم

أمرأة وهي أخت الفرزدق . (٦) كذا في لسان العرب مادة « أول » وفي الأصل : « ساريا »

بالسين والياء وهو تحريف . (٧) الإبل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشددة) : جمع أيل (يفتح

الألف وكسر الياء المشددة) (وهو الذك من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن بكليهما يترن

الشعر ، « جمع ألبان » ، إذ لو كان واحدا لقال لبن أيل (انظر اللسان مادة أول) . ٢٠

الأصمى قال : قلت لأبن أبي عطار : بلغني أنَّ أباك كان ذا منزلة من
أبن سيرين ، فما حفظت عنه ؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عطار ،
إن سويق العَدَس بارد وهو يدفع الدَّم .

قالت الأطباء : إنَّ الخَرْدَل نافعٌ من حُمى الرَّبع^(١) والحُمَيَّات المتقادمة ووجع
الأرحام ويخفف ... من البلغم^(٢) ، ويُنزِل الرطوبة من الرأس ، وإن أكل مع السَّلَق
المسلوق نفع من الصَّرع ، وإن طلي البرص به زال .

وقالت الأطباء : الحُرْفُ يُخرج حَبَّ القَرَع من البطن ، وينفع من عِرْق النَّسَا
ووجع الورك . وإن سُخِّنَ بالماء الحار وشرب منه وزنُ أربعة دراهم أو خمسة
أسهل الطبيعة ونفع من القولنج .

وقال رجل من قُدماء الأطباء في الباقلاء^(٤) : إنه إذا أُذِنَ أَكَلَ البَصْرَ ، وأحال
الأحلام أضغاثًا لا يُنتفعُ بها ولا يجد عابِرُ الرُّوْيا إلى تأويلها سبيلًا .

ودهن الشَّاهِدَانِجِ^(٥) نافعٌ لوجع الأذن العارض من البرد والعلل المتقادمة منها .

(١) حمى الربع هي التي تأتي في اليوم الرابع ، وذلك أن يومًا ويترك يومين لا يحم ويحم
في اليوم الرابع . (٢) لم تتبين مكان هذه النقطة في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر

بالنصير . وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الخردل أنه « يخفف اللسان الثقيل من
البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) : حب الرشاد . (٤) أنظر شرحه في ص ٢٥٦

من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانج وشهناج بغير ألف بعد

الشين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة فارغة متن الرابحة
وله حب مستدير يركل ويتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن حُثَم عن جَدِّته قالت : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أَكَلْتُم الرُّمَانَ فكلوه بِشَحْمِهِ فَإِنَّهُ دِبَاغٌ لِلْعِدَّةِ ، وذلك يوم الجمعة على المنبر .

الأصمعي : قيل لأعرابي : لِمَ تُبَغِّضُ الرُّمَانَ ؟ قال : لَأَنَّهُ مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ (١) .

قال : وقال يحيى بن خالد : شَيْثَانٌ يُورِثَانِ الْقَمَلَ : التَّيْنُ الْيَابِسُ إِذَا أُكِلَ ، وَبَخَارُ اللَّبَانِ إِذَا يُجَرَّبُ بِهِ .

وقالت الأَطْبَاءُ : وَرَقُ الْخَوْخِ وَأَقْصَاهُ إِنْ دُقَّ وَعُصِرَ وَشُرِبَ أَسْهَلُ حَبِّ الْقَرْعِ وَالْدِّيدَانِ وَالْحَيَاتِ الْمَتَوَلِّدَةِ فِي الْبَطْنِ ، وَإِنْ صُبَّ مَاءُ وَرَقِهِ فِي الْأُذُنِ أَمَاتَ الدِّيدَانَ فِيهَا ، وَإِنْ تَدَلَّكَ بَوْرَقُهُ بَعْدَ النَّوْرَةِ قَطَعَ رِيحُهَا (٢) .

وَحَمَاضُ الْأُتْرُجِ (٣) إِنْ لُطِخَ بِهِ الْكَكْفُ وَالْقُوبُ أَذْهَبَهُ . وَحَبُّ الْأُتْرُجِ نَافِعٌ مِنَ السَّمُومِ .

(١) مبخرة : مظنة للبخر وهو تغير ريح الفم . ومجفرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومجفرة : يريد يس الطبيعة أى أنه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : « وإياكم ونومة الغداة فانها مبخرة مجفرة مجفرة » . (انظر اللسان والقاموس مواد بخر وجفرو جمر) . (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرينخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معربة ، قال الشاعر :

فابحث عليم سنة فاشوره * تحتلق المال كحلق النوره

وسنة فاشورة : مجدية تقشر كل شئ . (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حامض الأترج : ما في جوفه ، قال ابن البيطار في مفرداته نقلا عن أبي حنيفة الدينوري : الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يفسر غرسا ولا يكون بر يا ، وأخبرني بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة في السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، فقاحه شبيه بنور الزرجس إلا أنه ألطف منه .

١٠

١٥

٢٠

وورق التفاح الغض إن دُق بالرفق أياماً خمسة أو ستة ثم ضُمِد به الوشمُ
قلعه من غير أن يقرَح موضعه .

عن الزهري قال : حدثني رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : " من بات وفي بطنه جَزْرَةٌ أو جَزْرَتَانِ أو ثلاثٌ ^(١) أَمِنَ القَوْلنج والدُّبيلة " .

والفُسْتُقُ : إن دُق وشُرب بالمطبوخ الشديد نفع من لَسَعِ الحَوَامِ .

وَاللَّفَّاحُ ^(٢) : سمٌ ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرته بالقىء بالشراب والعسل
والإسهال وشمُّ الفُلْفُل والخردل والجندبادستر ^(٣) والسذاب والتعطس ^(٤) .

قال وحدثني شيخٌ من الدَّهَاقِينِ عَالِمٌ بأيام العجم : أن بُزُرَ جُمَهر قال لأهل
الحبس : سلوا الملك أن يرزقكم مكان الأذم الأترج ، ليكون القشر لطيبكم ، ولحمته
لفاكهتكم ، والمخاض لصباغكم ، والحَبَّ لدهنكم . فكان ذلك أول ما عُرِفَتْ به
حِكْمُهُ .

(١) الدبيلة (وزان جبهة) : خراج ودقل كبير ، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً .
(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر البيروح ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكثرى . والبيروح
صنفان : أحدهما يعرف بالأثني ولونه إلى السواد ويقال له ريوفس أي الخس لأن في ورقه مشاكلة لورق
الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصفر ، وهو زهم ثقيل الرائحة يفسط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر
يعرف بالدكر له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران ، طيب الرائحة مع ثقل ،
وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أيضاً . واللفاح أيضاً : نوع من البليخ صغير جسمه
مخطط ورائحته طيبة الشم . (٣) في ابن البيطار في الكلام على البيروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل
الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل . (٤) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل :
« الجندبادستر » .

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاحين : العجين يُملّك . وفي الحديث المرفوع :
 ” أملكوا العجين فإنه أحد الرّيعين “^(١) .

السّويق : يُغسل بالماء الحارّ مرّات ثم بالبارد ويشرب .

والمِلح : يُتقبّل به الطّبخ .

والخلّ : يُنضج العدس ويُصاحبه للأكل .

الباقلي : يُنقع ثم يطبخ . ولا يؤكل من الفاكهة إلا ما نضج على شجره ،
 ويلقى ثقله وعجمه^(٢) ، ويؤكل على ريق النّفس .

والعنب : يقطف ويُمهل أياماً ثم يؤكل . ولا يؤكل من القنب إلا ثلثه^(٣) .
 ولا يؤكل من الرأس إلا أسنانه^(٤) وعيونه .

الباذنجان : يُشقّ ويُحشى بالملح ، ويترك ساعة في الماء البارد ، ثم يصبّ
 عنه ويعاد الى الماء مرّاراً ، ثم يُسلق بعد ذلك .

الكبر : يؤكل بالخلّ بعد غسله بالماء من الخلّ .

الزيتون : يؤكل وسط الطعام ويُصبّ في الخلّ .

(١) ملك العجين وأملكة : محته فأنم محته وأجاده . والرّيع : الزيادة . أراد أن خبزه يزيد بما يحتمله
 من الماء لجودة العجين . (٢) عجمه : نواه . (٣) القنب : نبات منقّ الرائحة له حب
 مستدير يؤكل ، وفي الأصل « القند » وهو سكر القصب ولا لب له والتعريف فيه ظاهر . (٤) كذا
 في الأصل ، ويحتمل أن يكون « لسانه » .

- ويؤكل من الأشتغاز خله ولا يعرض لجسمه .
 والكماة : تنصف ويقشر عنها قشرها، وتسلق بالماء والملح ثم تستعمل
 بالسعتر والفلفل، وتقل بالزيت الركاوي^(٣)، وكذلك الفطر .
 السلق والكرب : يسلقان بالماء والملح، ويصب ماؤهما ثم يستعملان .
 والبقول : تمسح ثم تؤكل ولا تغسل بالماء .
 وأحمد الثمور الهيرون . وأحمد البسور الجيسران^(٥) . وما أصفر أحمد مما أسود .
 وخير السمك الشبوط^(٦) والبناني والمياح . ولا يؤكل السمك الطري إلا حاراً
 بالحدل في الشتاء، وفي الصيف بالخل وبالأبازير . وأقل السمك أذى^(٧) المنقور .
 وشر السمك بكاره السماريس^(٨) . وخير السماريس البيض^(٩)، [وأكلها] خير من أكل
 الحمير، وشرها السود .

- (١) الاشتغاز : تأويله بالفارسية شوك الجمال، وهو نبات حريف رخو وليس له صمغ وهو طويل
 الشوك ترعاه الابل . (٢) السعتر : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة، ويقال له
 الصعتر بالصاد وهي اللفظة الجيدة، والعامية تبدل السين زايًا . (٣) كذا في مفردات ابن البيطار في الكلام
 على خواص الكماة . وقد نقل ياقوت أن هذا الزيت منسوب الى الركاوية وهو موضع على عشرة أميال من
 المدينة، ثم قال : وأراه وهما لأن تلك النواحي قليلة الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب
 إليها . (٤) الهيرون : البري من التمر والرطب . (٥) الجيسران : جنس من أنغر النخل معرب،
 وفي الأصل «جيسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (فتح الشين وتضم وضم الباء المشددة) :
 ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس لين المس . (٧) المنقور : الحامض
 المنقوع في الخل أو الماء والملح . (٨) السماريس : صنف من السمك، رأس الملوخ منه
 إذا أحرق قلع اللحم الزائد في القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تدمى في البدن، ويقلع التآليل (راجع
 مفردات ابن البيطار) . وفي الأصل : «سماريس» وهو تحريف . وأصل الجملة في الأصل هكذا
 «وشر السمك بكاره السماريس البيض وخير السماريس البيض... الخ... والسياق يقضي بحذف «البيض»
 الأولى . (٩) زيادة يقتضها السياق .

وخيرُ البَيْضِ بَيْضُ الشَّوَابِ مِنَ الدَّجَاجِ، ولا خَيْرَ فِي بَيْضِ الْهَرَمَةِ . وأخفُ
البَيْضِ الرِّقِيُّ، وأثقلُهُ البَيْضُ الصَّلْبُ .

ولا يُعْرَضُ مِنَ الرَّأْسِ للدِّمَاغِ ولا لِللِّسَانِ، ولا التَّلَصُّمَةُ ^(١) ولا الْخَرَّاطِيمُ .
ولَحْمُ الْعُنُقِ خَفِيفٌ سَرِيعُ الْإِنْهَضَامِ . وفي الحديثِ المرفوعُ : ” الْعُنُقُ هَادِيَةٌ ^(٢)
الشَّاةِ وهي أبعدها من الْأَذَى “ .

وَالْفَقَّاعُ ^(٣) : يُشْرَبُ قَبْلَ الطَّعَامِ ولا يُشْرَبُ بَعْدَهُ .

وَاللَّبَنُ ^(٣) : لَا يُؤْكَلُ ولا يُشْرَبُ إِلَّا بَعْدَ وَضْعِ الشَّاةِ بِشِمْرِ وَنَحْوِهِ .

وَالْبَاقِلِيُّ ^(٤) : يُؤْكَلُ بَعْدَهُ الْفَوْذَنْجُ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِنَفْخَتِهِ .

اللُّؤْيَاءُ ^(٥) : يُؤْكَلُ بَعْدَهُ الْخَرْدَلُ الرُّطْبُ ، وَيُشْرَبُ بَعْدَهُ ماءُ الرُّمَانِ

وَالسَّكَنْجَبِينَ المعمولُ بالسَّكْرِ .

الْهَرِيسَةُ ^(٦) : تُؤْكَلُ بِالْقُلُقُلِ الْكَثِيرِ وَالْمُرِّيِّ ^(٧) ولا يُجْعَلُ فِيهَا السَّمْنُ .

وَالْمُضِيرَةُ ^(٨) : تُطَبِّخُ بِالْفَوْذَنْجِ وَالسَّذَابِ وَالكَرْفَسِ .

(١) الفلصمة : رأس الخلقوم بشواربه (عروق في الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) . (٢) الهادية
من كل شيء : أزله . (٣) تقدم تفسيره في صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) اللؤياء : بالمد
والقصر، ويقال أيضا اللؤيا، وهو مذكر نبات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خل وعسل ،
ويراد به كل حلوى حامض ، وهو معرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم .
(٧) المرِّي : الذي يؤتد به ، والعامية تخففه نسبة الى المرارة ، ويسمى الكاخ ، وهو عند الأطباء من
الأدوية القديمة ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار في مفرداته وداود
في تذكرته ، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن المأضراى الحامض . كان أبو هريرة
تعجه المضيرة فيا كلها مع معاوية ، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه ، فاذا قيل له في ذلك
قال : مضيرة معاوية أدمم والصلاة خلف على أفضل ؛ فقليل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدر) .

الزَيْتُ الرَّكَابِي : اِذَا خُلِطَ بِالْحَلِّ أَوْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ ثُمَّ رُفِعَتْ رُغْوَتُهُ عَادَ كَالْمَسْوُولِ . وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : عَلَيْكُمْ بِالزَّيْتِ ، فَإِنَّهُ يَخْفَمُ ضَرَرَهُ فَأَخْنُوهُ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ كَالسَّمَنِ .

عَنْ عُقَبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ^(١) «عَلَيْكُمْ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي نَادَى اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَيْتُ الزَّيْتُونِ أَذْهَبُوا بِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنَ الْبَاسُورِ» .

الْخَرْدَلُ : يُعْجَنُ بِالْحَلِّ وَيُغْسَلُ بِالْمَاءِ وَرَمَادِ الْبَلُّوطِ أَوْ رَمَادِ الْكَرْمِ مِرَارًا بَعْدَ أَنْ يُنَمَّ دَقُّهُ وَيُحْلَلُ ، ثُمَّ يُغْسَلُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَيُرَشَّ بِالْمَاءِ حَتَّى تَخْرُجَ رُغْوَتُهُ وَيَكْثُرُ خَلُّهُ ، وَيُخَلَطُ مَعَهُ اللَّوْزُ الْحُلُوزُ أَوْ مَاءُ الرِّمَانِ الْحَامِضِ وَمَاءُ الزَّرْبِيبِ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل
الفتوغرافي] .

ثم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبار لابن قتيبة ، ويتلوه في الكتاب العاشر كتاب النساء . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد وآله أجمعين .

١٥ وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الجزري
الواعظ ، في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه في الجزء العاشر كتاب النساء .

(١) ورد هذا الحديث في الكشف للزحشرى (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحح من الباسور» .

جاء بعد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :

قال الأصمعي : دخلتُ على هارون الرشيد وبين يديه بَدْرَةٌ ، فقال : يا أصمعي ، إن حدثتني بحديث في المعجز فاضحكني وهبتك هذه البدره ؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح وإذا بأعرابي قاعد على أجمه وهو عريان ، قد احتملت الريح كساءه ، فالتفت على الأجمه ؛ فقلت له : يا أعرابي ؛ ما أجلسك هاهنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية وعدتها يقال لها سلمي ، أنا متظر لها ؛ فقلت : وما يمتنع من أخذ كساءك ؟ فقال : الـجـز بوقفني عن أخذه ، فقلت له : فهل قلت في سلمي شيئاً ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : أسميني فله أبوك ! فقال : لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه علي ؛ قال : فأخذته فالتقيته عليه ، فأنشأ يقول :

لعل الله أن يأتي بسلمي * فيطرحها ويلقيني عليها
ويأتي بعد ذاك سحابٌ مزين * تطهرنا ولا تسمى إليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، وقال : أعطوه البدره ، فأخذها الأصمعي

وانصرف . ١٥

(١) كذا بالأصل ، وأوقفه يوقفه لغة رديئة ، والفصحى : «وقفته» بغير الهجزة .

(٢) السحاب : الغيم ، وهو اسم جنس جمعي ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى :

«والسحاب المسخرين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى : «وينشئ السحاب انقيال»

ويعامل الفعل منه معاملته مع أمثاله من أشباه المجرع فتقول : أفرغ السحاب ماءه ؛ وأفرغت السحاب

ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع . ٢٠

(١) وَيُرَوَّى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا وَلِيَ الْمَدِينَةَ قَالَ لِابْنِ هَرْمَةَ : إِنِّي لَسْتُ كَمَنْ
بَاعَكَ دِينَهُ رَجَاءَ مَذْحِكٍ أَوْ خَوْفِ ذَمِّكَ ، فَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ بَوْلَادَةَ نَبِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الْمَادِحِ وَجَنَّبَنِي الْمَقَابِیحَ ، وَإِنْ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ إِلَّا أُغْضِيَ عَلَيَّ تَقْصِيرِي فِي حَقِّ رَبِّهِ . وَأَنَا
أُنْسِمُ لَنْ أُتَيْتُ بِكَ سَكَرَانَ لِأَضْرِبَنَّكَ حَدًّا لِلْخَمْرِ وَحَدًّا لِلسُّكْرِ ، وَلَا زَيْدَنَّ لِمَوْضِعِ
حُرْمَتِكَ بِي . فَلَئِنْ تَرَكْتُكَ لَهَا اللَّهُ تُعَنِّ عَلَيْهِ ، وَلَا تَدْعُهَا لِلنَّاسِ فُتَوَكَّلَ إِلَيْهِمْ ؛ فَتَهْضُ
ابْنَ هَرْمَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

نَهَانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمَدَامِ * وَأَذَبَنِي بَادَابُ الْكِرَامِ
وَقَالَ لِي أَصْطَبِرُ عَنْهَا وَدَعَهَا * لَخَوْفِ اللَّهِ لَا خَوْفَ الْأَنَامِ
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَنْهَا وَحَتَّى * لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي عِظَامِي
أَرَى طِيبَ الْحَلَالِ عَلَى خُبْنَا * وَطِيبَ النَّفْسِ فِي خُبْنِ الْحَرَامِ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل .

(١) كذا في الكامل للبرد (طبع ليرج ص ١٣٨) وفي الأصل «من» .

كُتَابٌ

عَبْرَاتُ الْإِخْوَانِ

تَأَلِيفُ

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

التأليف
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

اعادة طبعه
دار الكتاب العربي

طبعة مصورة عن طبعة
دار الكتب المصرية

لسنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م

فهرست

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الإخوان

صفحة	المحتوى	صفحة	المحتوى
٣٤	الهدايا	١	الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم
٤٣	العبادة	٧	المودة بالتشاكل
٥٢	التعاضد وما يمثل به فيها	٩	باب المحبة
٦٨	التهانى	١٤	ما يجب للصديق على صديقه
٧٣	باب شرار الإخوان	١٨	الإنصاف فى المودة
٨٤	باب القربات والولد	٢١	مداراة الناس وحسن الخلق والحوار
٩٩	الاعتذار	٢٤	التلاقى والزيارة
١٠٧	عتب الإخوان والتباغض والعداوة	٢٨	المعائبة والتجنى
١١٤	شتمة الأعداء	٣١	باب الوداع

كتاب الحوائج

١٥٢	حال المسئول عند السؤال	١١٩	استنجاح الحوائج
١٥٦	العادة من المعروف تُقطع	١٢٢	الاستنجاح بالرشوة والهبة
١٥٨	الشكر والثناء	١٢٤	الاستنجاح بلطيف الكلام
	الترغيب فى قضاء الحاجة	١٣٣	من يعتمد فى الحاجة ويستسعى فيها
١٧٤	وأصطناع المعروف	١٣٦	الإجابة الى الحاجة والرد عنها
١٨٢	القناعة والاستغفاف	١٤٤	المواعيد وتجزؤها
١٩١	الحرص والإلحاح		

كتاب الطعام

صفحة	صفحة
٢٧٨ باب المياه والأشربة	١٩٧ صنوف الأطعمة...
٢٨٠ باب الثمن وما شاكلها	أخبار من أخبار العرب في ما كلهم
٢٨١ مضار الأطعمة ومنافعها	٢٠٩ ومشاربهم
٢٨٣ البصل والثوم	٢١٤ آداب الأكل والطعام
٢٨٦ الكزات	٢٢٢ الجوع والصوم
٢٨٦ الكزب والقنيط	٢٢٤ أخبار من أخبار الأكلة
٢٨٧ السلجم والفجل	باب الضيافة وأخبار البخل على
٢٨٨ الباذنجان	الطعام
٢٨٨ الخيار والقثاء	٢٣٣ باب القدور والجفان
٢٨٨ السلق	٢٦٥ سياسة الأبدان بما يصلحها من
٢٨٩ الهليون	الطعام وغيره
٢٨٩ القرع	٢٧٠ باب الحنية
٢٨٩ البقول	٢٧٢ باب شرب الدواء
٢٩٢ باب الحبوب والبزور	٢٧٣ الحدث والحقنة والتخمة
٢٩٤ باب الفاكهة	٢٧٥ باب القيء
٢٩٦ باب مصالح الطعام	٢٧٧ ✓ التنكمة